الدكتور سيد الجميلي

لماذا يلحدون

الناشر
دار الكتاب العربي
ص.ب: ٥٧٦٩-١١ بيروت

طبعة مزيدة منقحة

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

دار الكتاب العربي

الرملة البيضاء - ملكارت سنتر - الطابق الرابع تلفون: ٨٠٠٨٣٢ ٨٠٠٨١١ ٨٠٥٤٧٨

تلكس: ٤٠١٣٩ .L.E كتاب برقياً: الكتاب ص.ب: ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان

لِمَاذَا يُلحِدُونَ؟



بسم الله الرحمن الرحيم

باديء ذي بدء

عندما يرفض المريض أن يتعاطى العقار الشافي ، فهو إنما يؤذي نفسه ، أما العقار فلن يتأثر سواء أخذه المريض أم تركه ، وعندما يعطي الطبيب مريضه دواءً مراً ، أو شديد المرارة ، فإنَّ ذلك بدافع الحرص عليه ، وانتشاله من كرب المرض وما أخطرها على بدن الإنسان ..

ويزداد قلقي ، وإشفاقي ، من زندقة العصر التي استشرى وباؤها بين كثيرين من العلماء ، والمفكرين والفلاسفة ، والأطباء ، وقادة الحركات في عالمنا المعاصر ، وهم من يحبون الله وهم بعيدون عنه .

وفي رأينا أن الإنسان عليه أن يزيل الشر بالخير ، لأن النصر الساحق يولد المقت والكراهية ، ولا يمكن أن تزول الكراهية بالكراهية .

اللهم افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين .

السيد الجميلي

إهداء

ـ إلى السائرين على درب الإيمان لإعلاء كلمة الحق والدين .

ـ إلى طلائع العصر ممن ننتظر منهم أن يكونوا سدنة الدين وحراس العقيدة .

ـ إلى روح شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، الصارم المسلول على رقاب البدع والأهواء والوثنيات ، الذي تعلمت منه دقة البحث ، وروعة الدراسة ، وعمق التحقيق ، وبيان الحجة رحمه الله ؛ وأسكنه فراديس الجنان .

السيد الجميلي



بسم الله الرحمن الرحيم

"لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين".

النحل / ١٠٣



المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين ، والتابعين ، وتابعيهم بفضل وإحسان إلى يوم الدين ..... وبعد .

لقد أنعم الله علينا ـ وهذا من فضله ـ بالإسلام ديناً ، وشريعة ، ومنهجاً وسلوكاً ، لنيل الدرجات الرفيعة في الدنيا والآخرة ، وهي خير وأبقى .

وكل رسالات السماء جاءت لانتشال البشرية من غيابات التخلف ، وغياهب الوثنية ، وما كان تدخل السماء إلا لإعادة إنسجام الإنسان مع نفسه ، ومع آصرته ، ومع الله جل شأنه .

ولذلك كانت عقيدة التوحيد ، هي مفتاح دعوة الرسل أجمعين ، فحواها عبادةَ الخالق سبحانه وتعالى وحده لا شريك له ، وانفراده وحده بالعبودية ، تعالى الله عما يشركون .

ولم تأت رسالةٌ بشر ، أو أذى للبشر إنما رسالات السماء كلها جاءت بالخير مرادها هداية الناس وانتشالهم من براثن الوثنيات التي كلفوا بها بل عبدوها في جاهليتهم ، ومحاربة البدع والأهواء التي طالما تطفلت على الجسد البشري ردحاً من الزمان ، وهل هناك ما يشين مثل تصادم الأهواء بالأهواء ؟ .

والإسلام بناء متكامل اللبنات ، يقوم على دعائم خمس نعرفها من حديث رسول الله ﷺ : « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً » .

فمقومات الإسلام هذه مظهرية لاباطنة قلبية ، بينا نرى الإيمان قضاياه كلها غيبية ، والمراد منك أن تُسلِّم بها ، وتصدقها ، وإلا تكون قد رجعت في قضيتك الأولى .

والمعهود عند الناس جميعاً ، والشائع المستشري في بواطن النفوس هو أنه إذا جاءك نبأ من ذي ثقة فإنك لا تتردد في التصديق به بغير دليل أو برهان ، لأن صدقك له كافيك عن الدليل أو البرهان . وإذا جاءك النبا ممن لا تثق فيه فإنك ترى حججه موضع شك وريبة ، ومجال تخمين ، وموضع إتهام . والذي يدخل الإسلام بفطرته لا مندوحة من تسليم أموره في جملتها إلى الله سبحانه وتعالى فإن الذي وثقت في عدله ، وبره بوعده ، وصدقه فوق ذلك كله حريٌّ بأن تصدق كل ما يحدثك عنه من غيب ، وهذا شرط الإيمان بالله سبحانه وتعالى .

وخير دليل على ذلك إسلام وإيمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فبعد أن كان ظهيراً على الإسلام نراه في طرفة عين يصبح ظهيراً للإسلام وسنداً ، فرّق الله به بين الحق والباطل .

قال تعالى في سورة البقرة : « ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك ، وما أنزل من قبلك ، وبالآخرة هم يوقنون » ـ البقرة : ٢ ـ ٤ .

يتجلي من هذه الآية الكريمة أن هداية القرآن قاصرة على المؤمنين ، المتقين الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، ويؤمنون بالإسلام ديناً ، وبالرسالات السماوية السابقة ، ويؤمنون بالبعث وبالقيامة والجنة والنار ، وأن الله سبحانه وتعالى لن يخلف وعده .

وفي الإمكان أن نستدل على الفرق بين الإسلام ، والإيمان ، والأول ظاهري والثاني قلبي باطني مستتر ، وذلك من قوله تعالى : « قالت الأعراب آمَنَّا قل لم تؤمنوا ولكنْ قولوا أسلمنا ، ولَمَّا يدخل الإيمان في قلوبكم » ـ الحجرات : ١٤ . وما جزاء الذين يؤمنون بالغيب ؟ ؟

يقول الحق تبارك وتعالى فيهم : « أولئك على هدى من ربهم ، أولئك هم المفلحون » ـ البقرة : ٥ .

ومن ثم نجد مدخل الشيطان إلى النفس البشرية ، حيث يمارس نشاطه وإضلاله على أوسع نطاق ، إذ يقتحم النفس من باب العقائد ، لأن فيها غيبيات لم ترها البصائر المجردة ، وإنما نحن مطالبون بتصديقها ، والتسليم بها ، وهي محل ظنون ومراودة مع النفس البشرية ، ولكن النفس المطمئنة التي أثنى عليها القرآن تأخذ ذلك قضية مقطوعاً بها لا جدال نحوها ولا خلاف عليها .

قال تعالى : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء » ـ إبراهيم : ٢٧ .

وفطرة النفس دائماً تزج بها إلى التعلق بالغيب ، والتفكير فيه ومحاولة الإستدلال عليه ، وتصور أبعاده ، وهذا لا جرم منهكة للعقل مدعاه للنصب .

والإستسلام للشياطين هو سبب بلاء بني آدم من قديم الأزل ، ولكن رغم ذلك فإن لا سلطان للشيطان على الأقوياء ، ولا المخلصين من عباد الله .

ننتهي من ذلك إلى أن سلطان الشيطان إنما يكون دائماً على غير المؤمن القوي الإيمان ، فالشيطان قوي على الضعفاء ضعيف على الأقوياء ، وهذه نتيجة مقطوع بها مشهود على صدقها .

قال تعالى : « فبعزتك لأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين » ـ ص : ٨٢ .

وقوله : « فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم » ـ الأعراف : ١٦ .

وهنا نرى أن الله سبحانه وتعالى ، واثق من عباده المخلصين ، لن ينالهم من الشيطان سوء .

ولقد كان عمر بن الخطاب يهابه الشيطان بل ويفر منه لقوته وشجاعته ، وصلابته في الحق .

قال فيه ﷺ : « لو سلك عمر طريقاً لسلك الشيطان غيره » من قوة بأسه ، وبأس قوته .

وقوله ﷺ : « إن الشيطان ليفرق منك يا عمر » .

ويحذرنا القرآن الكريم من سوء عاقبة من يتبعون الشيطان ، فيقول الحق تبارك وتعالى : « ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ، وأن أعبدوني هذا صراط مستقيم ، ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً ، أفلم تكونوا تعقلون ؟ » ـ يس : ٦٠ ـ ٦٢ .

وهنا جعل القرآن الكريم الصلة بين الشيطان وأوليائه إنما هي صلة المعبود بالنسبة للعابد » . « وأن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » ـ الأنعام : ١٢١ . وهنا الوحي بين الشيطان وأوليائه صورة حية مجسدة لمدى تملك الشيطان وسيطرته ، ومراسه .

وقد ثبت لنا من مراجع عديدة أن من يسمونهم الأقطاب[1] أنهم كانوا يسخرون الجن بأساليب السحر ليؤكدوا للناس أنهم يتصرفون في الكون كيف يشاءون ، وأنهم قد منحوا هذا التصريف في الكون لكرامتهم ، وقد فتن فيهم كثيرون وفتن بهم ألوف بل أجيال شتى ممن ضعف إيمانهم وقويت فيهم نزعة التسليم ، للأباطيل والخرافات .

وإنا لنشكو إلى الله سبحانه وتعالى أولئك الذين يدعون للإضلال ، والضلال ، ومحاولة طمس معالم الحضارة الإسلامية ، التي رسخت في القلوب وثبتت في الضمائر ، وامتزجت بحبات الأفئدة .

اللهم انصر الإسلام ، والمسلمين ، واجعل كلمة التوحيد خفاقة عالية .

لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم ، واجعله في صحائف أعمالنا يوم العرض عليك .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

القاهرة في مارس ١٩٨٣ م .
جمادي الأول ١٤٠٣ هـ .

السيدالجميلي
ص . ب . ٤٠٣ المعادي ١١٤٣١ .

---

(١) المقصود بهم بعض أئمة الصوفية فقد كانوا يخضرون الجن . أمام الناس . ويقولون إنها أرواح علوية . ولكنها في الحقيقة أرواح شياطين .

لا إله إلّا الله



لا إله إلا الله[1]

كلمة التوحيد التي تنطلق من صدور المؤمنين ، من قالها بحقها دخل الجنة أي وطأ القلب فيها اللسان ، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة[2] ، وسيخرج الناس أجمعون من النار أفواجاً وتباعاً بعد شفاعة رسول الله ﷺ إلا من حبسه القرآن وهو المشرك والكافر الذي لم ينطق كلمة التوحيد بحقها « لا إله إلا الله »[3] وحده لا شريك له وهي مكونة من الحروف الجوفية[4] وليست مكونة من الحروف الشفهية[5] للإشارة إلى صدورها وإنبعاثها من داخل البدن والقلب ، لا من الشفتين[6] .

ثم إن كلمة التوحيد هذه ليس فيها حرف معجم[7] بل جميعها متجردة عن النقط ، إشارة إلى التجرد عن كل معبود سوى الله سبحانه وتعالى . وعلى جادة

---

(١) معنى لا إله إلا الله . للإمام العمدة الفاضل بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ت ٧٩٤ هـ تحقيق وتعليق على محي الدين القره داغي ص ٩٠ .. إلى ص ٩٨ بتصرف وزيادة .

(٢) كما ورد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة .

(٣) راجع حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم .

(٤) الحروف الجوفية هي تلك الصادرة من داخل الجوف كالهاء .

(٥) الحروف الشفهية هي المنبعثة من بين الشفتين وهي ثلاثة الباء والفاء والميم .

(٦) أي أن شهادة لا إله إلا الله لا بد لصدقها أن يوافق القلب في النطق بها اللسان .

(٧) الحرف المعجم : هو الحرف الذي له نقط مثل الباء والشين والجيم . قال علماء اللغة أعجمت الحرف أي أزيلت عجمته ـ أي إبهامه بما يميزه عن غيره بنقط وشكل فمثلاً النقطة التي تميز الخاء عن الحاء وهكذا . راجع المصباح المنير .

البذل والفداء سنضحي من أجل رفع لواء هذه الكلمة .

وقول : « لا إلٰه إلا الله » على هذه الصيغة الخاصة الجامعة بين النفي والإثبات ليدل على حصر الإلٰهية لله تعالى ، فإن الجمع بين النفي والإثبات أبلغ صيغ الحصر[١] . وقد ثبت العلم الضروري بالإكتفاء بهذه الكلمة الشريفة في إثبات التوحيد لله تعالى من غير نظر إلى واسطة بين النفي والإثبات . ولا إنضمام لفظ آخر إليه .

لكن : هل إفادتها لهذا الإثبات بوضع لغوي أو شرعي ، أو أنها إنما تفيد نفي شركة إلٰه آخر ؟[٢] .

فأما إثبات الإلٰهية لله تعالى[٣] فإنه معلوم بالعلم الضروري الحاصل في

---

(١) الحصر هو عبارة عن إيراد الشيء على عدد معين . والحصر إما عقلي كحصر العدد على الزوج والفرد وحصر المعبود بحق على ذات الله تعالى . أو حصر وقوعي كحصر الكلمة في ثلاثة أقسام . أو حصر جعلي كحصر الرسالة (مثلاً) على مقدمة وثلاثة أبواب . والجمع بين النفي والإثبات في كلمة التوحيد يسمى في عرف أهل البلاغة بالقصر وهو جعل أحد طرفي النسبة في الكلام مخصوصاً بالآخر . بحيث لا يتجاوزه إما على الإطلاق فهو القصر الحقيقي . أو بالإضافة إلى شيء آخر فهو القصر الإضافي وكل منهما نوعان : قصر الصفة على الموصوف وذلك بان تحصر هذه الصفة على الموصوف . وقصر الموصوف على الصفة . وهذا لا يكاد يوجد . فعلى هذا : فكلمة : « لا إله إلا الله » قصر حقيقي من قصر الصفة وهي الألوهية بحق ـ على الموصوف ـ وهو الله تعالى ـ فلا يشاركه فيها أحد .

(٢) راجع دلائل الاعجاز باب القصر للإمام عبد القاهر الجرجاني .

(٣) لا خلاف بين العلماء أن كلمة « لا إله إلا الله » تدل على نفي الألوهية لغير الله تعالى بوضعها اللغوي كما لا خلاف بينهم في أنها تدل على إثبات الألوهية لله تعالى لكن الخلاف في أن إفادتها لهذا الإثبات هل بوضع لغوي أو شرعي وبعبارة أخرى هل دلالتها عليه بطريقة الحقيقة أو الإشارة .

فذهب الحنيفة إلى أن دلالة الإستثناء على نفي الألوهية لغير الله تعالى التزامية وأن دلالته على إثبات الإلهية لله تعالى بالإشارة والقرائن الدالة على أن المقصود بكلمة الشهادة هو التوحيد .

وذهب القاضي الباقلاني إلى أن دلالتها عليه على سبيل الضروري .

وذهب الجمهور إلى أنها دلالة لغوية .

راجع : شرح أنوار السعادة (ق ١٤/ ب)

الطباع[1] لكل عاقل وعند هذا القائل : المقصود بالإثبات ثبوت صفة مدح لله تعالى . وأدعى بعضهم أن هذا الإثبات حصل بالقرينة مع اللفظ . والقرينة : حصول العلم بأن المطلوب من الخلق على ألسنة الرسل إثبات التوحيد ، فدل بالقرينة على أن الناطق بالشهادة إنما يريد هذا المعنى ، وهذا يقرب من القول : بأن الإستثناء من النفي ليس إثباتاً . متمسكاً بأن الألفاظ الموضوعة للدلالة على الأحكام الذهنية لا على الأمور الخارجية[2] . والحق أن خطاب المكلفين بهذه الكلمة الشريفة ، وتكليفهم إياها ليس إلا لإثبات إلٓهية الله تعالى وحده ، لإكتفاء الشارع وهو رسول الله ﷺ بها من غير إعتبار لفظ زائد عليها .

---

(١) وهذا معناه قولنا أن تكوين الكائنات يشهد للخالق سبحانه وتعالى بالألوهية فالوحدات البنائية للموجودات مادة مسبحة خيرة .
قال تعالى : ـ « سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض . ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » .
ومن ثم يكون واجب ولازم علينا تصديق كل ما يحدثنا بة الله من غيب . ومن هذا الغيب أنه أخذ العهد علينا قبل خلقنا(وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم.وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا بلى) .
وهنا أقر بنو آدم بوحدة وربوبية الخالق جل شأنه قبل أن يصبحوا في عالم الوجود .

(٢) أي أن الخلاف في دلالة « لا إله إلاّ الله » على إثبات الألوهية لله تعالى راجع إلى الخلاف الكبير بين الأصوليين في أن الاستثناء من النفي هل هو إثبات . ومن الموجب نفي على سبيل الحقيقة أم لا ؟ .
فذهب الحنيفة : إلى أن الاستثناء من النفي لا يكون إثباتاً وبالعكس . وذلك لأن بين الحكم بالنفي وبين الحكم بالاثبات واسطة وهي عدم فمقتضى الاستثناء بقاء المستثني غير محكوم عليه لا بالنفي ولا بالإثبات . فإذا قال شخص : لفلان عليَّ ألف درهم إلا مائة معناه عندهم على تسعمائة فهذا إقرار بتسعمائة . أما الدلالة على نفي « مائة » فهي مسكوت عنها .
وقد استدلوا على ذلك بقوله (ﷺ) : (لا نكاح إلا بوليّ)حيث يدل على عدم تحقيق النكاح عند عدم وجود الولي . ولا يدل على تحقيق النكاح مع وجود الولي . لأنه يجوز أن يحضر الولي والشاهدان ولا يتحقق النكاح بأن لم يتلفظا بالصيغة وذهب الجمهور إلى أن الاستثناء من النفي إثبات ومن الإثبات نفي . فمعنى على ألف إلا مائة أي إلا مائة ليست على .
واستدلوا بالإجماع . وذلك أن العلماء جميعاً أجمعوا على أن كلمة : « لا إله إلاّ الله » وضعت للتوحيد . ومعناها النفي والإثبات .

ولولا إفادتها التوحيد لوجب بيان الواجب الزائد عليها (١)، فإن التوحيد هو المقصود الأصلي من بعثة الرسل. وإتفاق الخاصة والعامة سلفاً وخلفاً أن مدلولها إثبات التوحيد، وإطلاقهم عليها: «كلمة التوحيد» إجماع منهم. فدعوى زائد على ذلك تشغيب[٢] على الشرع بالمصطلحات الجدلية وهو غير معتبر ولا جائز.

وقد استدل أيضاً على عدم الواسطة[٣] بأن النكرة بعد «لا» لنفي العام فتفيد نفي كل آلهة، فإلا بعدها لإثبات ضده وهو ثبوت الإلٰهية لله تعالى. وهذا ظاهر.

وأنشد:

وليس يصح في الأفهام شيءٌ … إذا احتاج النهار إلى دليل[٤]

ولكن الزمخشري سوّى بين «لا إله إلا الله» وبين «ما من إله إلا الله»[٥].

---

(١) وذلك لأنه لا يمكن تأخير البيان عن وقت الحاجة كما نص على ذلك العلماء. ومهمة الرسول (ﷺ) أن يبين للناس ما نزل إليهم. فلا يكلف الشارع أحداً بشيء ويأمره بتنفيذه ويأتي وقته إلا وقد بين له ما يتعلق به من أحكام فإذا لم يكن البيان مع التكليف نفسه يأتي بعده عند وقت الحاجة.
راجع: المحصول للإمام الرازي (ق ٣ / جـ ١ / ٢٨٠ ـ ٢٢٣) ونفائس القرافي (٢/٢٣٦ ب) والمعتمد (١/٣٤٢).

(٢) قال الفيروزابادى: شغبهم أي هيج الشر عليهم. ويقال شغبهم بالتحريك. أنظر القاموس المحيط.

(٣) أي استدل القائلون بأن الإستثناء من النفي إثبات وبالعكس. وأنه لا واسطة بينهما بأن النكرة ... والحنيفة هم هم الذين أثبتوا الواسطة فقالوا أن قولنا: على ألف إلا مائة لا يدل على الإقرار بأنه ليس عليه مائة من الألف بل هذا مسكوت عنه. وكل ما يدل عليه هو الإقرار بوجود تسعمائة عليه.
راجع: كشف الاسرار عن أصول البزدوي (٣/١٢٧).

(٤) راجع ديوان المتنبي بشرح عبد الرحمن البرقوقي جـ ٣.

(٥) راجع: المفصل وشرحه (١/١٠٨).

لأن كل واحدة من الجملتين، اشتمل الكلام منها على نفي وإثبات. و« من » المؤكدة للنفي المستغرق [1] في إحدى الجملتين ملفوظ، والأخرى تضمنت الجملة معناها.

والظاهر أن « لا إله إلا الله » أبلغ ولهذا اختيرت في الأغلب. وسببه أن « لا » أقعد بالنفي العام المقصود ههنا من « ما ». ألا ترى أن المقصود من « لا » نفي الذوات بدليل حذف خبرها كثيراً [2] إيذاناً بأن الغرض الاسم، لا الخبر، ولا يمكن أن يحذف خبر « ما » لأنه المقصود بالنفي، فلما كان المقصود في باب كلمة التوحيد نفي ذات إله سوى الله تعالى كانت « لا » أقعد بذلك.

وأيضاً فإن الحرف الذي هو « من » إذا حذف وضمن الاسم معناه وركب « لا » كان أبلغ من بناء الحرف، لأن التضمين يصير الاسم دالاً على الاستغراق، ودلالة الاسم أمكن من دلالة الحرف [3]. ثم التركيب يحدث زيادة لا تكون قبله.

ثم أن استغراق المفرد أكثر تناولاً لأفراد المسمى من استغراق الجمع. بدليل صحة: « لا رجال في الدار » إذا كان فيها رجل أو رجلان. دون: « لا رجل »، فإنه لا يصدق إذا كان فيها رجل أو رجلان.

---

(١) قال أمام الحرمين: فإن « من » وأن جرت زائدة فهي مؤكدة لتعميم قاطعة للاحتمال.
البرهان: (٣٣٩).

(٢) هكذا صرح به النحاة فقالوا: ان « لا » لنفي الجنس أي الماهية وأما « ما » فهي لنفي الحال. كما أن خبر « لا » يحذف كثيرا عند الحجازيين. وأما بنو تميم فلا يثبتوه. في حين أن خبر « ما » لا يحذف إلا لقرينة دالة عليه.
راجع: شرح المفصل بن يعيش (١/١٠٥ ـ ١٠٨).

(٣) لأن دلالة الاسم على معناه دلالة مستقلة. وأما الحرف فلا يتم معناه إلا بغيره
راجع: الكافية لابن الحاجب ص (٢) وشرح المفصل (١/٢٢).

ومن هنا يظهر لطف قوله تعالى حاكياً عن زكريا (عليه السلام) : (إني وهن العظم مني)[1] ولم يقل (إني وهن العظام مني) .

(١) سورة مريم : ٤ . قال القرطبي : ووحد « العظم » ـ أي ذكره بلفظ المفرد دون الجمع ـ . لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية . وقصده إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود . والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ـ أي الضعف ـ ولو جمع لكان قصد إلى معنى آخر وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها . راجع : تفسير القرطبي .

الشيخ القطب الرّباني ...!!

أنه محي الدين بن عربي صاحب الفتوحات المكية صاحب مدرسة الحلول والإتحاد ووحدة الوجود ، يفتري لنفسه ولأعوانه من الصوفية ربا غريباً عجباً يجمع بين النقيضين المتوترين في ذاته ، وبين الضدين الحقيقيين في صفاته . فهو الوجود الحق ، وهو العدم الصرف ، هو الخلاق ، وهو المخلوق ، هو عين كل كائن ، وصفاته عين صفات كل موجود وكل معدوم ، هو الحق الكريم والباطل اللئيم ، هو الفكرة العبقرية ، والخرافة الحمقاء ، هو الخاطر الملهمة . والوهم الذاهل ، والخيال الحيران ، هو المؤمن ، وهو الكافر ، هو الموحد الخالص التوحيد ، وهو المشرك الأصم الوثنية . هو الجماد الغليظ ، وهو الحيوان ذو المشاعر المرهفة ، والحساسية المتوقدة ، هو الملاك الساجد تحت لعرش ، وهو الشيطان الذي يصطرخ في سقر ، هو القديس الناسك يذوب قلبه في دموع التسابيح ، وهو العربيد يضج المأخور من بغي خطاياه ، هو الراهبة التي تحيا على محبة الله وتقواه ، وهو الغانية التي تحيا للجسد المبذول ، وتعيش على ثمنه ، هو النور يغمر الوجود بمباهجه ، وهو الظلام مواد الكهوف بالفزع والرهبة ، تلك هي بعض ذاتيات رب ابن عربي ، وبعض خصائص الإله الصرفي !! [1] .

---

(١) « هذه هي الصوفية » : من أعظم ما كتب عن هذه الفرقة التي تكشف عوارها للشيخ عبد الرحمن الوكيل . بتصرف .

ولهذا يؤمن الصوفي بأن اليهود عباد العجل ناجون ، بل يؤمن بأنهم كانوا على علم بحقيقة الألوهية ، لم ينعم موسى ولا هرون بلمحة من تخلياته ، ولا ببارقة من انكشاف الأسرار الإلهية المغيبة له !! لأنهم ما قصروا العبادة على فكرة مجردة خاوية كموسى ، وإنما عبدوا الرب متجلياً في صورة عجل[1] ، فأدركوا من حقيقة الأمر ما لم يدركه هرون ، وهو أن الذات الإلهية لا تعبد إلا حين تتجلى في صور خلقية !!.

ولهذا نجد الشاعر الصوفي يترنم بنظرية الحلول والوحدة والإتحاد فيجعل الله قد تشكل في صورة مخلوقاته على اختلاف أشكالها وألوانها ، واتحدت هي به فيقول :

وما الكلب والخنزير إلا إلهنـــا ... وما الله إلا في صـــوت إنسان

الثالوث الصوفي والثالوث المسيحي

لمن كان له قلب ... هذه تذكرة وموعظة ... لم تؤمن المسيحية بتجسيد الذات الإلهية وحلولها في كل شيء ، في الحيوانات في البهائم في الحشرات ، ولكن قالت بحلولها في جسد طاهر ومع هذا فإننا في عقيدة الإسلام الصافية الخالصة تعتبرهم مشركين ، وجزاؤهم جهنم وبئس المصير ، لكن الصوفية آمنت بتجسيد الله في كل الكائنات منها الحيوانات والجيف والأوثان وهنا بقول الشاعر الصوفي الوثني الكبير :

تثلث محبوبي وقد كان واحداً ... وصيّر بالذات الأقانيم أقنمـــا

---

(١) وهذا معنى قوله بان الروح الإلهي حل في كل المخلوقات ومنها العجل والكلب والخنزير ... الخ . وسنناقش هذه النظرية فيما يلي في هذا الكتاب بالتفصيل ونرد عليها وعلى افتراءاتها .

وطعنات بعض الصوفية للإسلام تأتي من طرف خفي ... فهي تكيد للإسلام باسم الإسلام وتصف الرب بأقبح الصفات بأنه تتلظى غرائزه وتنزو رغباته الجنسية الجامحة وتتسعر شهواته الملتهبة ، وهو يتجسد عندهم في صورة أنثى حسناء غانية(١) ... حسبنا الله ونعم الوكيل .

الأقانيم الثلاثة

ويؤمن محيي الدين بن عربي إيماناً مطلقاً يقينياً بسمو إيمان الذين عبدوا ثلاثة آلهة غير أنه يعيب عليهم قصورهم عن إدراك الحقيقة كاملة ، إذ عبدوا الله في ثلاثة أقانيم ، على حين كان الواجب أن يعبدوه في كل شيء ، فليس الرب عنده هو تلك الأقانيم فحسب ، وإنما هو عين ما يرى أو يحس ، وعين ما لا يرى ، وما لا يحس ، فأصحاب الثالوث عنده مخطئون ، لأنهم عبدوا بعض مظاهر الرب ، أو بعض تعيناته وكان واجباً أن يعبدوه في الكل ، لأنه هو ذلك الكل فيما ظهر منه ، وفيما بطن ! !(٢) .

وهل الرب كل شيء ؟؟

واسمع إليه يؤكد له أن كل شيء هو الله سبحانه : « سبحان من أظهر الأشياء ، **وهو عينها** »(٣) « أن العارف من يرى الحق (الله) في كل شيء ، **بل يراه عين كل شيء** » وكلمة « شيء » في دين الصوفي تطلق حتى على الصور الذهنية

---

(١) راجع هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل وكتاب « الصوفية الوجه الآخر للاستاذ الدكتور محمد جميل غازي أعده عبد المنعم الجداوي المحرر بمجلة المصور بدار الهلال بالقاهرة .

(٢) فصوص الحكم لابن عربي « الفص العيسوي » و « الفص المحمدي » .

(٣) الفتوحات المكية لابن عربي .

والوهمية وعلى العدميات ، فوق إطلاقها على كل موجود له كيانه المادي المستقل المتقدم بذاتياته وخصائصه . فابن عربي كما ترى أصرح الدعاة إلى وحدة الوجود ، بل هو كاهنها الأكبر !! .

وكلمة التوحيد التي ناقشناها وفصلناها وأجملنا مـا قيل فيها في تصديرنا يهدمها محيي الدين بن عربي ويقوضها من أساسها ، فإن العدو اللدود لابن عربي كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » .

صفات الرب عند ابن عربي

لم يرع ابن عربي للجلالة قدسية ولا احتراماً إذ يتعدى أصول الذوق فيصف الرب بصفات الخلق فيقول : « ألا ترى الحق يظهر بصفات **المحدثات** ، **وأخبر بذلك عن نفسه** ، **وبصفات النقص** ، **وبصفات الذم** ؟ ! ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق من أولها إلى آخرها ـ وكلها حق له ـ كما هي صفات المحدثات حق للحق »[1] .

لقد خشي ابن عربي أن يتوهم فيه إنسان إنه يطلق صفات الخلق على الله سبحانه إطلاقاً مجازياً ، أو يطلق صفات الله على خلقه كذلك . خشي هذا ، فمحا توهم المجاز عن الأولى بقوله : « كما هي صفات المحدثات حق للحق » فلا تتوهم مجازاً ما فيما يحكم به ابن عربي على ربه ، أو فيما يصفه به من ذم ونقص وعجز . ومحاه عن الأخرى بقوله : « وكلها ـ أي صفات الله من ربوبية وإلهية وخالقية ورازقية ، وسواها مما هو من صفات الله وحده ـ حق له» ، أي للمخلوق ، فالخلق يوصف بصفات الله على الحقيقة لا على المجاز !! ذاك دين ابن عربي .

---

(١) فصوص الحكم لابن عربي .

الوجود والعدم رب الصوفية الشاطحة

ورب الصوفية في دين ابن عربي يستغرق كل نسبة عدمية ، أو وجودية « فالعلى لنفسه ، هو الذي يكون له الكمال **الذي يستغرق به جميع الأمور الوجودية ، والنسب العدمية ، بحيث لا يمكن أن يفوته نعت منها وسواء كانت محمودة عرفاً وعقلاً وشرعاً ، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً ، وليس ذلك إلا لمسمى الله تعالى خاصة** »[١] .

فأي رب هذا الذي يبعثه وجود ، ويفنيه عدم ؟ أي رب هذا ؟

ويصف ابن عربي التكوين الإنساني بالنسبة للعالم الموجود فيه فيقول : « الإنسان روح العالم وعلته ، وسببه وأفلاكه ومقاماته وحركاته ، وتفصيل طبقاته .. وأعلم أن أكمل نشأة الإنسان إنما هي في الدنيا »[٢] .

ويسترسل القطب الصوفي بما أوتي من العلم اللدني الغيبي فيقول : « وصور الإنسان بعد الموت تتنوع بتنوع أحواله في الدنيا ، فكن على أحسن الحالات تكن على أحسن الصور »[٣] .

ويمضي ابن عربي الصوفي يقول :

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنىَّ توجهت ... ركائبه فالحب ديني وإيماني[٤]

---

(١) المرجع السابق نفسه .
(٢) الفتوحات المكية لابن عربي جـ ١ ص ١١٨ .
(٣) كتاب التراجم لابن عربي ص ٣٥ .
(٤) ذخائر الإعلان وترجمان الأشواق لابن عربي ص ٣٩ وتاليتها .

ويقول ابن سبعين : « السعادة هي معرفة الحق ما يجب من أجله » يكون مناط الذم من الشرع والعقل والعرف والوجدان ؟

لقد أوسع ابن عربي ربه ذماً ... وحسابه على الله .

والشيخ العارف بالله الوثني النحلة الجيلي أنظر ماذا يقول عن رب العزة جل شأنه :

يقول الجيلي : « إن الحق تعالى من حيث ذاته ، يقتضي ألا يظهر في شيء ، إلا ويعبد ذلك الشيء ، **وقد ظهر في ذات الوجود؟!** »[1] » ويزيد ابن عربي الفرية جلاء بقوله : « والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلي للحق يعبد فيه ، ولذلك سموه كلهم إلهاً ، مع اسمه الخاص بحجر ، أو شجر ، أو حيوان ، أو إنسان ، أو كوكب ، أو ملت »[2] .

فهل تراني جنحت إلى غلو ما حين قلت لك : أن الصوفية استمدت من كل كفر ، ودانت بكل ما دان به الكافرون من قبل ، فكانت هي وحدها تاريخ الوثنية كلها ، وحمأتها مند ابتدعها إبليس ليضل الكافرين ؟! .

ألا ترى ابن عربي **حفي القلب والشعور والعاطفة بعبادة الحجر والشجر « آلهة الجاهلية »** وبعبادة الحيوان « **آلهة الفرعونية واليهودية** » وبعبادة الكوكب والملك « **أي آلهة الصابئة** » ؟!

---

(١) الإنسان الكامل للجيلي .

(٢) فصوص الحكم ص ١٩٥ جـ ١ . ونرد على هؤلاء الصوفيين أرباب وحدة الوجود وأرباب الحلول فنقول لهم ما الفرق إذن بينكم وبين وثنية الجاهلية الأولى . أن القدماء تصوروا الله في صورة إبليس أو راعٍ أو أتون من جهلهم الفاحش . وقد عرفوا أن الله موجود وأنه كل شيء وإنما عبدوا هذه الأشياء والرموز متصورين الله فيها . فهل لهم حجة على الله ؟؟؟ هيهات .

الجيلي هو الله

يسترسل الجيلي في أقواله ، ويمد بساط تطاوله على حرمة وقداسة الجلالة ، فيرى **أن الله هو الجيلي وأن الجيلي هو الله** ، وأن الانسان الكامل هو عيد العالم وعيد الله[1] .

وقد تبلورت عقيدة الجيلي في هذين البيتين اللذين أنشدهما :

« **لي الملك في الدارين** ، لم أر فيهما سواى ، فأرجو فضله ، أو فأخشاه
وقد حزت أنواع الكمال ، وإنني جمال جلال الكل ، **ما أنا إلا هو** »

هذا قول الجيلي . والله يقول : (ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير) ولكن الجيلي يفتري أن له وحده ملك الدنيا والآخرة وأنه ليس للوجود رب سواه ، ولا ليوم الدين ملك غيره ، وأنه الغني بذاته ، فلا تنفح قلبه رغبة في نعمة من أحد ، لأنه الوهاب للنعم . ولا تلفح نفسه رهبة من سلطان ، لأنه ملك الكل ومالكهم !! ولم يكتف الجيلي بهذا ، بل مضي يعدد أنواع الخلق ، وصور الوجود المادي والحسي والروحي والمعنوي ، **ليزعم** بعدها أنه هو عينها ذاتاً ووجوداً ، فلا يتوهم وأهم أن شيئاً ما في الوجود يغاير الجيلي ، أو يخرج عن حقيقة ذاته ، فقال :

« فهمهما ترى من معدن ونباته وحيوانه مع انسه وسجاياه
ومهما ترى من أبحر وقفاره ومن شجر ، أو شاهق طال اعلاه
ومهما ترى من صورة معنوية ومن مشهد للعين طاب محياه
ومهما ترى من هيئة ملكية ومن منظر إبليس قد كان معناه[2]

---

(١) راجع جامع الأصول في الأولياء .

(٢) هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل .

هل ترى بعد ذلك جرأة على حظيرة الدين الإسلامي[١] .

وينصب الجيلي نفسه إلّهاً على هذا الكون الذي لا يشكل ذرة من ذراته ، بل لا يملك لنفسه شيئاً ، وتغلب عليه شهوة الجنس الرعناء الحمقى فيصف الإلّه بها ؟ تأمل قول الجيلي :

ومهمـا ترى من شهـوة بشريـة — لطبع ، وإيثار لحق تعاطـاه
ومهمـا تـرى من عرشـه ومحيطـه — وكرسيـه ، أو زخرف عز مجـلاه
فإني ذاك الكل ، والكل مشهـدي — أنا المتجلي في حقيقته ، لا هـو
وإني رب للأنـام وسيـد — جمع الورى اسم ، وذاتي مسماه »[٢]

أرأيت إلى الجيلي بأية وثنية ينعق ؟ وبأية مجوسية يدين ؟ أرأيت إليه في قوله : « أنا المتجلي في حقيقته لا هو ؟ » يا للجيلي ! ! يحكم على الوجود الحق بالعدم الصرف ! !

أرأيت إليه في زعمه أنه « رب للأنام وسيد ؟! » .

أرأيت إليه ـ وقد جنت شهوة الصوفية فيه ـ يفتري أن الشهوات إحدى مقومات الوجود الإلّهي ، وأنها في دنسها عين وجوده ؟! وأن إبليس في غيه وتمرده هو عين الرب الأعظم ؟! وأن كل اسم في الوجود هو اسم لله سبحانه .

---

(١) ومروق : خروج على الدين .

(٢) الإنسان الكامل للجيلي جـ١ ص ٣٢ وما تلاها . وهن الوثنية الصريحة من الوضوح والبيان لا تحتاج إلى تعليق . ولما أن أوضحنا هذا للناس في كتب سابقة . ثارت ثائرة بعض الصوفيين . ودافعوا عن هذا الكفر العلني الصريح وقالوا إننا متحاملون على أقطابهم وأئمة الفكر عندهم فبالله عليك عزيزي القاريء .. ماذا ترى ؟؟ .

لأنه عين كل مسمى . وأن كل صفة لكائن ما ، هي لله صفة ، لأن عين الموصوف بها ؟ فعلام يدل كل هذا ، أو أثارة واحدة منه ؟[1]

فضيلة الشيخ حجة الإسلام المسرف على نفسه

حظي هذا الإمام الجليل على لقب ثمين وتقدير عميق من متطرفي الصوفية ، فهم الذين أعطوه لقب حجة الإسلام ، وهم الذين أضلوه وضللوه في تيه الضياع وغيابات الأوهام .

فهو يتحدث عن التوحيد بأنه ذو مراتب أربع فيأتي في المرتبة الثالثة ويقول : أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين ، وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ، ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار .

ومن الغريب أذكر موقفاً للغزالي يبدو فيه مشفقاً على الحلاج[2] مدافعاً عنه وهذا الحلاج هو الذي يقول :

سبحان من أظهر ناسوته ... سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً ... في صورة الآكل الشارب[3]
حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب

* * *

---

(١) انظر إلى الحلاج يقول : ـ « ما في الجبة إلاّ الله » . ولما سئل الغزالي عن مثل هذه الشطحات قال : كلام العشاق في حال السكر يطوى ولا يحكى . فيصف الغزالي هذه الزندقة بأنها هتفات وخلجات أرواح سكرت في عشق الله .

(٢) هو الحسين بن منصور الحلاج كان صوفياً مجرحاً صلب سنة ٣٠٩ هـ بعد أن أنظر وأمهل فترة ليتوب وليسلم من هذه فلم يحدث فأعدم .

(٣) وهنا يصير الخالق والمخلوق مشتركان في الصفات .

مزجت روحك في روحي كما تمزج الخمرة بالماء الزلال
فإذا مسك شيء مسني فإذا أنت أنا في كل حال[1]

يقول الشيخ أبو يزيد البسطامي : « أول ما صرت إلى وحدانية الله فصرت طيراً جسمه من الأحدية وجناحاه من الديمومة ، فلم أزل أطير في هواء الكيفية عشر سنين ، حتى صرت إلى هواء مثل ذلك ألف ألف مرة ، فلم أزل أطير إلى أن حدث في ميدان الأزلية فرأيت فيها شجرة الأحدية »[2] .

ويقول ابن الفارض في تائيته المشهورة :

وما عقد الزفار حكماً سوى يدي فإن حل بالإقرار بي فهي حلت
وان نار بالتنزيل محراب مسجد فما بار بالإنجيل هيكل بيعة
وأسفار توراة الكليم لقومه يناجي بها الأحبار في كل ليلة
وإن خر للاحجار في البيد عاكف فلا وجه للإنكار بالعصبية[3] .

يقول سهل التستري : « الجنة معاينة الحق بمعنى القرب الذي جعله بينه وبينهم ، فيرى العبد قلبه في قرب الحق مشهوداً في غيب الغيب ، وغيب الغيب هو نفس الروح وفهم العقل وفطنة المراد بالقلب ... وأن نفس الروح موضع العقل ، هو موضع القدس ، والقدس متصل بالعرش وهو اسم من أسماء العرش »[4] .

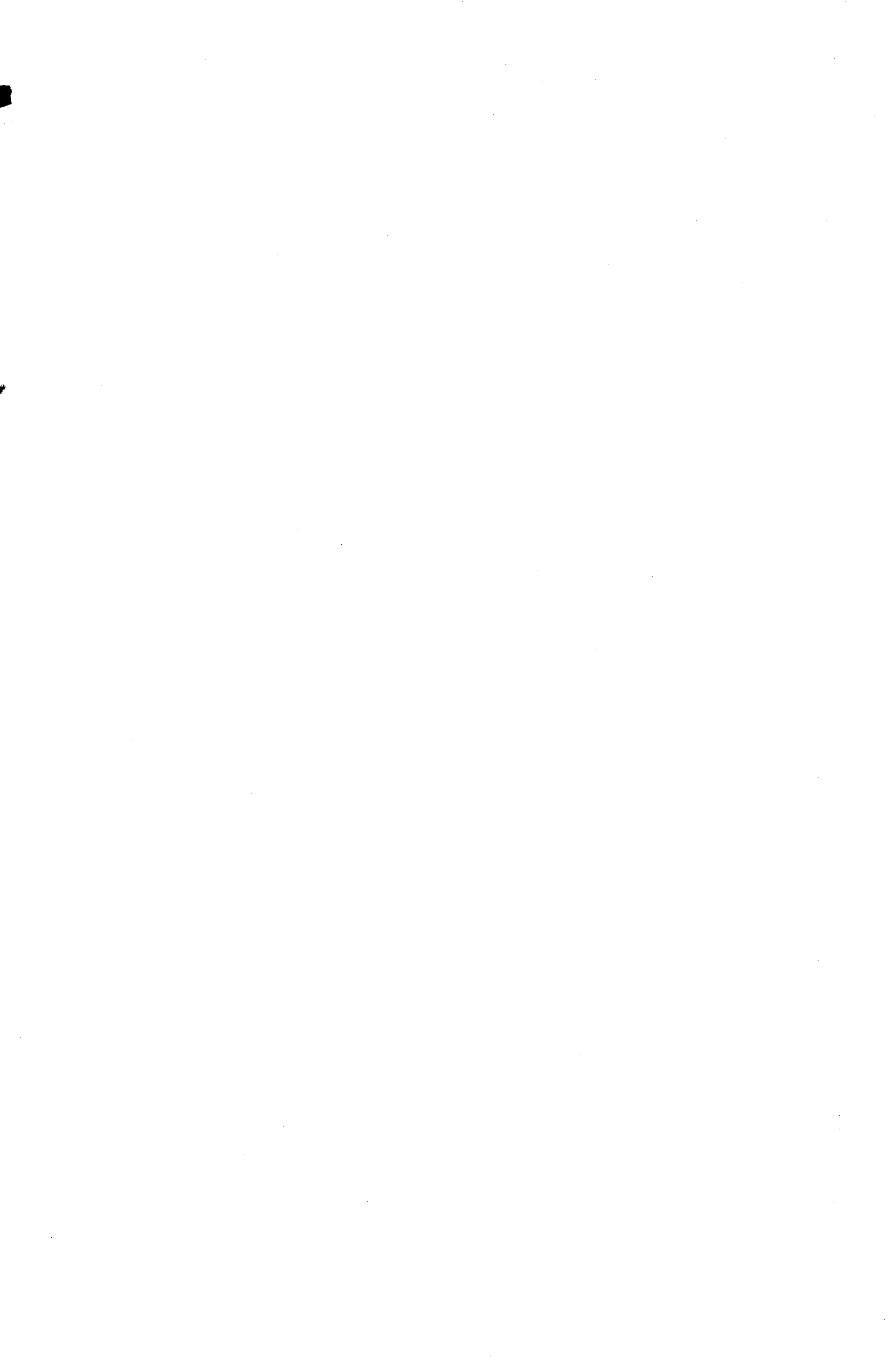
---

(١) الطواسين للحلاج ص ١٣٠ . ١٣٢ .
(٢) دائرة المعارف الإسلامية . مادة التصوف للشيخ مصطفى عبد الرزاق
(٣) راجع تائية ابن الفارض . شرح الكاشاني ص ٤٦٣ وتاليتها .
(٤) لتستري : تفسير القرآن ص ١٠٧ .

ويقول التستري أيضاً : « بدء الأشياء المعرفة وآخرها العلم وبدء الشيء العلم وآخره المعرفة ، وآخرها باب من العلم أول باب من المعرفة ، وأول باب من المعرفة السكون إلى الله عز وجل ، وكمال الذكر هو العلم بالمشاهدة »[1] .

(١) شرح دبيان للتستري ص ١٥٤ .

الاستدلال على وجود الله



منهج القرآن في الاستدلال على وجود الله

اتخذ القرآن منهجاً عقلياً وسلك طريقاً علمية لتلائم العقل البشري للإستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء وبيده ملكوت كل شيء ، وهذا المسلك هو الذي سلكه الأشعري والباقلاني وشيخ الإسلام ابن القيم .

ولقد عاد القرآن الكريم في غير موضع ، إذ يلفت الأنظار إلى ما في السموات والأرض واختلاف الليل والنهار من أيات تدل على الخالق سبحانه وتعالى :

« أن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » ـ البقرة : ١٦٤ .

وقال تعالى : « سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » ـ يس : ٣٦ .

وهنا نجد القرآن الكريم يعطي دليلاً حسياً ملموساً إذ يستدل بما تنبت الأرض ثم بالأنفس ويمتد هذا الاستدلال الحسي المشهود إلى الغيب المحجوب اللامشهود وهذا أسلوب فريد يتيم لم يسبق له ولم يلحق فيه .

فالقاعدة العامة أن الذي يصدقك فيما تعرفه ، لا بد أن تصدقه فيما لا تعرفه .

وسلك الإمام ابن القيم مسلك القرآن الكريم في الاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى ، قال ابن القيم : « وتأمل حال العالم كله علويه وسفليه بجميع أجزائه تجده شاهداً بإثبات صانعه وفاطره ومليكه ، فإنكار صانعه وجحده في العقول والفطرة بمنزلة إنكار العلم وجحده لا فرق بينهما ، ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار ، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتمهما »[1] .

وقال : « وإذا تأملت ما دعا الله سبحانه في كتابه عباده إلى الفكر فيه أوقعك على العلم به سبحانه وتعالى وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله من عموم قدرته وعلمه وكمال حكمته ورحمته وإحسانه وبره ولطفه وعدله ورضائه وغضبه وثوابه وعقابه ، فهذا تعرف إلى عباده ، وندبهم إلى التفكير في آياته » ، وهكذا يمضي في الاستدلال على الله وصفات كماله بصنع الله الذي أتقن كل شيء من إنسان وأرض وهواء وسماء وليل ونهار كما بين الحكمة في كل ما خلقه الله باسباب . كل هذا ليتوصل إلى إثبات وجود الله وصفات كماله[2] .

قال الله تعالى : « كلا والقمر ، والليل إذا أدبر ، والصبح إذا أسفر إنها لإحدى الكبر نذيراً للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر » ـ المدثر : ٣٣ ، أقسم سبحانه بالقمر الذي هو آية الليل وفيه من الآيات الباهرة الدالة على ربوبية خالقة وبارئه وحكمته وعلمه وعنايته بخلقه ما هو معلوم بالمشاهدة ، ثم تحدث عن الشمس والقمر وخلقتهما وسيرهما في سبيلها دون خلل وإرتباك فقال : « وذلك مما يدل من له عقل على أنه بتسخير مسخر وأمر آمر وتدبير مدبر بهرت حكمته العقول ، وأحاط علمه بكل دقيق وجليل » ثم تكلم عن الأهلة وفائدتها للناس فقال : « فهي آيات ناطقة بلسان الحال على تكذيب الدهرية

(١) مدارج السالكين جـ ١ ص ٣٢ . ٣٣ مطبعة المنار .

(٢) مفتاح دار السعادة جـ ١ ص ١٩٧ . ٣١٥ مطبعة السعادة .

وزنادقة الفلاسفة والملاحدة القائلين : أنها أزلية أبدية لا يتطرق إليها التغير ، ولا يمكن عدمها ، فإذا تأمل البصير القمر مثلاً وافتقاره إلى محل يقوم به وسيره دائباً لا يفتر مسير مسخر مدبر وهبوطه تارة وإرتفاعه تارة وإفوله تارة وظهوره تارة ... علم قطعاً أنه مخلوق مربوب مسخر تحت أمر خالق قاهر مسخر له كما يشاء ، وعلم أن الرب سبحانه لم يخلق هذا باطلاً ، وأن هذه الحركة فيه لا بد أن تنتهي إلى الانقطاع والسكون ...

تأمل سطور الكائنات فإنها ... من الملك الأعلى إليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت خطها ... ألا كل شيء ما خلا الله باطل[1]

هذا المنهج الذي سلكه ابن القيم في الاستدلال على وجود الله وصفاته سبقه إليه أبو الحسن الأشعري ، جاء في الملل والنحل : قال أبو الحسن الأشعري : « الإنسان إذا فكر في خلقه من أي شيء ابتدأ ، وكيف دار في أطوار الخلقة طوراً بعد طور حتى وصل إلى كمال خلقه وعرف يقيناً أنه بذاته لم يكن ليدير خلقه ويبلغه من درجة إلى درجة ، ويرقيه من نقص إلى كمال عرف بالضرورة أن له صانعاً قادراً عالماً مريداً إذ لا يتصور صدور هذه الأفعال المحكمة من طبع لظهور آثار الاختيار في الفطرة »[2] .

فالأشعري يستدل على وجود الله بهذه المخلوقات ، وهي ليست دليلاً على وجود الله فقط ، بل هي دليل على قدم الله وعدم مشابهته للحوادث ، لأنه لو كان حادثاً لاحتاج إلى محدث ، وهذا يؤدي إلى التسلسل ، ولو كان مشابهاً للحوادث لكان حادثاً مثلها ، وليس حدوث العالم دليلاً على هذا فقط ، بل هو دليل على صفات الحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام ، لأنه

---

(١) أقسام القرآن المسمى بالتبيان ص ٥٩ ـ ٦٠ ـ ٦١ المطبعة الميرية بمكة .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني على هامش الفصل لابن حزم جـ ١ ص ١١٩ ـ ١٢٠ . المطبعة الأدبية .

لا يتصور من الميت خلق هذا العالم ولا العاجز كذلك ، وخلق هذا العالم يستلزم الاختيار قبل أن تتعلق قدرته بهذا العالم المدث ، ولو لم يتصف بالسمح والبصر والكلام لأتصف بأضدادها من الآفات وهذا محال ، لأنه هذه الآفات إنما يتصف بها المحدث فما أدى إليه باطل ، وإذا بطل عدم اتصافه بصفات السمع والبصر والكلام ثبت إتصافه بها[1] .

وجاء الإمام أبو بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني بعد الأشعري فسلك نفس مسلك الأشعري في الإستدلال على وجود الله ، قال الباقلاني : « لا بد لهذا العالم المحدث المصور من محدث ومصور ، والدليل على هذا أن الكتابة لا بد لها من كاتب ، ولا بد للصورة من مصور ، وللبناء من بان ، وأنا لا أشك في جهل من خبرنا بكتابة حصلت لا من كاتب وصياغة لا من صائغ »[2] وهذا يتجلى أمامنا أكثر في هذا الكتاب في فصل « إستدلال الإمام محمد عبده على وجود الله » وهو الفصل اللاحق التالي لهذا الفصل ومحتواه أن لكل صفة صانعاً ولكل فعل فاعلاً[3] .

استدلال الشيخ محمد عبده

سئل الإمام محمد عبده وهو في فرنسا من مجموعة من الفرنسيين :

ما الدليل على وجود الله ، أنهم يرون الكون خالق نفسه بنفسه بطريقة التوالد الذاتي ... فما رأى فضيلة الشيخ .

---

(١) اللمع للأشعري ص ٨ الأشعري للدكتور حمود غرابة ص ٩١ . ٩٢ . ٩٣ .

(٢) في كتابة « التمهيد في الرد على المعطلة والراقضة والخوارج والمعتزلة » ضبطه وقدم له وعلق عليه الأستاذان محمود محمد الخضيري . ومحمد أبو ريدة .

(٣) راجع ابن القيم للأستاذ عبد العظيم عبد السلام شرف الدين .

وقد عرف الشيخ محمد عبده بذكائه الحاد وذاكرته القوية وحافظته الثابتة فقال على الفور :

« لقد رأيت البارحة عجباً عجاباً ... قالوا باستغراب ... وما هو يا شيخ محمد عبده ؟ » .

قال : لقد أقلتني[1] البارحة من ميناء الاسكندرية بارجة متجهة إلى فرنسا تمخر عباب[2] البحر في انطلاق وقوة ، وكانت رزينة وقورة ثابتة متزنة إذا هاج البحر وماج وأرغى وأزبد هدأت من سرعتها وإذا سجا وسكن إزدادت سرعة البارجة في دقة هندسية رائعة ، وما أن جن الليل حتى توهجت الأنوار وتلألأت في نواحي البارجة ، وما أن اقتربنا من شاطيء مارسيليا حتى ألفيت هذه البارجة تهديء من سرعتها رويداً رويداً حتى التحمت بالشاطيء وسألت عن قائدها فقالوا ليس لها قائد فإنما تقود نفسها بنفسها ، فأخذتني الدهشة ثم سألت عن الكهربائي الذي وهج هذه الأنوار فأخبروني أنها أيضاً تتوهج أضواؤها من نفسها ذاتياً ...

فضحك الحاضرون وهللوا على الشيخ محمد عبده وأخذوا يهزؤن من قوله هذا ويتندرون عليه قائلين : هذه التخاريف التي ساقها إليهم الشيخ محمد عبده لا يصدقها عقل إذ كيف تسير البارجة في الماء وحدها وتحفظ اتزانها بهذه الدقة ، وكيف تتوهج الأنوار ذاتياً بغير فاعل مادي محسوس .

فرد عليهم محمد عبده رحمه الله : وكيف أذن تستبعدون أن للكون خالقاً يسير حركته ويدير أقطاره وأرجاءه ...!!

وهذا إستدلال فطري جميل مستملح ..

(١) أقلتني : أي حملتني أي ركبت . والبارجة هي الباخرة أو السفينة .
(٢) عباب البحر : أمواجه .

« والله سبحانه وتعالى عالم بذاته ، قادر بذاته حتى بذاته يعلم ويحيط بكل شيء علماً[1] ، وقدرة الله هي صفات قديمة ومعان قائمة به ، لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص وصف لشاركته في الألوهية ... واتفقوا على أن الإرادة والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاته »[2] .

أما الأشعري فإنه وإن تتلمذ على الجبائي المعتزلي ، فإن من المعروف في تاريخه أنه هجر الاعتزال ، وحارب المعتزلة ، فليس عجباً أن يخالفهم في صفات المعاني ، فأثبتها لله تعالى ، وقد نقل الشهرستاني نصاً له يبين مذهبه : « قال أبو الحسن : الباري تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حي بحياة مريد بإرادة متكلم بكلام سميع يسمع بصير يبصر وهذه صفات أزلية قائمة بذاته لا يقال هي هو ولا غيره ولا هو ولا غيره والدليل على أنه متكلم بكلام قديم ومريد بإرادة قديمة أنه تعالى ملك ، والملك من له الأمر والنهي فهو آمر ناه ، فلا يخلو إما أن يكون آمراً بأمر قديم أو بأمر محدث ، فإن كان محدثاً فلا يخلو إما أن يحدثه في ذاته أو في محل أولاً في محل ، يستحيل أن يحدثه في ذاته لأنه يؤدي إلى أن يكون محلاً للحوادث ، وذلك محال ، ويستحيل أن يكون في محل لأنه يوجب أن يكون المحل به موضوفاً ، ويستحيل أن يحدثه لا في محل ، لأن ذلك غير معقول ، فتعين أنه قديم قائم به صفة له ، وكذلك تقسيم في الإرادة والسمع والبصر »[3] .

فالأشعري يثبت صفات المعاني ويرى أنها قائمة بذاته تعالى وأزلية لا حادثة .

ومذهب ابن القيم في الصفات يتركز ويتبلور في قوله في كتابه مدارج السالكين ج ١ ص ١٤ مطبعة المنار :

---

(١) ابن قيم الجوزية . رسالة ماجستير للأستاذ عبد العظيم عبد السلام شرف الدين . بتصرف .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني جـ ص ٥٥ المطبعة الأدبية على هامش الفصل لابن حزم .

(٣) المرجع السابق .

« توحيد العلم مداره على إثبات صفات الكمال ، وعلى نفي التشبيه والمثال والتنزيه من العيوب والنقائص ، وقد دل على هذا إثبات الحمد لله ، فإن الحمد يتضمن مدح المحمود بصفات كماله ونعوت جلاله مع محبته والرضا عنه ، والخضوع له ، وكلما كانت صفات كمال الممدوح أكثر كان حده أكمل ، وكلما نقص من صفات كماله نقص من حمده بحسبها ، ولهذا كان الحمد كله لله حمداً لا يحصيه سواء لكمال صفاته وكثرتها ، ولأجل هذا لا يحصى أحد من خلقه ثناء عليه لماله من صفات الكمال ، ونعوت الجلال التي لا يحصيها سواه » .

وصفات الله تبارك وتعالى موضع جدل ومثار خلاف بين المتكلمين .

والصفات منها سلبية لفظاً ومعنى كقوله تعالى : « ليس كمثله شيء » ومنها سلبية معنى إيجابيـة لفظـاً كالقـدم والوحدانية ، وهـذا اتفـاق بين الفـرق لم يشـذ واحد منهم عن القول بها إلا من جانب الحـق ، وهـم المشبهة .

ومنها صفات إيجابية لفظاً ومعنى كالقدرة والإرادة والعلم وغيرها من الصفات التي توجب معنى تتصف به الذات ، وهذه محل خلاف ، وقد عرفت في أوساط المتكلمين بصفات المعاني ، وقبل أن نوضح رأي ابن القيم نوضح أراء من سبقوه مثل المعتزلة والأشعرية .

أما المعتزلة فقد نفوها وقالوا : « الله حي عالم قادر بذاته لا بعلم وقدرة وحياة زائدة على ذاته ، لأنه لو كان عالماً بعلم زائداًعلى ذاته ، وحيا بحياة زائدة على ذاته كما هو الحال في الإنسان للزم أن يكون هناك صفة وموصوف ، وهذه حال الأجسام ، والله منزه عن الجسمية ، ولو قلنا أن كل صفة قائمة

بنفسها لتعددت القدماء ، وبعبارة أوضح لتعددت الآلهة[1] .

قال البغداد في حديثه عن فرق المعتزلة : « وعشرون منها قدرية محضة يجمعها كلها في جملتها أمور : منها نفيها كلها عن الله عز وجل صفاته الأزلية وقولهم بأنه ليس لله عز وجل علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا صفة أزلية ، وزادوا على هذا بقولهم : « أن الله تعالى لم يكن له في الأزل اسم ولا صفة »[2] .

وقال الشهرستاني : « فالذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد القول بأن الله تعالى قديم ، والقدم أخص وصف ذاته ، ونفوا الصفات القديمة أصلاً فقالوا : نستنبط من هذا النص ونستخلص أن ابن القيم يثبت لله صفات كمالات لا تحصى وكلما تعددت وكثرت صفات كماله فإن حمده خليق[3] بأن يكون أكمل .

فابن القيم يثبت أن لله صفات كمال فوق أكثر من صفات المعاني السبع التي أثبتها الأشاعرة : وهي القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام وقد ذهب ابن القيم إلى أن أسماء الله تعالى تدل على صفات كماله فهي أسماء وصفات وقد كان استدلاله على ذلك بما يأتي :

أن الله وصف أسماءه بأنها حسنى ، ولو كانت ألفاظاً لا معاني فيها لم تكن حسنى ، ولم تكن دالة على مدح ولا كمال .

ولو لم تدل على أوصاف لم يجز أن يخبر عنه بمصادرها ، ويوصف بها قال تعالى : « إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » .

---

(١) ضحى الإسلام لاحمد أمين جـ٣ ص ٢٩ .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٩٣ . ٩٤ .

(٣) خليق بأن يكون أكمل : أي جدير بالكمال .

فالقوي من أسمائه تعالى ، وقد أخبر عنه بأنه صاحب القوة ، فلو لم تدل القرة على صفة لم يخبر عنه بأنه صاحب القوة ، وقال : « قلله العزة جميعاً » .

ومن أسمائه الحسنى العزيز ولولا ثبوت القوة لم يكن يسمى قوياً ولا ثبوت العزيز لم يسم عزيزاً .

وقال : (أنزله بعلمه) وقال : (فاعلموا إنما أنزل بعلم الله) وقال : (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) وفي الصحيح ورد قوله ﷺ (اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك) فالله عالم وهو عليم قدير .

ولا شك أنه لو لم تكن أسماؤه مشتملة على معان وصفات لم يسغ أن يخبر عنه بأفعالها ، فلا يقال : يسمع ويرى ويعلم ويقدر ويريد ، فإن ثبوت أحكام الصفات فرع ثبوتها ، وإذا انتفى أصل الصفة استحال ثبوت حكمها .

لذلك ـ فأنه لو لم تكن أسماؤه ذوات معان وأوصاف لكانت جامدة كالأعلام المحضة التي لم توضح لمسماها باعتبار معنى قام به فكانت كلها سواء ، ولم يكن فرق بين مدلولاتها ، وهذه مكابرة صريحة ، فإن من جعل اسم القدير هو معنى اسم السميع البصير ، ومعنى اسم التواب هو معنى اسم المنتقم ، ومعنى اسم المعطي هو معنى اسم المانع فقد كابر العقل واللغة والفطرة ، فنفى معاني أسمائه من أعظم الألحاد فيها ، والله يقول : « وذروا الذين يلحدون في أسمائه » ـ الأعراف : ١٨٠ .

وهو لا يرى أن الأسماء تدل على الصفات التي اشتقت منها فحسب ، بل أثبت لها دلالة لزومية على غير ما اشتقت منه من الصفات ، وبيان ذلك أنه يرى أن دلالة اسم الله على الذات والصفة معاً دلالة مطابقة . ودلالته على الذات

---

(١) ابن قيم الجوزية . للأستاذ عبد العظيم عبد السلام شرف الدين مطبعة نهضة مصر بالفجالة .

وحدها أو الصفة وحدها دلالة تضمنية ، ودلالته على صفة أخرى غير المشتق منها دلالة لزومية ، فاسم السميع يدل على الذات وسمعه بالمطابقة ، وعلى الذات وحدها والسمع وحده بالتضمن ، ويدل على اسم الحي وصفة الحياة بالالتزام ، وكذلك سائر أسمائه[1] .

وقد أوقع ابن القيم حرصه على إثبات الصفات لله فيما لم تحمد عقباه ، فقد دفعه أفراطه في إثبات الصفات لله إلى القول بقيام الحوادث بذاته تعالى ، ويتضح ذلك من تعليقه على قول شيخ الإسلام الهروي : « التوحيد تنزيه الله عن الحدث » قال ابن القيم : « أن أرد أن ينزه الله سبحانه عن قيام الأفعال الاختيارية به التي تسميها نفاة أفعاله حلول الحوادث ، ويجعلون تنزيه الرب تعالى عنها من كمال التوحيد ، بل هو أصل التوحيد عندهم ، فكأنه قال : « التوحيد تنزيه الرب تعالى عن حلول الحوادث » وحقيقة ذلك أن التوحيد تعطيله عن أفعاله ونفيها بالكلية ، وأنه لا يفعل شيئاً البتة ، فإن إثبات فاعل من غير فعل يقوم به البتة محال في العقول والفطر ولغات الأمم ، ولا يثبت كونه سبحانه رباً للعالم مع نفي ذلك أبداً ، فإن قيام الأفعال به هو معنى الربوبية وحقيقتها ، ونافي هذه المسألة ناف لأصل الربوبية جاحد لها رأساً .

وإن أراد تنزيه الرب تعالى عن سمات المحدثين وخصائص المخلوقين فهو حق ، ولكنه تقصير في التعبير عن التوحيد ، فإن إثبات صفات الكمال أصل التوحيد ، ومن تمام هذا الإثبات تنزيهه سبحانه عن سمات المحدثين وخصائص المخلوقين »[2] .

يبدو من هذا أن ابن القيم قد تورط في القول بقيام الحوادث بذاته تعالى ظاناً أنه بهذا يحقق معنى الربوبية وقد جانبه التوفيق في هذا ، إذ لو تنبه لعرف

---

(١) مدارج السالكين جـ ١ من ص ١٣ إلى ١٧ مطبعة النار .

(٢) مدارج السالكين ٣/٢٨٧ . ٢٨٨ .

أن الحوادث لا تقوم إلا بالمحدثات وهو في هذا يوافق الكرامية القائلين بقيام الحوادث بذاته تعالى قال البغدادي : « زعم ابن كرام وأتباعه أن معبودهم محل للحوادث ، وزعموا أن أقواله وإراداته وإدراكاته للمرئيات وإدراكاته للمسموعات وملاقاته للصحيفة العليا من العالم أعراض حادثات فيه ، وهو محل لتلك الحوادث الحادثة فيه »[1] .

وعلى كل فحسبه أنه اجتهد ولن يعدم المجتهد أجراً على اجتهاده أن أخطأ[2] والذي لا شك فيه أن حسن النية متوفر عنده إذ لا يعقل أن عالماً مثله كرس حياته للدفاع عن الحق يقع في مثل هذا قصداً منه ، ونستطيع بعد هذا العرض لنصوص ابن القيم نستنتج أنه من المثبتين للصفات كالاشاعرة بين أن الاشاعرة قالوا بصفات المعاني ولكن ابن القيم زاد عليهم كل صفات الكمال .

وجعل صفات الحق صفات زائدة عن الذات فهو عالم بعلم وقادر بقدرة وهو في هذا يوافق الأشاعرة ويخالف المعتزلة القائلين أن الله يعلم بذاته ويقدر بذاته .

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٠٤ .

(٢) ولقد أورد الإمام القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن « الجزء الأول » هده الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ : من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » وقوله : « من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » .
ولكنه يقول أيضاً « من اجتهد فأخطأ فله أجر ومن اجتهد فأصاب فله أجران »
وتعليقنا على هذا أن هذه الحديث صحيحة . متوافقة ولا يوجد بينها أي تعارض إطلاقاً وإنما في الحديثين الأولين العقل فيهما « قال» والحديث الثالث الفعل فيه اجتهد والفارق كبير جداً بين قال وبين اجتهد . وهذا لا يحتاج إلى بيان .

رأي ابن تيمية وهو رأي أهل السنة

وإن ما ذهب إليه ابن القيم هو رأي السلف لولا ما وقع منه من القول بقيام الحوادث بذاته تعالى ، فالسلف اثبتوا لله صفات أزلية أكثر من صفات المعاني السبع قال الشهرستاني : « أعلم أن جماعة كبيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلال والإكرام والجود والأنعام والعزة والعظمة »[1] .

وقال آخر : « أصحاب الحديث يشهدون لله بالوحدانية والسمع والبصر والعلم والقدرة والعزة والعظمة والإرادة والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحياة واليقظة والفرح والضحك وغيرها »[2] .

وقال البغدادي في الكلام عن مباديء السلف : « وقالوا في الركن الرابع وهو الكلام في الصفات القائمة بالله عز وجل : ان علم الله تعالى وقدرته وحياته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه صفات له أزلية ونعوت له أبدية »[3] .

يظهر من النصوص التي ذكرها الشهرستاني والصابوني والبغدادي عن عقيدة السلف أن السلف أثبتوا لله صفات كمال تزيد عن صفات المعاني وأنها أزلية قائمة بذاته تعالى وهذا ما ذهب إليه ابن القيم وانتهى إليه .

وضح ابن تيمية رأي السلف وهو الذي ارتضاه ودعا إليه في رسالته التدمرية وغيرها ، وتبين من كتابته أنه يصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ، والله قد وصف نفسه بصفات كثيرة منها الحي والقيوم والعليم

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ١١٦ .

(٢) عقيدة السلف لأبي عثمان إسماعيل الصابوني ضمن مجموعة ٨١٣ توحيد بدار الكتب .

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣٢٢ .

والحكيم والسميع والبصير والعزيز والحليم والسخط والكره والحب والخالق والمتكبر وغيرها من الصفات[1] .

وتبين لنا أن ابن تيمية لم يختلف عن ابن القيم ولا عن السلف في الصفات الوجودية فأثبت كل صفات الكمال لله ، ويمتاز ابن تيمية بالعمق في بحثه فقد درأ شبهة كانت تجول بخاطر الكثيرين : وحاصلها كيف يوصف الله بصفات اتصفت بها المخلوقات كالوجود والعلم والحياة ؟ وبين أن اتحاد الاسم لا يستلزم التشابه في الوصف فالله إذا وصف نفسه بالتكبر والغضب لم يكن تكبره وغضبه يشبه تكبر وغضب المخلوقين .

قال ابن تيمية : « قد سمى الله نفسه حياً » ، فقال سبحانه : « الله لا إله إلا هو الحي القيوم » ، وسمى بعض خلقه حياً فقال : « يخرج الحيَ من الميت ، ويخرج الميت من الحي » وليس هذا الحي مثل هذا الحي ، لأن قوله : « الحي » اسم الله مختص به ، وقوله : « يخرج الحي من الميت » اسم للحي المخلوق مختص به ، وإنما يتفقان إذا أطلقا ، وجردا عن التخصيص »[2] .

وقال : إذا قال المشترلي : ليس له إرادة ولا كلام قائم به ، لأن هذه الصفات لا تقوم إلا بالمخلوقات ، فإنه يبين للمعتزلي أن هذه الصفات يتصف بها القديم ولا تكون كصفات المحدثات فهكذا يقول له المثبتون لسائر الصفات من المحبة ونحو ذلك .

---

(١) الرسالة التدمرية ص ٧ ، ٨ ، ٩ .

(٢) الرسالة التدمرية ص ١٢ .

ابن تيمية وابن القيم سلفيان

نستطيع بعد ما تقدم أن نضع ابن القيم وشيخه ابن تيمية موضع السلف ، إذ قالا قولهم في صفات المعاني وخالفا المعتزلة والأشاعرة في ذلك ، وذلك لأن العلة التي تمسك بها المعتزلة في نفي صفات المعاني هي التحرز من تعدد القدماء ، وهذه العلة واهية لأن المحظور تعدد ذوات القدماء المؤدي إلى تعدد الآلهة ، أما القول بذات قديمة تتصف بصفات قديمة فهذا لا يؤدي إلى تعدد الآلهة ، ومن قال : « أن القدرة القديمة أو الإرادة القديمة تكون إلهاً ؟ حتى نخشى من تعدد القدماء » .

أما ما ذهب إليه الأشاعرة من وصف الله بصفات سبع فهو حق ، ولكن الكمال لله يقتضي وصفه بكل صفات الكمال التي ورد بها القرآن أو السنة ، وهو ما ذهب إليه السلف وابن تيمية وابن القيم .

وقد اعتبر ابن القيم المخلوقات دليلاً على صفات الله وطريقاً من طرق إثبات الله إلى جانب الآيات التي وردت في ذلك[1] .

وقد ثار بعض الصوفيين وقالوا : إن ابن تيمية ينكر المجاز في القرآن[2] والحقيقة أن شيخ الإسلام ابن تيمية أنكر المجاز القرآني المتصل بصفات الله وأسمائه الحسنى فقط ، ولم ينكر المجاز جملة ، فأولوا ذلك وتقولوا على هذا العالم الأمة وقالوا إنه جانب الصواب وخالف السلف وهم مخطئون في ذلك .

---

(١) مدارج السالكين جـ٣ ص٢٢٧ : ص ٢٣١ .

(٢) راجع كتاب « ابن تمية ليس سلفياً » للشيخ منصور محمد محمد عويس .

ليس كمثله شيء

لا يشبه الله سبحانه وتعالى أحدًا من خلقه

لقد اقتضى الكمال الإلهي ألا يشبه أحداً من خلقه ، وإلا لكان حادثاً يحتاج إلى محدث ، فلا يكون إلهاً ، وهذا ما قرره القرآن الكريم وأثبته في قوله تعالى : (ليس كمثله شيء) ـ الشورى : ١١ .

بيد أن ورود آيات وأحاديث في القرآن والسنة وقد اشتملت على ألفاظ يوهم ظاهرها مشابهة الله للحوادث كالآيات التي اشتملت على اليد والوجه والعين ، وكالأحاديث المشتملة على النزول والأصبع لولا هذه الآيات والأحاديث ما تفاوتت وجهات نظر ولما اختلفت واصطدمت آراء الباحثين .

موقف السلف ومذهبهم في ذلك

ينزه السلفيون الله سبحانه وتعالى عن مشابهة الحوادث طبقاً لقوله تعالى : (ليس كمثله شيء) ـ الشورى : ١١ .

وهذا النص ليس محتاجاً إلى تأويل .

وآثر السلفيون الأخذ بظاهر الآيات وخافوا من تأويلها خشية أن يقولوا بما لم يقصده الله فهم يؤمنون بها كما أوردها الله سبحانه وتعالى من غير تأويل[١] .

---

(١) وهنا قال بعض الصوفيين أن ابن تيمية ينكر وقوع المجاز في القرآن . ولكنه لم ينكر إلا المجاز الخاص

قال ابن خلدون : « القرآن ورد فيه وصف المعبود بالتنزيه المطلق الظاهر الدلالة من غير تأويل في آي كثيرة ، وصريحة في بابها ، فوجب الإيمان بها ، ووقع في كلام الشارع صلوات الله عليه وكلام الصحابة والتابعين تفسيرها على ظاهرها ، ثم وردت في القرآن آي أخرى قلية توهم التشبيه مرة في الذات ، وأخرى في الصفات ، فأما السلف فغلبوا أدلة التنزيه لكثرتها ووضوح دلالتها ، وعلموا استحالة التشبيه ، وقضوا بأن الآيات من كلام الله ، فآمنوا بها ، ولم يتعرضوا لمعناها ببحث ولا تأويل ، وهذا معنى قول الكثير منهم : اقرؤها كما جاءت : أي آمنوا بأنها من عند الله ، ولا تتعرضوا لتأويلها ، ولا تفسيرها لجواز أن تكون ابتلاء ، فيجب الوقف والإذعان له »[1] .

ويذكر الشهرستاني أن أهل السنة ومنهم ابن تيمية وابن القيم أثبتوا لله صفات خبرية كاليدين والرجلين ، ولم يؤولوها ، ولكنهم سموها صفات خبرية وقال : « وما ورد به الخبر فافترقوا فيه فرقتين : منهم من أولها على وجه يحتمل ذلك . ومنهم من توقف في التأويل ، وقال : « عرفنا بمقتضى العقل أن الله تعالى ليس كمثله شيء » ، فلا يشبه شيئاً من المخلوقات ، ولا يشبه شيء منها ، وقطعنا بذلك . إلا أنا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه مثل قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » ومثل قوله : « وجاء ربك » إلى غير ذلك ، ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات ، وتأويلها ، بل التكليف قد ورد بالاعتقاد بأنه لا شريك له ، وليس كمثله شيء ، وذلك قد اثبتناه يقينا »[2] وقال : « أحمد ابن حنبل ، وداود بن علي الأصفهاني ، وجماعة من أئمة السلف جروا على

= بصفات الله واسمائه الحسنى فقط . ونوهنا كما قلنا آنفاً أنهم مخطئون حقاً كما أشرنا إلى المرجع في ذلك وهو كتاب « ابن تيمية ليس سلفياً » وكله تحامل وتطاول على الشيخ الجليل الذي فتك بالبدع والوثنيات في عصره رحمه الله .

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٠٥ المطبعة الأدبية ببيروت . الطبعة الأولى ١٨٧٩ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ١١٦ . ص ١١٧ .

منهج السلف المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث مثل مالك بن أنس ، ومقاتل ابن سليمان ، وسلكوا طريق السلامة ، فقالوا : « نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة ، ولا نتعرض للتأويل بعد أن نعلم قطعاً أن الله عز وجل لا يشبه شيئاً من المخلوقات وإن كل ما تمثل في الوهم فإنه خالقه ومقدره » ، وكانوا يحترزون عن التشبيه إلى غاية أن قالوا : « من حرك يده عند قراءته : خلقت بيدي » أو أشار بأصبعه عند روايته : « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » وجب قطع يده ، وقلع إصبعه . وقد أشار إلى الدافع لهم على هذا المنهج وحصره في أمرين : « أولهما : المنع من التأويل الوارد في التنزيل قال الله تعالى : وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » ، فنحن نحترز من الزيغ ، « ثانيهما : « أن التأويل أمر مظنون بالايفاق ، والقول في صفات الباري تعالى بالظن غير جائز ، فربما أدى التأويل إلى غير مراد الله ، فنقول كما قال الراسخون في العلم : « كل من عند ربنا » آمنا بظاهره ، وصدقنا لمباطنه ، ووكلنا علمه إلى الله تعالى ، ولسنا مكلفين بمعرفة ذلك ، إذ ليس من شرط الإيمان وأركانه[1] .

« أثبتوا رضي الله عنهم ما أطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك مع نفي مماثلة المخلوقين ، فأثبتوا رضى الله عنهم بلا تشبيه ، ونزهوا من غير تعطيل ، ولم يتعرض مع ذلك أحد منهم إلى تأويل شيء من هذا ، ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت ، ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى سوى كتاب الله »[2] .

يصفون الله بالصفات التي نطق بها الوحي أو شهد بها الرسول دون تشبيه فيقولون : خلق آدم بيده لقوله : « لما خلقت بيدي » ، ولا يحرفون الكلام عن

(١) الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ١٣٧ . ١٣٨ .
(٢) الخطط المقريزية جـ ٤ ص ١١ .

مواضعه ، فلا يحملون اليدين على النعمتين أو القوتين تحريف المعتزلة الجهمية ، ولا يشبهونها بأيدي المخلوقين كما ذهب المشبهة ، وهم يتبعون قوله تعالى : « ليس كمثله شيء » ، وكذا في جميع الصفات الثابتة من سمع وبصر وعين ووجه ... وسخط ، وفرح ، ويقظة ، وضحك ، وغيرها يجرون على الظاهر ، ويكلون علمه إلى الله تعالى ، ويقرون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله كما أخبر الله عن الراسخين في العلم : « والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا »[1] .

أما المعتزلة فكانوا ينزهون الله عن مشابهة الحوادث ، ويؤولون الآيات المتشابهة تأويلاً يتفق والتنزيه ، فهم اجرأ من أهل السنة ، ومذهبهم أنفع في مقام الخصومة ، ومذهب أهل السنة أسلم ، فالمعتزلة يؤمنون بالآية : « ليس كمثله شيء » ، ويؤولون الآيات الموهمة : ففي قوله تعالى : « وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء » يقولون : معنى قول اليهود : « يد الله مغلولة » وصفه بالبخل وقوله : « بل يداه مبسوطتان » تعبير مجازي يدل على إثبات غاية السخاء له ، ونفي البخل عنه ، وذلك أن غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه أن يعطي بيديه جميعاً ، فبني المجاز على ذلك[2] ، وقالوا في قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك ، فقالوا : فلان على العرش يريدون ملك ، وإن لم يقعد على السرير البتة ، وقالوه أيضاً لشهرته في ذلك المغنى ، ومساواته ملك في مؤداه ، وإن كان أشرح ، وأبسط ، وأدل على صورة الأمر[3] ويقولون في قوله

(١) عقيدة السلف لأبي عثمان الصابوني ضمن مجموعة ٨١٣ توحيد بدار الكتب المصرية .
(٢) الكشاف للزمخشري ٣٥١/١ .
(٣) لكشاف للزمخشري ٤٢٧/٢ .

تعالى : « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » : وجه الله ذاته ، والوجه يعبر به عن الجملة والذات ، وماكين مكة يقولون : أين وجه عربي كريم ينقذني من الهواز [1] .

ويقولون في قوله تعالى : « يخافون ربهم من فوقهم » ـ النحل : ٥٠ : إن علقت من فوقهم يخافون فمعناه يخافون أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم ، وإن علقت بربهم ـ حالاً منه ـ فمعناه يخافون ربهم عالياً لهم قاهراً ، كقوله : « وهو القاهر فوق عباده » ـ الأنعام : ١٨ وقوله : « وأنا فوقهم قاهرون » [2] ، وقالوا في قوله تعالى : « وهو الله في السموات ، وفي الأرض يعلم سركم وجهركم» معناه المعبود فيها كقوله : « وهو الذي في السماء إله ، وفي الأرض إله » ـ الزخرف : ٨٤ ، أو هو المعروف بالإلهية ، أو المتوحد بالإلهية فيها ، أو هو الذي يقال له الله فيها لا يشرك به في هذا الاسم [3] .

نوجز هنا مذهب ابن القيم وهو نفسه مذهب أستاذه وشيخه ابن تيمية والسلف أنه مذهب قائم على ركيزتين أولاهما التنزيه والثانية : عدم التأويل ، والإيمان بالآيات كما وردت من غير تحوير أو تأويل [4] .

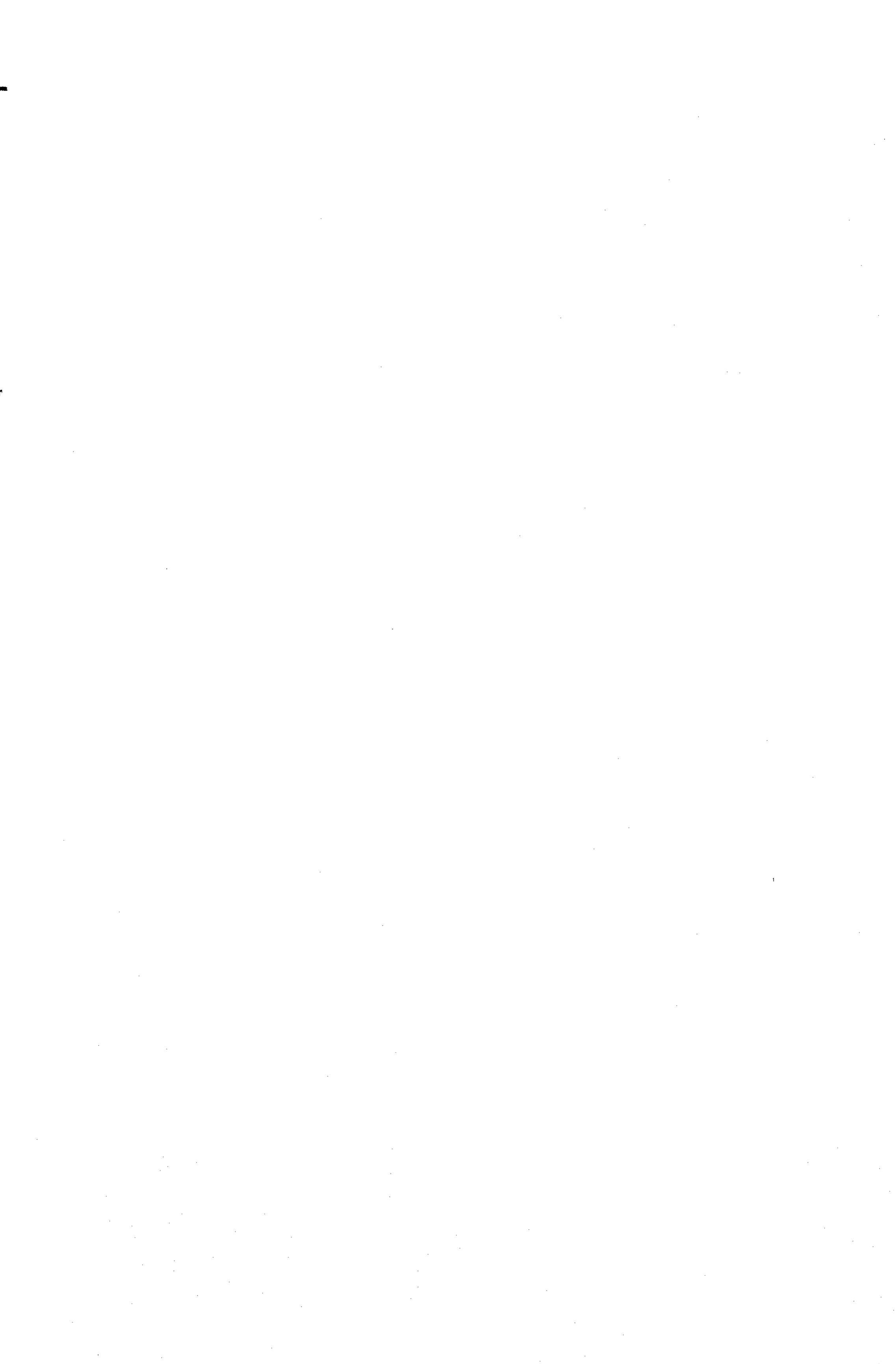
---

(١) الكشاف ٣٣١/٢ .

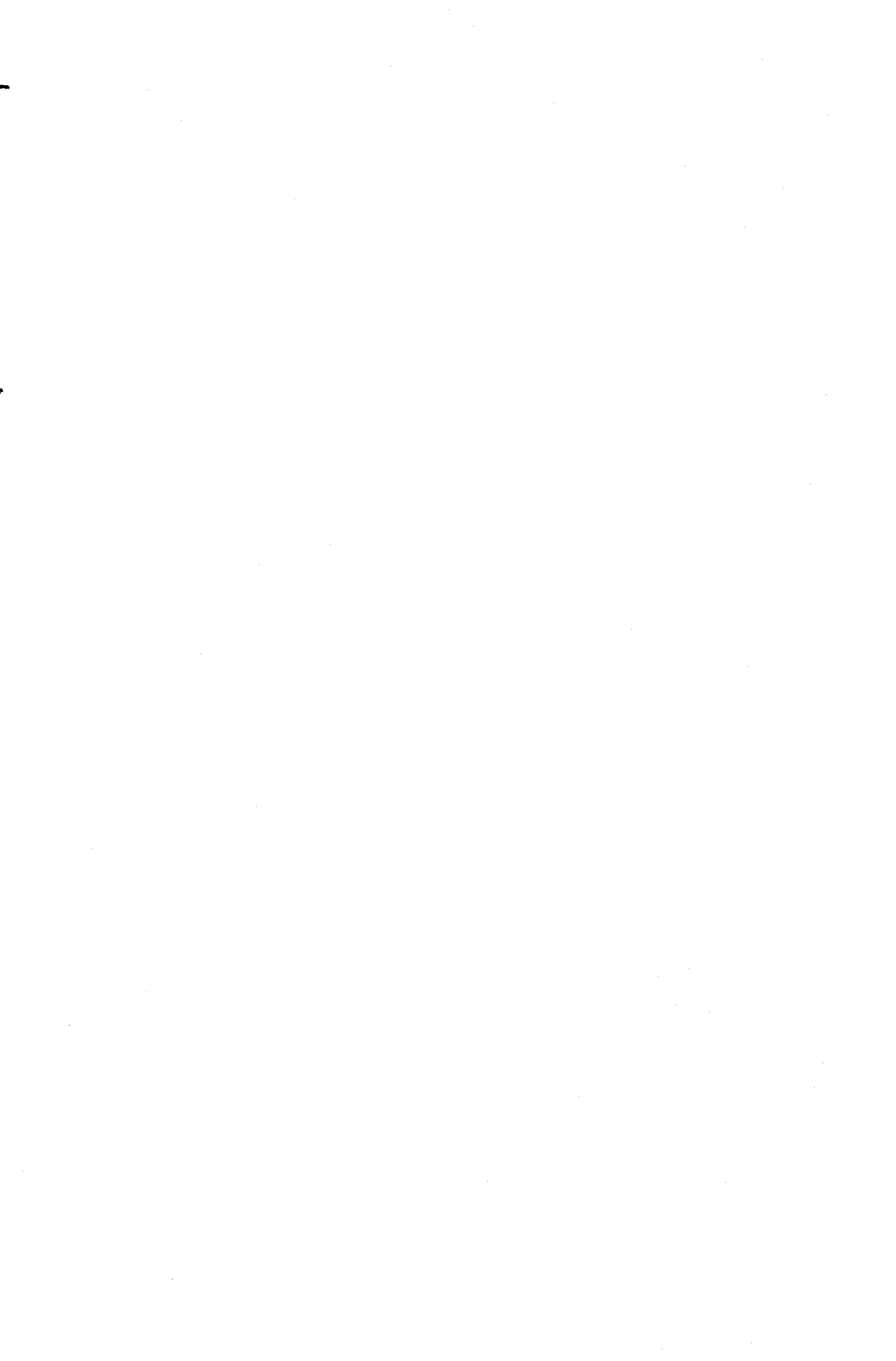
(٢) الكشاف ١ : سورة النحل .

(٣) الكشاف : سورة الانعام .

(٤) أعلام الموقعين ٤٦٧/٣ .



الرسل أجمعون دينهم الإسلام



الاسلام يحتم على المسلم أن يسلم قياده وأمره إلى الله سبحانه وتعالى وحده ، فمن استسلم لله ولغيره كان مشركاً والله جل شأنه « لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ـ النساء : ٤٨ .

أما من لا يستسلم لله ويفوض أمره عليه فهو مستكبر عن عبادته ، وصدق عليه قول الله تبارك وتعالى : « أن الذين يستكبرون عن عبادتي سيد خلون جهنم داخرين » ـ غافر : ٦٠ .

ودين الإسلام هو دين الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين ، وقوله تعالى : (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) ـ آل عمران : ٨٥ ، عام في كل زمان ومكان .

فنوح وإبراهيم ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى والحواريون كلهم دينهم الاسلام الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له ، قال الله تعالى عن نوح : « يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم) إلى قوله : (وأمرت أن أكون من المسلمين) ـ يونس : ٧١ ، ٧٢ ، وقال تعالى : (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه اسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني أن الله اصطفى لكم الدين فلا ، تموتن إلا وأنتم مسلمون) ـ البقرة : ١٣٠ ـ ١٣٢ . وقال تعالى : (وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) ـ يونس : ٨٤ .

وقال السحرة : (ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) ـ الاعراف : ١٢٦ . وقال يوسف عليه السلام : (توفني مسلماً وألحقني بالصالحين) ـ يوسف : ١٠١ . وقالت بلقيس : (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) ـ النمل : ٤٤ . وقال الشعراوي أن الإسلام للأمم الخالية كان اسماً فقط ولكنه بالنسبة لنا صفة واسم وعلم[1] .

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا وأعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل . وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس . فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » .

وقال أيضاً : « أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا : « تعبد إلَهك وإلَه آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلَهاً واحداً ونحن له مسلمون » ـ البقرة : ١٣٣ .

وقوله : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل ابراهيم وإسماعيل ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » ـ البقرة : ١٣٦ .

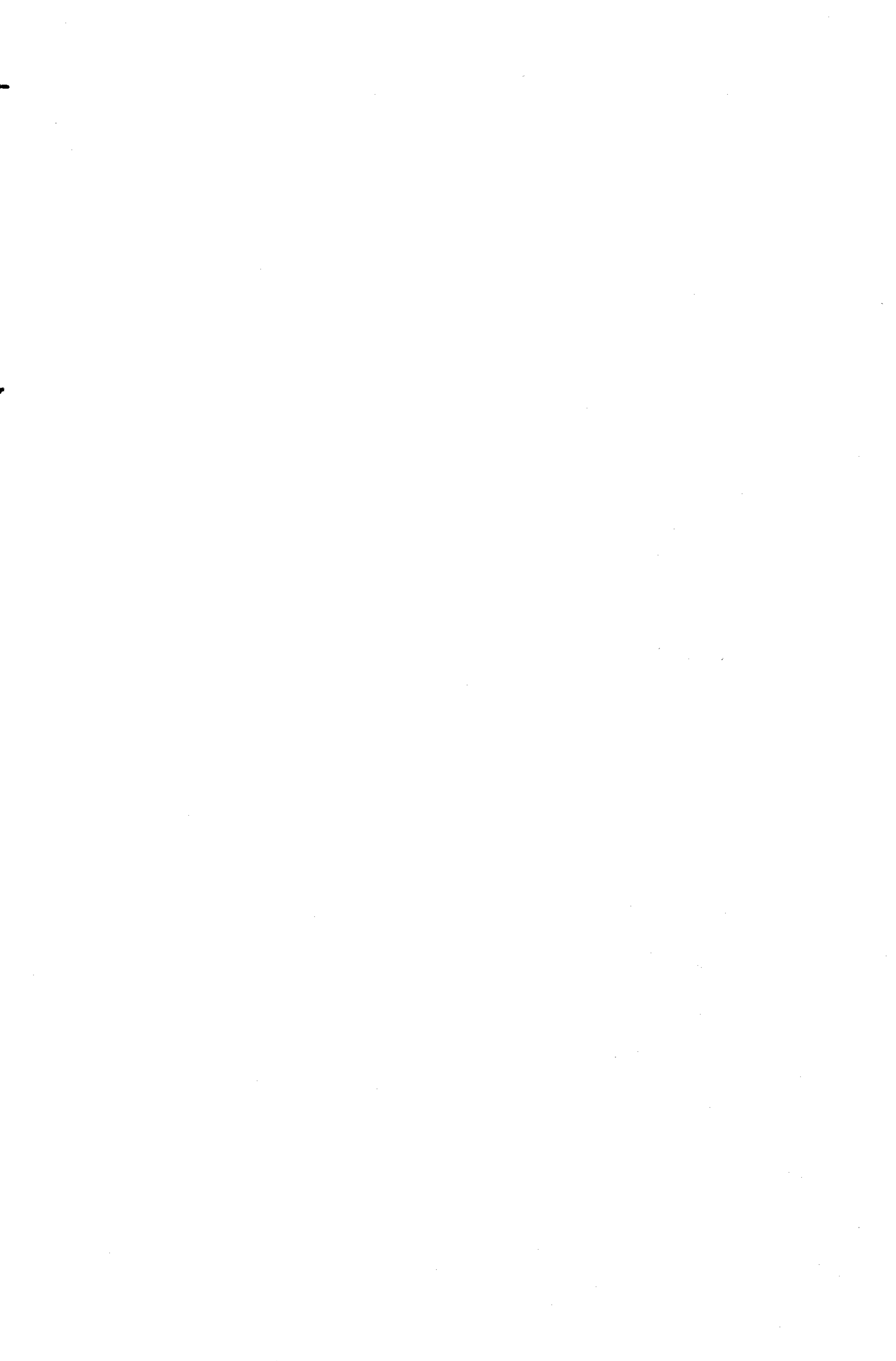
والنص القرآني صريح ومحدد بأن الإيمان مرتبط بالعبادة والعبادة ترتبط بفعل الخير ، وفعل الخير يستدعي ويستوجب الجهاد في سبيل الله الذي اختار الايمان للمؤمنين ، واختار المؤمنون الإيمان به وليس في الدين ما يجعل الإنسان في حرج .

---

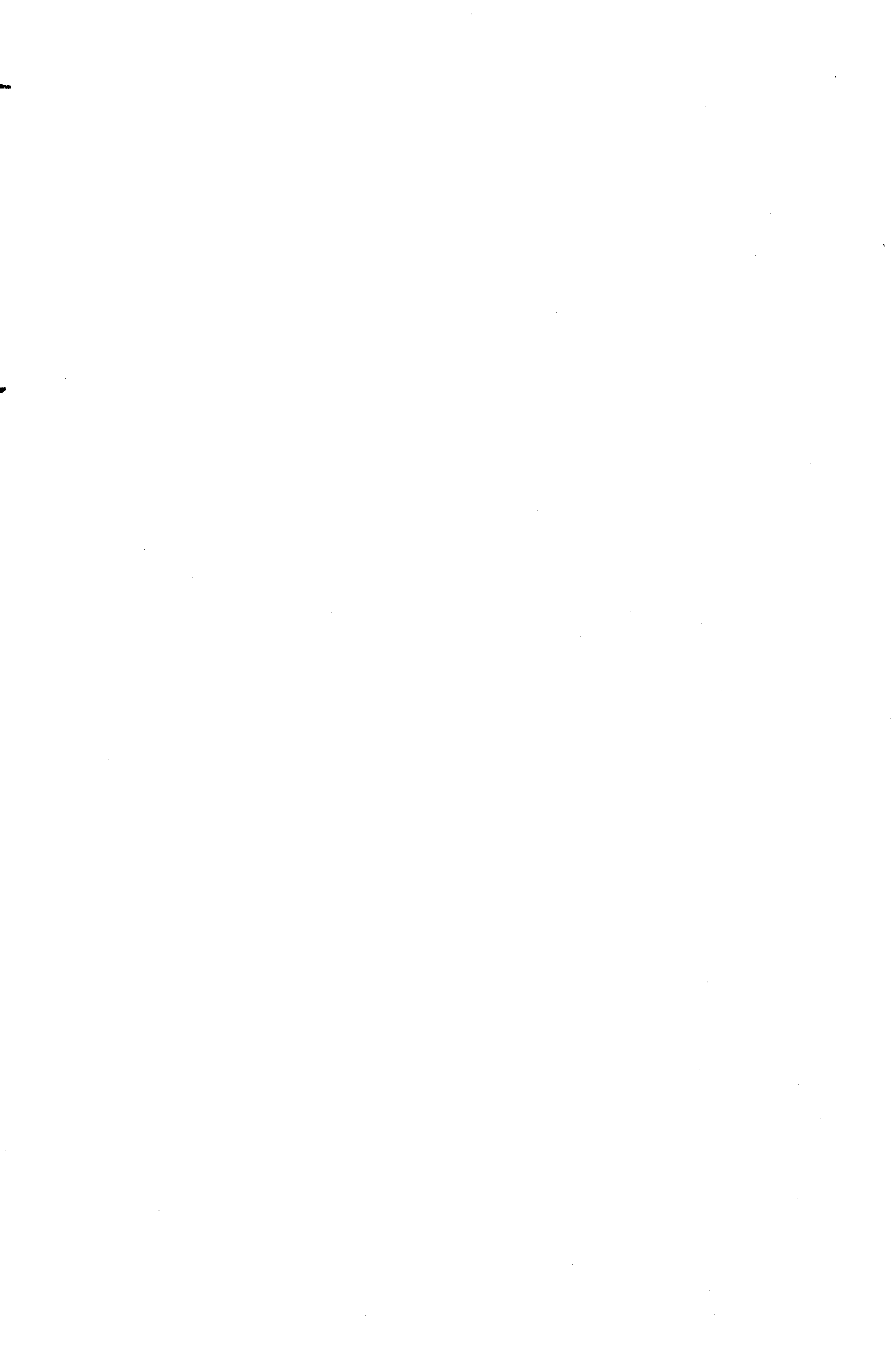
(١) راجع الفتاوي للشيخ محمد متولي الشعراوي تحقيق د . السيد الجميلي جـ ٤ ص ٥١ . ٥٢ . ٥٣ .

إن الإسلام هو الدين الخاتم ، والإسلام هو الدين الأول فإبراهيم ابو المؤمنين ، وقد سمى الله به المؤمنين المسلمين وأنتم مسلمون في الكتب السابقة على القرآن لرضاء المؤمنين بما شرعه الله فكونوا كما سماكم الله مسلمين ، ولتكن عاقبة إسلامكم هي إتقان هذا الإسلام حتى يشهد الرسول لكم يوم القيامة بأنه بلغكم بالدين وعلمكم تعاليمه لتسعدوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة . وهكذا نرى أن الله سمانا المسلمين ولم يصفنا بالمسلمين لأن الإسلام للمؤمن وصف وإسم وعلم .

ولذلك معنى واضح وهو أن الدين عند الله هو الإسلام ولأن الاسم أصبح وصفاً لنا وعلماً علينا ، لكن الإسلام بالنسبة للسابقين علينا هو وصف فقط . ومن ثم فإن كل الديانات موصوفة بأنها مسلمة ولكننا نحن ـ أتباع محمد ﷺ ـ مسلمون بالوصف والإسم والعلم ... وهو أكمل إسلام للأعلى جل شأنه .



مملكة الشياطين والفلاسفة



تقرب إلى الله بدم ابنه

أراد أبو جعفر المنصور أن يختبر أحد ابناء وزير من الوزراء فسأله في بعض آيات القرآن الكريم ، فلم يستطع الصبي أن يجيب ، فسأله عن سر انشغاله عن حفظ القرآن ، ومراجعته ، فقال : إنه انشغل عن القرآن بدراسة الفلسفة .

وصرخ أبو جعفر المنصور في الوزير وقال له :

« تقرب إلى الله بدم هذا الصبي يا وزير ... » وقطعت رقبة الصبي الذي هجر القرآن من أجل ترك حفظه ودراسة الفلسفة فالفلسفة قد تعين على أمر الدنيا وقد يفتن المرء بدراستها لما فيها من الجدل والحوار والمغالطات ، ولكن القرآن الكريم ينفع الدنيا والآخرة وقراءته عبادة .

وأذكر أن أبي[1] وهو يهنئني بالنجاح وقت أن حصلت على درجة الماجستير في الأمراض الباطنية قلت له والدموع تترقرق من عيني ... أشكر لك يا أبي أن ادخلتني كتّاب القرية لحفظ القرآن ، أكثر من شكري على ما أناله من شهادات أو درجات نفعها للدنيا قد يلهي عن الأخرى .

وأذكر أني طوال دراستي في كلية الطب وبعد الماجستير وعلى وشك الانتهاء من الدكتوراه بإذن الله ورغم وعورة البحث الطبي إلا أنني لا أذكر أني ابتعدت عن القرآن أو الدراسة القرآنية طرفة عين ، والله المستعان .

---

(١) المقصود والد المؤلف .

أنه الفيلسوف الأكبر .. إبليس

لم تفتر عزيمة الشيطان يوماً في الضلال والأضلال ، وهو الذي طرد من رحمة الله إلى يوم القيامة فاقسم لله قسماً أحسبه قد بر به إذ قال : « فبعزتك لأغوينهم أجمعين » .

ولم يستثن إبليس من الناس إلا عباد الله المخلصين في عبادته « إلا عبادك منهم المخلصين » .

وكان الله وسيظل إلى غير انتهاء عليماً فقال : « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان » .

فالذين عبدوا الله حق عبادته لا سلطان للشيطان عليهم لأنهم أقوى من إبليس وهو أقوى من الضعفاء . أما الذين قيل فيهم (لقد صدق عليهم إبليس ظنه) منهم أولئك الذين يعبدون الله على حرف .

وتكلمنا في مواضع أخرى في كتب لنا سابقة عن شخصية إبليس وعن ذكائه وفلسفته وأسميناه أبو الفلاسفة فإبليس كان عالماً لأنه يعرف مم خلق ومم خلق آدم ، قال : « أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » ـ ص : ٧٦ . ثم أن إبليس يعترف ويسلّم بأن الله هو الذي خلقه وخلق آدم وفوق ذلك كله يعرف أن الله بيده الأمر والنهي ، قال : (أنظرني إلى يوم يبعثون) ـ الاعراف : ١٤

ثم أنه يدرك عزة الله وجاهه العظيم إذ أقسم به : « فبعزتك لأغوينهم أجمعين » وفوق ذلك كله يعرف قوة نفسه على نفوس الناس وقدرة سيطرته عليهم فوعد بإغوائهم أجمعين واستثنى عباد الله المخلصين والمستثنى بالطبع أقل من المستثنى منه .

ثم إن إبليس على درجة من الذكاء فهو يعرف مداخل النفس وهو يلبس على الشخص بعد أن يقيم حالته النفس ويعرف منزع فطرته ، فهو يفتن هذا في المال لأنه شحيح ، ويفتن هذا في دينه لأنه متدين فيلبس عليه بما يشبه الكرامات ، وهكذا حتى يفسد عبادة الإنسان فيمنعها[1] من القبول .

وكل بلاء البشر من بني آدم وراءه إبليس اللعين لعنة الله وأجارنا من صحبته ومعيته إلى يوم الدين . آمين .

الفلاسفة وخطورتهم على الإسلام

وليكن جلياً أن مصيبة الفلاسفة أنهم انفردوا بآرائهم وعقولهم . وتكلموا بمقتضى ظنونهم من غير التفات إلى الأنبياء . فمنهم من قال بقول الدهرية أن لا صانع للعالم . حكاه النوبختي وغيره عنهم . وحكى النهاوندي أن أرسطاطاليس وأصحابه زعموا أن الأرض كوكب في جوف هذا الفلك وأن في كل كوكب عوالم كما في هذا الأرض وأنهاراً وأشجاراً وأنكروا الصانع وأكثرهم اثبت علة قديمة للعالم ثم قال بقدم العالم ، وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى ومعلولاً له ومساوياً غير متأخر عنه بالزمان مساواة المعلول للعلة والنور للشمس بالذات والرتبة لا بالزمان ، فيقال لهم لم أنكرتم أن يكون العالم حادثاً بإرادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه ؟ فإن قالوا فهذا يوجب أن يكون بين وجود الباري وبين المخلوقات زمان . قلنا الزمان مخلوق وليس قبل الزمان زمان .

(١) وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية . إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وصواباً . وخالصاً أي لا يقصد به إلا الله سبحانه وتعالى وحده . ولا غير معه .
وصواباً أي على السنة والمنهج النبوي . ويدخل الشيطان في العنصر الأول فيجعل الناس يشركون بالله إما شركا أكبر أو شركاً أصغر وخفي . كما يترصدهم في العنصر الثاني فيحاول بالمباشرة إبعادهم عن السنة فيهيء لهم البدع . والضلالات والوثنيات كل هذا لإهلاكهم في نار جهنم .

ثم يقال لهم : كان الحق سبحانه قادراً على أن يجعل سمك الفلك الأعلى أكثر مما هو بذارع أو أقل مما هو بذراع . فإن قالوا لا يمكن فهو تعجيز ، ولأن ما لا يمكن أن يكون أكبر منه ولا أصغر فوجوده على ما هو عليه واجب لا ممكن ، والواجب يستغني عن علة وقد ستروا مذهبهم بأن قالوا الله عز وجل صانع العالم ، وهذا تجوز عندهم لا حقيقة . لأن الفاعل مريد لما يفعله وعندهم أن العالم ظهر ضرورياً لا أن الله فعله ، ومن مذاهبهم أن العالم باق أبداً كما لا بداية لوجوده فلا نهاية . قالوا لأنه معلول علة قديمة . وكأن المعلول مع العلة ، ومتى كان العالم ممكن الوجود لم يكن قديماً ولا معلولاً . وقد قال جالينوس لو كانت الشمس مثلاً تقبل الانعدام لظهر فيها ذبول في هذه المدة الطويلة فيقال له قد يفسد الشيء بنفسه بغتة لا بالذبول ، ثم من أين له أنها لا تذبل ؟ فإنها عندهم بمقدار الأرض مائة وسبعين مرة أو نحو ذلك ، فلو نقص منها مقدار جبل لم يبن ذلك للحس . ثم نحن نعلم أن الذهب والياقوت يقبلان الفساد وقد يبقيان سنين ولا يحس نقصانهما ، وإنما الإيجاد والإعدام بإرادة القادر والقادر لا يتغير في نفسه ولا تحدث له صفة وإنما يتغير الفعل بإرادة قديمة[1] .

وهذا هو شيخ الفلاسفة سقراط كان يزعم أن أصول الأشياء ثلاثة : علة فاعلة ، والعنصر ، والصورة . قال : والله تعالى هو الفعال والعنصر هو الموضوع الأول للكون والفساد ، والصورة جوهر للجسم ، وقال آخر منهم : الله هو العلة الفاعلة . والعنصر المنفصل ، وقال آخر منهم العقل رتب الأشياء هذا الترتيب . وقال آخر منهم بل الطبيعة فعلته[2] .

وحكى يحيى بن بشير بن عمير النهاوندي أن قوماً من الفلاسفة قالوا لما شاهدنا العالم مجتمعاً ومتفرقاً ومتحركاً وساكناً علمنا أنه محدَث ولا بد له

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي .

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي .

من محدِث ثم رأينا أن الإنسان يقع في الماء ولا يحسن السباحة فيستغيث بذلك الصانع المدبر فلا يغيثه ، أو في النار فعلمنا أن ذلك الصانع معدوم . قال واختلف هؤلاء في عدم الصانع المدبر على ثلاث فرق : فرقة زعمت أنه لما أكمل العالم استحسنه فخشي أن يزيد فيه أو ينقص منه فيفسد ، فأهلك نفسه وخلا منه العالم ، وبقيت الأحكام تجري بين حيواناته ومصنوعاته على ما اتفق ، وقالت الفرقة الثانية : بل ظهر في ذات الباري تولول ، فلم يزل تنجذب قوته ونوره حتى صارت القوة والنور في ذلك التولول وهو العالم ، وساء نور الباري وكان الباقي منه نـور .

وزعموا أنه سيجذب النور من العالم إليه حتى يعود كما كان ، ولضعفه عن مخلوقاته أهمل أمرهم فشاع الجور .

وقالت الفرقة الثالثة : أن الباري لما أتقن العالم تفرقت أجزاؤه فيه فكل قوته في العالم فهي من جوهر اللاهوتية . قال الشيخ ابن الجوزي رحمه الله : هذا الذي ذكره النهاوندي نقلته من نسخة بالنظامية قد كتبت منذ مائتين وعشرين سنة ، ولولا أنه قد قيل ونقل في ذكره بيان ما قد فعل إبليس في تلبيسه ، لكان الأولى الإضراب عن ذكره تعظيماً لله عز وجل أن يذكر بمثل هذا ، ولكن قد بينا وجه الفائدة في ذكره .

قضية والرد عليها

وقد ذهب كثيرون من الفلاسفة إلى أن الله تعالى لا يعلم شيئاً ، وإنما يعلم نفسه ، وقد ثبت أن المخلوق يعلم نفسه ويعلم خالقه ، فقد زادت إذن مرتبة المخلوق على رتبة الخالق ؟؟[1] .

(١) المرجع السابق نفسه .

أليست تلك بفضيحة وحماقة . لقد قال تعالى : (أسمع به وأبصر) وقوله تعالى : (ألا يعلم من خلق) ـ الملك : ١٤ .

وقولـه عز وجـل : (سبحانـك ربنا وسعـت كل شيء رحمة وعلماً)[١] ـ غافر : ٧ .

أخطر ما في الفلسفة إنكار البعث

من المخاطر المشهودة للفلسفة إقحام نفسها في قضايا جادة بوسائل جدلية عقيمة لا تغني عن الحق شيئاً ، لا تسمن ولا تغني من جوع ، وقد بلغت الفلسفة قمة تحللها عندما وضعت الحق تبارك وتعالى بأنه يعلم نفسه ولكن المخلوقات بالنسبة له تافهة ولا يجوز أن يشغل باله فيها ، فهو لا يعرف عنها شيئاً[٢] .

وقد وصلت الحال سوءاً لا يدانيه سوء عندما أنكرت الفلسفة البعث أي بعث الأجساد ورد الأرواح إلى الأبدان ، وأنكرت وجود الجنة والنار كما زعموا أن النفس تبقى بعد موت الإنسان سرمدياً فهي لا تفني ولا ينالها عدم أو فناء ، وتبقى سرمدياً حيث لا يعرف مستقرها إلا الله أما في لذة لا توصف وهي النفوس الكاملة أو ألم لا يوصف وهي النفوس الخبيثة المتلوثة[٣] .

وقد تتفاوت درجات الالم على مقادير الناس ، وقد ينمحي عن بعضها الألم ويزول ، فيقال لهم نحن لا ننكر وجود النفس بعد الموت ، ولذلك سمي عودها

---

(١) الاعجاز الفكري في القرآن .

(٢) أنظر كتب الفلسفة الحديثة وكلها تناولت هذه النقطة تقريباً ولكن بأساليب مختلفة إنما ترجع في النهاية إلى أن الله لا يعلم دقائق الاشياء وهذا باطل يراد به باطل الجوح .

(٣) ولم يتوقف عبث الفلسفة في هذا الحد فإنها شر مستطير لا يتوقف مجونه عند نقطة إنما يتطاير شررها على العقائد من كل سبيل .

إعادة ، ولا أن لها نعيماً وشقاء ، ولكن ما المانع من حشر الأجسام ، ولم ننكر اللذات والآلام الجسمانية في الجنة والنار ، وقد جاء الشرع بذلك فنحن نؤمن بالجمع بين السعادتين ، وبين الشقاوتين الروحانية والجسمانية ، وأما الحقائق في مقام الأمثال فتحكم بلا دليل ، فإن قالوا الأبدان تنحل وتؤكل وتستحيل . قلنا القدرة لا يقف بين يديها شيء ، على أن الإنسان إنسان بنفسه . فلو صنع له البدن من تراب غير التراب الذي خلق منه لم يخرج عن كونه هو هو ، كما أنه تتبدل أجزاؤه من الصغر إلى الكبر وبالهزال والسمن فإن قالوا لم يكن البدن بدناً حتى يرقى من حالة إلى حالة إلى أن صار لحماً وعروقاً قلنا قدرة الله سبحانه وتعالى لا تقف على المفهوم المشاهد ثم قد أخبرنا نبينا ﷺ أن الأجسام تنبت في القبور قبل البعث ، وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ما بين النفختين أربعون[1] قالوا يا أبا هريرة أربعون يوماً ؟ قال : أبيت ، قالوا أربعون شهراً ؟ قال : أبيت ، قالوا أربعون سنة ؟ قال : أبيت ، قال : ثم ينزل الله ماء من السماء فينبتون كما ينبت البقل ، قال : وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً هو عجب[2] الذنب ، منه خلق ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة ، ورد هذا الحديث في الصحيحين[3] .

من ثم كانت الفلسفة شراً وبيلاً وداءً عضالاً وجرثومة تفتك بالنفوس .

وإزداد الطين بلة لما أن ربطوا الفلسفة بمفاهيم وفكر الإسلام وأطلقوا على هذا الفرع من العلوم الكريهة أسم « الفلسفة الإسلامية » فأفسحوا المجال لتمييع حقائق الدين وتشويه صورته وإقحام العقيدة والتكاليف في قضايا جدلية وخيمة العواقب .

---

(١) رواه البخاري ومسلم . ومعنى أبيت أي امتنعت عن الأخبار بما لا أعلم وقد وردت روايات غير مسلم أربعون سنة .

(٢) بفتح العين وإسكان الجيم . العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب . وهو رأس العصعص .

(٣) مواقف يوم القيامة للسيد الجميلي .

وقد تبلورت الفلسفة مع أفكار الإسلام في صورة براقة خداعة خلوب في المذاهب الصوفية المعروفة التي تعاني من كربها وبلائها على حضارة الإسلام والمسلمين .

نسأل الله أن يعيذنا منهم وألا يحشرنا معهم وأن يباعد بيننا وبين هؤلاء ما باعد بين المشرق والمغرب إنه سميع مجيب الدعاء .

وينجلي ربط الفلسفة بالإسلام في عقيدة بعض الصوفية فإننا نرى الصوفية كلها فلسفة والصوفيون هم أكبر الفلاسفة ، وسبقهم إبليس أبو الفلاسفة الذي جادل الحق وأساء الأدب معه ، فكان جزاؤه على هذا الفسوق والعصيان أن طرد من رحمة الله إلى يوم يبعثون .

أذناب وأعقاب هالكون

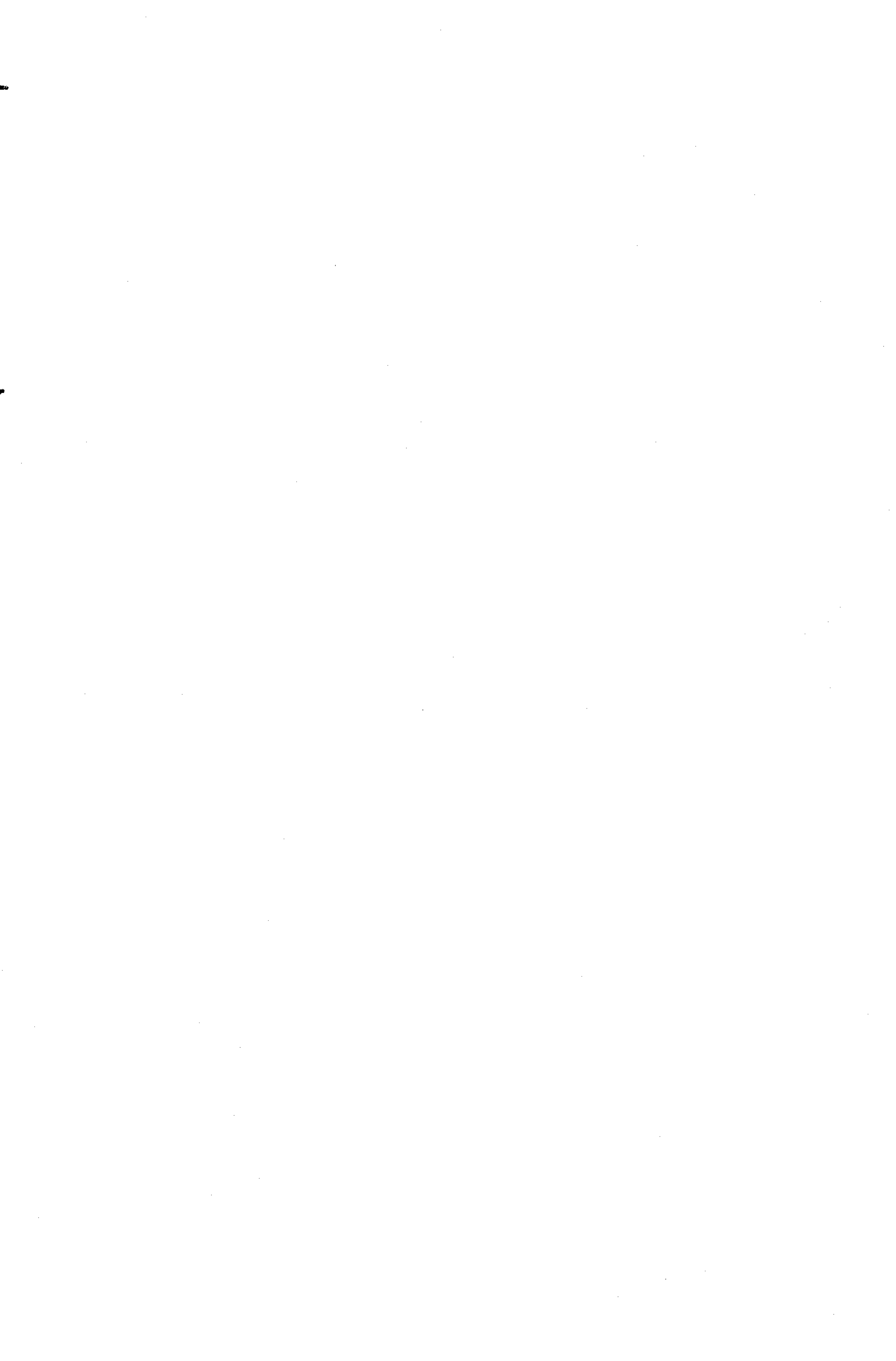
ولقد أخلت الفلسفة والفلاسفة كثيراً من الناس فتنوا في سحر مذهبها ومذهبهم فأراهم الشيطان الخطأ صواباً والصواب هو باتباع الفلسفة والمتفلسفين لأنهم في غاية البلاغة وأنهم قد صدرت منهم أفعال وأقوال دلت على نهاية الذكاء وكمال الفطنة كما ينقل من حكمة سقراط وأبقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وجالينوس وهؤلاء كانت لهم علوم هندسية ومنطقية وطبيعية واستخرجوا بفطنهم أموراً خفية إلا أنهم لما تكلموا في الإلٰهيات خلطوا ولذلك اختلفوا فيها ولم يختلفوا في الحسيات والهندسيات . وسبب تخليطهم أن قوى البشر لا تدرك العلوم إلا جملة والرجوع فيها إلى الشرائع وهؤلاء الفلاسفة الذين عبدهم أتباعهم كانوا ينكرون الصانع ويظنون بالشرائع الظنون متوهمين أنها حيل فرفضوا شعار الدين وأهملوا الصلوات وانتهكوا الحرمات وامتنعوا وزهدوا في الحلال ، واستهانوا بحدود الشرع ، وتكاليف الله سبحانه وتعالى .

وليس ذلك فحسب بل خلعوا ربقة الإسلام فاليهود والنصارى أعذر منهم لكونهم متمسكين بشرائع دلت عليها معجزات ، والمبتدعة في الدين أعذر منهم لأنهم يدعون النظر في الأدلة وهؤلاء لا مستند لكفرهم إلا علمهم بأن الفلاسفة كانوا حكماء أتراهم ما علموا أن الأنبياء كانوا حكماء وزيادة (وما قد حكى)[1] لهؤلاء الفلاسفة من جحد الصانع محال : فإن أكثر القوم يثبتون الصانع ولا ينكرون النبوات وإنما أهملوا النظر فيها وشذ منهم قليل فتبعوا الدهرية الذين فسدت أفهامهم بالمرة وقد رأينا من المتفلسفة من أمتنا جماعة لم يكسبهم التفلسف إلا التحير[2] فلا هم يعملون بمقتضاه ولا بمقتضى الإسلام بل فيهم من يصوم رمضان ويصلي ثم يأخذ في الاعتراض على الخالق وعلى النبوات ويتكلم في إنكار بعث الأجساد ولا يكاد يرى منهم أحد إلا ضربه الفقر فأضر به فهو عامة زمانه في تسخط على الأقدار والاعتراض على المقدر .

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي .

(٢) ومذهب الشيخ محيي الدين بن عربي يشبه مذهب الفيلسوف (اسبينوزا) القائل بوحدة الوجود . وأن كل موجود إنما يوجد في الله ولا شيء يوجد أو يدرك بغير الله قال : « أنه يوجد أو يدرك جوهر آخر دون الله الذي هو شيء يوجد في ذاته وأما الأعراض أو المظاهر المتغيرة فلا يمكن أن توجد إلا في جوهر . وهذا لم يكن هناك جوهر آخر خارج عن الجوهر الإلهي » .
راجع ابن القارض والحب الإلهي ص ٢٤٤ الطبعة الأولى .

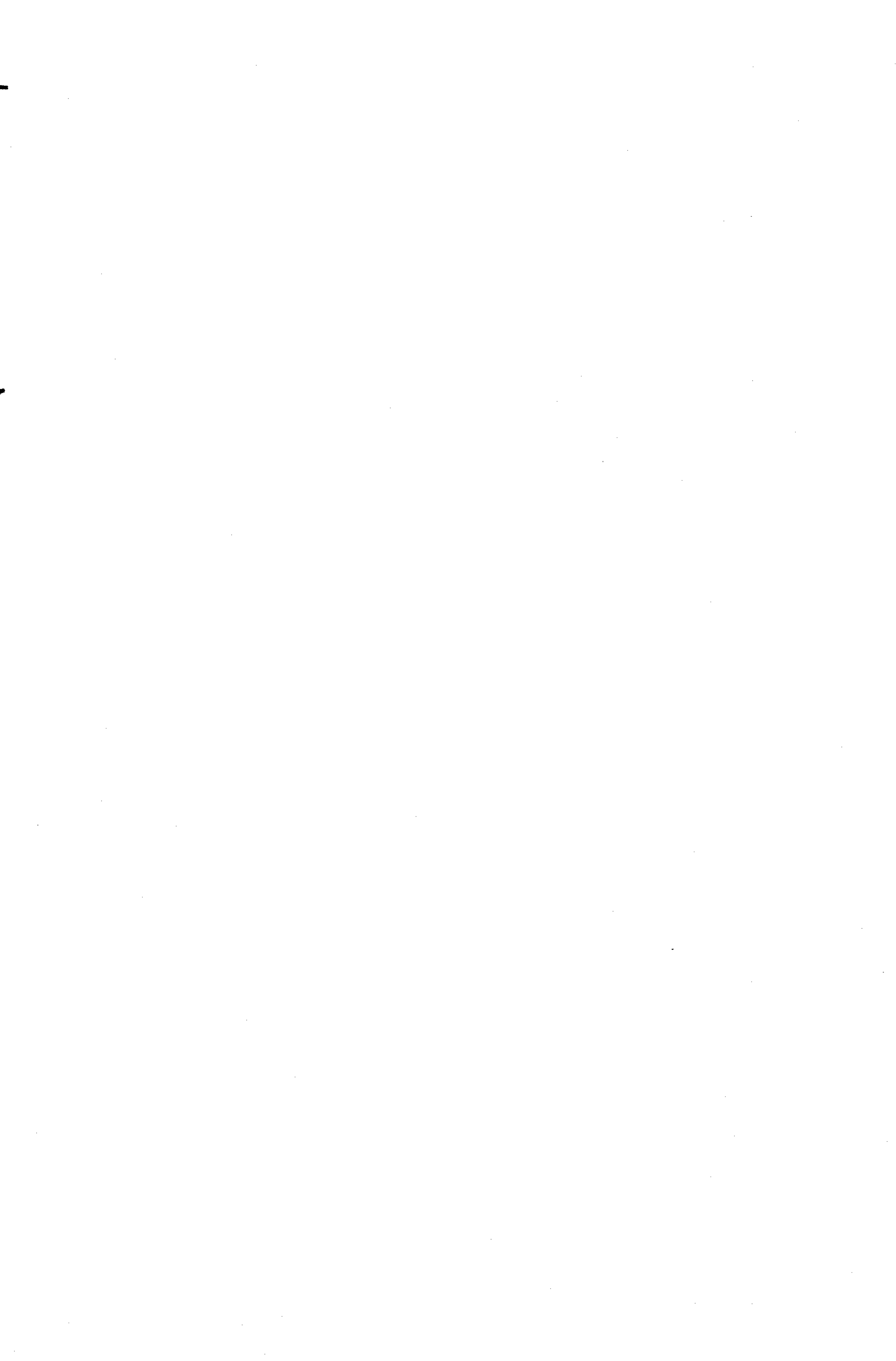


حق الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته

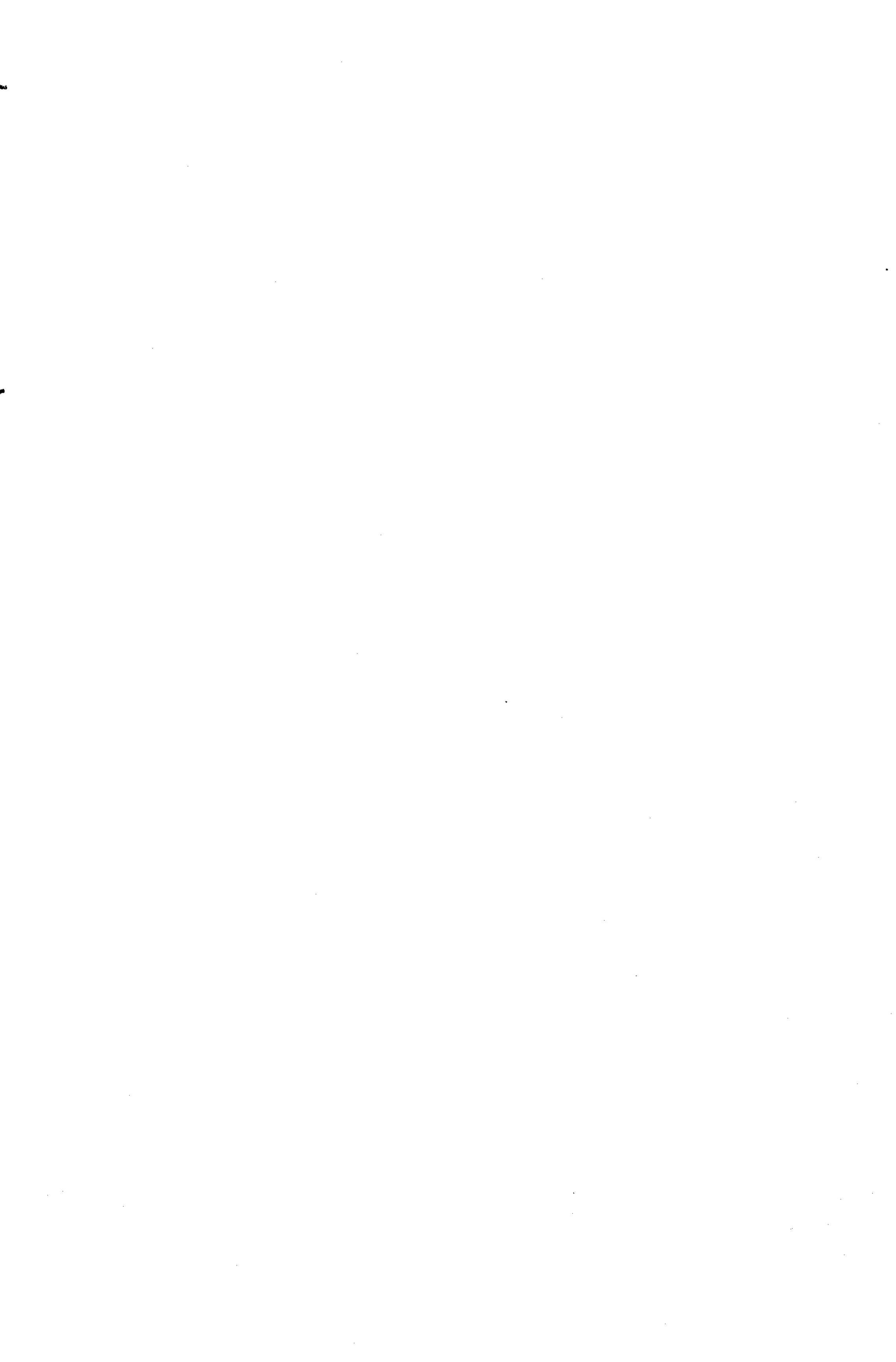
طاعة الرسول لا عبادته

طاعة النبي ﷺ لا عبادته هي حقه على أمته من المسلمين ، والكثيرون فتنوا وعبدوا النبي وهذا ما نحذر من خطورته عليهم ، والله سبحانه وتعالى أمرنا أن نطيع رسوله ﷺ فقال : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) ـ النساء : ٨٠ وأمرنا أن نتبعه فقال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ـ آل عمران : ٣١ . وأمرنا أن نعزره ونوقره وننصره ، وجعل له من الحقوق ما بيّنه في كتابه وسنة رسوله ، حتى أوجب علينا أن يكون أحب الناس إلينا حتى من أنفسنا وأهلنا ، فقال تعالى : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) ـ الأحزاب : ٦ . وقال تعالى : (قل : إن كان آباؤكم وابناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) وقال ﷺ : « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس اجمعين » وقال له عمر رضي الله عنه : يا رسول الله ! لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال : « لا يا عمر ، حتى أكون أحب إليك من نفسك ـ قال : فلأنت أحب إلي من نفسي ، قال : الان يا عمر » وقال : « ثلاث من كنّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ انقذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار » .

وقد بين في كتابه حقوقه التي لا تصلح إلا له وحقوق رسله وحقوق المؤمنين بعضهم على بعض ، كما بسطنا الكلام على ذلك في غير هذا الموضع ، وذلك مثل قوله تعالى : (ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه ، فأولئك هم الفائزون) فالطاعة لله ورسوله ، وقالوا : حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله ، إنا إلى الله راغبون) فالإيتاء لله والرسول والرغبة لله وحده ، وقال تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) ـ الحشر : ٧ . لأن الحلال ما أحله الله ورسوله ، والحرام ما حرمه الله ورسوله وأما الحسب فهو الله وحده ، كما قال : (وقالوا حسبنا الله) ولم يقل : حسبنا الله ورسوله .



ومن المتدينين حمقى وجهال



حكاية الحارث المتنبي

لم يسلم حتى المتدينون من مكائد إبليس والاعيبه وهذه هي حكاية الحارث المتنبي نقلناها من كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي رحمه الله ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ .

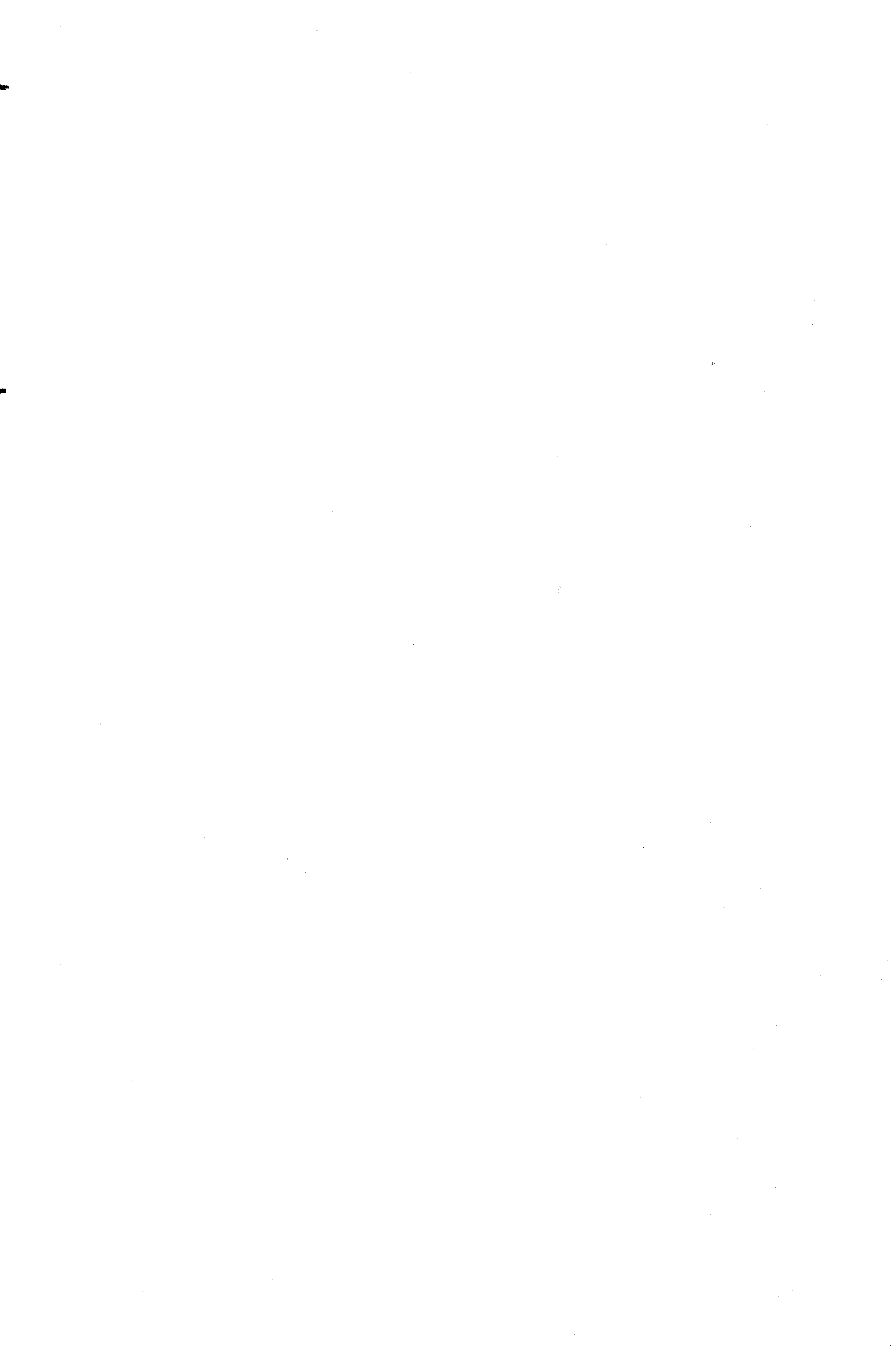
كان الحارث الكذاب من أهل دمشق وكان مولى لأبي الجلاس وكان له أب بالغوطة تعرض له إبليس وكان معبداً زاهداً لو لبس جبة من ذهب لرأيت عليه زهادة وكان إذا أخذ في التحميد لم يصغ السامعون إلى كلام أحسن من كلامه قال : فكتب إلى أبيه يا أبتاه أعجل علي قد رأيت أشياء اتخوف منها أن تكون من الشياطين قال : فزاده أبوه غياً وكتب إليه . يا بني أقبل على ما أمرت به أن الله يقول : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم) ـ الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٢ . ولست بافاك ولا أثيم فامض لما أمرت به . وكان يجيء إلى أهل المساجد راجلاً فيذكر لهم أمره ويأخذ عليهم العهود والمواثيق إن هو رأى يرضى قبل وإلا كتم عليه : وكان يريهم الأعاجيب . كان يأتي إلى رخامة في المسجد فينقرها بيده فتسبح . وكان يطعمهم فاكهة الصيف في الشتاء ويقول : أخرجوا حتى أريكم الملائكة فيخرجهم إلى دير المران فيريهم رجلاً على خيل ، فتبعه بشر كثير وفشى الأمر وكثر أصحابه حتى وصل خبره إلى القاسم ابن مخيمرة فقال له أني نبي فقال له القاسم كذبت يا عدو الله فقال له أبو إدريس بئس ما صنعت إذ لم تلن له حتى تأخذه الان يفر وقام من مجلسه

حتى دخل على عبد الملك فاعلمه بأمره فبعث عبد الملك في طلبه فلم يقدر عليه . وخرج عبد الملك حتى نزل العنبرة فاتهم عامة عسكره بالحارث أن يكونوا يرون رأيه وخرج الحارث حتى أتى بيت المقدس واختفى وكان أصحابه يخرجون يلتمسون الرجال يدخلونهم عليه وكان رجل من أهل البصرة قد أتى بيت المقدس فأدخل على الحارث فأخذ في التحميد وأخبره بأمره وأنه نبي مبعوث مرسل . فقال أن كلامك لحسن ولكن لي في هذا نظر . قال فانظر . فخرج البصري ثم عاد إليه فرد عليه كلامه فقال إن كلامك لحسن وقد وقع في قلبي وقد آمنت بك وهذا هو الدين المستقيم . فأمر أن لا يحجب عنه متى أراد الدخول فأقبل البصري يتردد إليه ويعرف مداخله ومخارجه وأين يهرب حتى صار من أخبر الناس به . ثم قال له : ائذن لي فقال إلى أين قال إلى البصرة فأكون أول داع لك بها . قال فأذن له فخرج مسرعاً إلى عبد الملك وهو بالعنبرة فلما دنا من سرادقة صاح النصيحة النصيحة . فقال أهل العسكر . وما نصيحتك قال نصيحة لأمير المؤمنين فأمر الخليفة عبد الملك أن يأذنوا له بالدخول عليه فدخل وعنده أصحابه قال فصاح النصيحة قال وما نصيحتك قال : أخلني لا يكن عندك أحد فأخرج من في البيت وقال له : ادنني قال : أدن فدنا وعبد الملك على السرير قال : ما عندك قال الحارث : فلما ذكر الحارث طرح عبد الملك نفسه من أعلى السرير إلى الأرض ثم قال : أين هو قال : يا أمير المؤمنين هو ببيت المقدس قد عرفت مداخله ومخارجه وقص عليه قصته وكيف صنع به فقال : أنت صاحبه وأنت أمير بيت المقدس وأميرنا ههنا فمرني بما شئت . قال : يا أمير المؤمنين أبعث معي قوماً لا يفهمون الكلام فأمر أربعين رجلاً من فرغانة فقال : انطقوا مع هذا فما أمركم به من شيء فأطيعوه ، قال : وكتب إلى صاحب بيت المقدس أن فلاناً هو الأمير عليك حتى يخرج فأطعه فيما أمرك به . فلما قدم بيت المقدس أعطاه الكتاب فقال مرني بما شئت فقال : أجمع لي كل شمعة تقدر عليها ببيت المقدس وأدفع كل شمعة إلى رجل ورتبهم على أزقة بيت المقدس

وزواياه فإذا قلت : اسرجوا اسرجوا جميعاً فرتبهم في أزقة بيت المقدس وزواياها بالشمع وتقدم البصري إلى منزل الحارث فأتى الباب فقال للحاجب : أستأذن لي على نبي الله قال في هذه الساعة ما يؤذن عليه حتى يصبح قال اعلمه أني ما رجعت إلا شوقاً إليه قبل أن أصل فدخل عليه وأعلمه بكلامه فأمره بفتح الباب . قال ثم صاح البصري اسرجوا الشموع فاسرجت حتى كانت كأنها النهار ثم قال : من مر بكم فاضبطوه كائناً من كان ودخل هو إلى الموضع الذي يعرفه فطلبه فلم يجده فقال أصحاب الحارث : هيهات تريدون قتل نبي الله قد رفعه الله إلى السماء . قال : فطلبه في شق قد هيأه سراً فأدخل البصري يده في ذلك الشق فإذا هو بثوبه فأخرجه إلى خارج ثم قال للفرغانيين أربطوه فبينما هم يسيرون به على البريد إذ قال : اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله . فقال رجل من الفرغانيين أولئك العجم هذا كرامتنا فهات كرامتك أنت وساروا به حتى أتوا به عبد الملك فلما سمع به أمر بخشبة فنصبت فصلبه وأمر بحربة وأمر رجلاً فطعنه فلما صار إلى ضلع من أضلاعه فانكفأت الحربة عنه فجعل الناس يصيحون ويقولون : الأنبياء لا يجوز فيهم السلاح . فلما رأى ذلك رجل من المسلمين تناول الحربة ثم مشى إليه وأقبل يتجسس حتى وافى بين ضلعين فطعنه بها فأنقذها فقتله . قال الوليد : بلغني أن خالد بن يزيد بن معاوية دخل على عبد الملك بن مروان فقال : لو حضرتك ما أمرتك بقتله . قال : ولم . قال : إنما كان به المذهب فلو جوعته ذهب عنه . وروى أبو الربيع عن شيخ أدرك القدماء قال : لما حمل الحارث على البريد وجعلت في عنقه جامعة من حديد وجمعت يده إلى عنقه فاشرف على عتبة بيت المقدس تلي هذه الآية (قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فيما يوحي إلى ربي) ـ سبأ : ٥٠ . فتقلقلت الجامعة ثم سقطت من يده ورقبته إلى الأرض فوثب الحرس الذين كانوا معه فاعادوها عليه ثم ساروا به فلما أشرفوا على عتبة أخرى قرأ آية فسقطت من رقبته ويده على الأرض فاعادوها عليه فلما قدموا على عبد الملك

حبسه وأمر رجالاً من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويخوفوه إلى الله ويعلمون أن هذا من الشيطان فأبى أن يقبل منهم فصلب . وجاء رجل يحربه فطعنه فانثنت فتكلم الناس وقالوا ما ينبغي لمثل هذا أن يقتل ثم أتاه حرسي برمح دقيق فطعنه بين ضلعين من أضلاعه ثم هزه وأنفذه . وسمعت أن عبد الملك قال للذي ضربه بالحربة لما انثنت أذكرت الله حين طعنته قال أسيت قال فاذكر الله ثم أطعنه فذكر الله ثم طعنه فانفذها .

أباطيل علماء الأرواح ومناقشتها



الذين قالوا بالتناسخ

والذين قالوا بتناسخ الأرواح ما موقفنا منهم ؟ لقد قالوا أن أرواح أهل الخير إذا خرجت دخلت في أبدان خيرة فاستراحت وأرواح أهل الشر إذا خرجت تدخل في أبدان أهل الشر فيتحمل عليها المشاق وهذا المذهب ظهر في زمان فرعون موسى وقيل أن أرباب التناسخ لما رأوا ألم الأطفال والسباع والبهائم استحال عندهم أن يكون ألمهـا يمتحن به غيرها أو ليتعرض أولاً لمعنى أكثر من أنها مملوكة فصح عندهم أن ذلك لذنوب سلفت منها قبل تلك الحال (وذكر يحيى بن بشر بن عمير النهاوندي)[1] أن الهند يقولون الطبائع أربع هيولي مركبة ونفس وعقل وهيولي مرسلة . فالمركبة هي الرب الأصغر والنفس هي الهيولي الأصغر والعقل الرب الأكبر والهيولي هو أيضاً أكبر وأن الأنفس إذا فارقت الدنيا صارت إلى الرب الأصغر وهو الهيولي المركبة فإن كانت محسنة صافية قبلها في طبعه فصفاها حتى يخرجها إلى الهيولي الأصغر وهو النفس حتى تصير إلى الرب الأكبر فيتخلصه إلى الهيولي المركب الأكبر . فإن كان محسناً تام الإحسان أقام عنده في العالم البسيط وإن كان محسناً غير تام أعاده إلى الرب الأكبر ثم يعيده الرب الأكبر إلى الهيولي الأصغر ثم يعيده الهيولي الأصغر إلى الرب الأصغر فيخرجه مازجاً لشعاع الشمس حتى ينتهي إلى بقلة خسيسة يأكلها الإنسان فيتحول إنساناً ويولد ثانية في العالم وهكذا تكون حاله في

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي . بتصرف .

كل موته يموتها . (وأما المسيئون) فإنهم إذا بلغت نفوسهم إلى الهيولي الأصغر انعكست فصارت حشائش تأكلها البهائم فتصير الروح في بهيمة ثم تنسخ من بهيمة في أخرى عند موت تلك البهيمة فلا يزال منسوخاً متردداً في العلل : ويعود كل ألف سنة إلى صورة الأنس . فإن أحسن في صورة الأنس لحق بالمحسنين . أنبأنا محمد بن أبي طاهر البزار قال أنبأنا علي بن المحسن عن أبيه قال : حدثني أبو الحسن علي بن نظيف المتكلم قال كان يحضر معنا ببغداد شيخ يعرف بأبي بكر بن الفلاس فحدثنا أنه دخل على بعض من كان يعرف بالتقوى . ثم سار يقول بمذهب التناسخ قال فوجدته بين يديه سنوراً أسود وهو يمسحها ويحك بين عينيها ورأيتها وعينها تدمع كما جرت عادة السنانير بذلك وهو يبكي بكاءاً شديداً فقلت له لم تبك فقال ويحك أما ترى هذه السنور تبكي كلما مسحتها هذه أمي لا شك وإنما تبكي من رؤيتها إلى حسرة قال وأخذ يخاطبها خطاب من عنده أنها تفهم منه وجعلت السنور تصحيح قليلاً قليلاً فقلت له فهي تفهم عنك ما تخاطبها به فقال نعم فقلت أتفهم أنت صياحها قال لا قلت فأنت المنسوخ وهي الإنسانة[1] .

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي . المرجع السابق .

أباطيل علماء الأرواح ومناقشتها

قامت دراسات في جامعات أوربية وأمريكية مشهورة حول « تحضير الأرواح » وهم لا يقولون « تحضير الجن » فهم لا يعترفون بالجن أصلاً ويعتبرون السحرة دجالين وينسبون كل ما يحدث من الغيبيات لأرواح الموتى ، إن كانت شريرة فهي تترك جسدها في المقبرة وتشيع الشر في العالم ، وتمارس ما كانت عليه ، وما كانت تقوم به حيال حياتها المحدودة ، ولكنها بعد الانطلاق قوة هائلة صارخة أكثر من قوة تفجير القنبلة الذرية ، إذا انطلقت وانفجرت فتكت بملايين البشر آلاف الأميال ، وإن كانت الروح خيرة أمكن استحضارها ومحبتها هي بنفسها في الرؤى أو في اليقظة بدون استدعاء لتقوم بنشاطها الذي كانت تقوم به أثناء انحصارها في جسدها الفيزيقي وزادت عليه قوة الانطلاق من قيد هذا الجسد .

وهذه الدراسات الروحية العقيمة ، اعتبرت علم النفس أجوف وتجاهلت دراساته بل اعتبرته كلاماً فارغاً ولا يخرج عن كونه خيالاً خصباً .

وبدلاً من أن يؤسسوا قطاعات للأبحاث النفسية أنشأوا كراسي أساتذة منحوهم لقب دكتور وأفسحوا لهم أماكن في الجامعات وانضم إليهم جهابذة الباحثين في مضمار العلوم الروحانية .

وهذا في رأينا ليس معناه أن القوم اكتشفوا حقيقة كانت مجهولة ولكنهم قوم ضربوا في بيداء الضلال ، وكما قلنا يقينا فإنها ليست أرواح موتى ولكنها أرواح هائمة للشياطين والجن .

---

(١) السحر وتحضير الأرواح بين البدع والحقائق تأليف السيد الجميلي ص ١٥١ . ١٥٢ . ١٥٣ . ١٥٤ . ١٥٥ . بتصرف .

لكننا لا نألوا جهداً في مناقشة هؤلاء العلمانيين ، جهابذة الفكر ، حتى لا يغتر بهم العوام والسذج ، فيقبلون كلامهم بدون وعي أو تفكير إعتماداً على مراكزهم العلمية .

ويقولون أن للإنسان والحيوان روحاً قائمة بذاتها ، وهي جسم أثيري مطابق كل المطابقة لجسده المادي خلية خلية ، وهي تسكن فيه وقد تنساب قليلاً أو كثيراً وأن التجارب التي عملوها تثبت ذلك . وينكر علماء الروح عالم النفس وما يسمى بالعقل الباطن مركزين أبحاثهم على الجسم والروح .

وعلماء الأرواح مؤمنون حقاً بما يسمى الإستحواذ الخارجي والذي بواسطته تقع الغيبوبة للوسيط فيما يسمونه بالغيبوبة الوساطية الروحية .

وجاء في دائرة المعارف الانجليزية في طبعتها الرابعة عشرة بصدد الغيبوبة الوساطية : « يعتبر الصلة حالة الغيبوبة الوساطية أشبه بحالة النوم المغناطيسي العميق » .

وجاء أيضاً « من الوجوه المميزة للغيبوبة الوساطية ما يحدث باستمرار من كلام تلقائي أو كتابة تلقائية . ومثل هذا الكلام أو الكتابة التلقائية يحدث أحياناً من أناس كثيرين أصحاء الجسوم وهم في اليقظة ، الأمر الذي لا يدل على وجود أية علامة من علامات الشذوذ الطبيعي » .

وجاء أيضاً « ولقد اهتموا من جديد في السنين الأخيرة بأمر دراسة الغيبوبة الوساطية ففحصت فحصاً دقيقاً أجزاء أعضاء جمعية البحوث الروحية بجدارة تستحق الاحترام » .

وهذا الفحص يميل إلى تأييد نظرة الإستحواذ الخارجي أي هيمنة روح

على الوسيط [١] .

وما قاله الطبيب الأمريكي الدكتور ريكلان في كتابه « ثلاثون سنة بين الموتى » ما يؤيد ذلك : « وقد حضرنا مثل هذه الجلسات فوجدنا كذب ما يقولون حتى قيل بأن فلانة استحوذت عليها روح جعلتها تقرأ القرآن ، وباستقراء هذا الموضوع عندما سمعنا تلاوتها لسورة ألهاكم التكاثر وهي في حالة غيبوبة ، وسألناها بعدما أفاقت فوجدناها كانت تلميذه وهي صغيرة بإحدى المدارس الإبتدائية الإلزامية بالقرية فما قرأته وهي في غيبوبة إلا أنه كان مدفوناً في حافظتها تذكرته في غيبوبتها ، كما تتذكر الإنسان من أحلام وحوادث الماضي .

ويلاحظ أن علماء تحضير الجن يقولون بأنهذا هيمنة قرين على الإنسان يجعله في سبات عميق ، ويتكلم هو على لسانه ، وكثيراً ما نسمع في القرية عن رجل يسمونه الشيخة (عائشة) ونتعجب من ذلك فيقولون أن عليه شيخة تسمى (عائشة) وبالعكس تسمع إطلاق اسم الشيخ (عقل) على سيدة وتسأل عن الشر في ذلك فيقولون أن عليها شيخاً يسمى عقل من بلاده المغرب ، فعلماء الأرواح يقولون بهيمنة أرواح من العالم الثاني أرواح الموتى الفانين .

وعلماء الجن يقولون بهيمنة قرناء من الجن الحاضرين معهم ويعطونهم من الأسرار ما يجعلون لهم شأناً أمام العامة .

ولعلماء النفس القدح المعلي طبياً في تعليل هذه الظواهر ، وسبق توضيحها ، بين العقل الوعي ، واللاواعي ، ولا مانع مطلقاً من أن يرى جند إبليس قبول

(١) يؤيد هذا القول رأي العالم الإنجليزي الدكتور جورج لندن جونسون في كتابه النفيس « المسألة الكبرى والبينة على حلها » من أن الوسيطة الشهيرة مرجري عقيلة الدكتور كراندون أستاذ الجراحة بهارفارد كتبت وهي واقفة في هذه الغيبوبة تسعة موضوعات مختلفة بتسع لغات مختلفة من بينها اللغة الصينية وهذا يدل على استحواذ شخصيات غير منظورة تهيمن على يدها وتكتب ما تريد أي ما تريده هذه الشخصيات .

النفس لذبذباتهم فيشتركون في إذاعة خارجية في الأضلال والأغواء والأخبار بحوادث قد تقع .

قال تعالى في حق القرآن الكريم : (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون ، إنهم عن السجع لمعزولون) ـ الشعراء : ٢٠٩ .

وللشياطين مقدرة ليضلوا الناس بها ، ويعتبرونها بحوثاً وعلوماً يسمونها بأسماء مناجاة الأرواح من العالم الآخر ، أو وحياً أو إلهاماً أو علماً لدنيا ، وكلها ضلالات على المؤمن أن ينأي عنها ويفر منها ويعاديها .

قال تعالى : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل أفاك أثيم ، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون) .

عبادة الناس الجن

يوم القيامة يوم عصيب ، تنخلع فيه القلوب وتشخص الأبصار قال فيه رب العزة جل شأنه (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) يومئذ يسأل الله المخلوقين جميعاً :

قال تعالى : (فوربك لنسألنهم آجمعين) ـ الحجر : ٩٢ .

وحتى الملائكة سيسألون هل كان الناس يعبدونهم من دون الله ؟ فيدافع الملائكة عن أنفسهم قائلين :

(سبحانك أنت ولينا من دونهم، بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) ـ سبأ : ٤١ .

ومن شدائد هذا اليوم العصيب أن الملائكة سيسألون ولكنهم بمجرد السؤال يسارعون بتنزيه الله سبحانه وتعالى ، وهذا السؤ ل من قبيل الحجية والله أعلم .

والأنبياء والمرسلين سيسألون أيضاً :

قال تعالى : (فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين) ـ الأعراف : ٦ .

وقال تعالى : (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها والأمر يومئذ لله) ـ النحل : ١١١ . ومعنى مجادلة النفس عن نفسها أن الأمر أصعب مما يتصور عقل بشري ، إذ لا شاغل للنفس إلا همها وشاغلها .

وكثير من هؤلاء قد لا يعرف أن ذلك من الجن ، بل قد سمع أن أولياء الله لهم كرامات وخوارق للعادات ، وليس عنده من حقائق الإيمان ومعرفة القرآن ما يفرق بين الكرامات الرحمانية ، وبين التلبيسات الشيطانية فيمكرون به بحسب اعتقاده ، فإن كان مشركاً يعبد الكواكب والأوثان أوهموه أنه ينتفع بتلك العبادة ، ويكون قصده الإستشفاع والتوسل ممن صور ذلك الصنم على صورته من ملك أو نبي أو شيخ صالح ، فيظن أنه صالح ، وتكون عبادته في الحقيقة للشيطان ، قال الله تعالى : (ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) ـ سبأ : ٤٠ ـ ٤١ .

ولهذا كان الذين يسجدون للشمس والقمر والكواكب يقصدون السجود لها فيقارنها الشيطان عند سجودهم ليكون سجودهم له ، ولهذا يتمثل الشيطان بصورة من يستغيث به المشركون . فإن كان نصرانياً واستغاث بجرجس أو غيره جاء الشيطان في صورة جرجس أو من يستغيث به ، وإن كان منتسباً إلى الإسلام واستغاث بشيخ يحسن الظن به من شيوخ المسلمين جاء في صورة ذلك الشيخ ، وإن كان من مشركي الهند جاء في صورة من يعظمه ذلك المشرك .

وللإنس مع الجن أحوال ، وهذه الأحوال من الصلة بين الجن والإنس هي سبب شقاء وبلاء الإنسان من قديم الأزل .

فمن كان من الإنس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده وطاعة نبيه ، ويأمر الأنس بذلك ، فهذا من أفضل أولياء الله تعالى ، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ونوابه .

ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له فهو كمن استعمل الانس في أمور مباحة ، وهذا كأن يأمرهم بما يجب عليهم وينهاهم عما حرم عليهم ، ويستعملهم في مباحات له ، فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك ، وهذا إذا قدر أنه من أولياء الله تعالى ، فغايته أن يكون في عموم أولياء الله مثل النبي الملك مع العبد الرسول . كسليمان ويوسف مع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ومن كان يستعمل الجن فيما ينهي عنه الله ورسوله ، أما في الشرك وأما في قتل معصوم الدم أو في العدوان عليهم بغير القتل كتمريضه وإنسائه العلم وغير ذلك من الظلم ، وأما في فاحشة كجلب من يطلب منه الفاحشة ، فهذا قد استعان بهم على الأثم والعدوان ، ثم إن استعان بهم على الكفر فهو كافر ، وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاص : أما فاسق ، وأما مذنب غير فاسق ، وإن لم يكن تام العلم بالشريعة فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات : مثل أن يستعين بهم على الحج ، أو أن يطيروا به عند السماع البدعي ، أو أن يحملوه إلى عرفات ، ولا يحج الحج الشرعي الذي أمره الله به ورسوله ، وأن يحملوه من مدينة إلى مدينة ، ونحو ذلك فهذا مغرور قد مكروا به .

وهؤلاء تأتيهم أرواح تخاطبهم وتتمثل لهم ، وهي جن وشياطين فيظنونها ملائكة ، كالأرواح التي تخاطب من يعبد الكواكب والأصنام .

وكان من أول ما ظهر من هؤلاء في الإسلام : « المختار ابن أبي عبيد » الذي أخبر به النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال : « سيكون في ثقيف كذاب ومبير » وكان الكذاب : المختار بن أبي عبيد ، والمبير : الحجاج بن يوسف .

فقيل لابن عمر وابن عباس : أن المختار يزعم أنه ينزل إليه ، فقال : صدق قال الله تعالى : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم) ـ الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

وقال الأخر وقيل له أن المختار يزعم أنه يوحي إليه ، فقال : قال الله تعالى : (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) ـ الأنعام : ١٢١ .

دخل إبليس على هذه الأمة في عقائدها من طريقين : أحدهما التلقيد للآباء والأسلاف . والثاني : الخوض فيما لا يدرك غوره ويعجز الخائض عن الوصول إلى عمقه فأوقع أصحاب هذا القسم في فنون من التخليط فأما الطريق الأول فإن إبليس زين للمقلدين أن الأدلة قد تشتبه والصواب قد يخفي والتقليد سليم : وقد ضل في هذا الطريق خلق كثير وبه هلاك عامة الناس فإن اليهود والنصارى قلدوا آباءهم فضلوا وكذلك أهل الجاهلية وأعلم أن العلة التي بها مدحوا التقليد بها يذم لأنه إذا كانت الأدلة تشتبه والصواب يخفي وجب هجر التقليد لئلا يوقع في ضلال . وقد ذم الله سبحانه وتعالى الواقفين مع تقليد آبائهم وأسلافهم فقال عز وجل : (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على

آثارهم مقتدون . قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) ـ الزخرف : ٢٣ ـ ٢٤ . المعنى أتتبعونهم وقد قال عز وجل : (أنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) .

أعلم أن المقلد على غير ثقة فيما قلد فيه وفي التقليد أبطال منفعة العقل لأنه إنما خلق للتأمل والتدبر . وقبيح بمن أعطى شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة . واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظم في قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال : وهذا عين الضلال لأن النظر ينبغي أن يكون إلى القول لا إلى القائل كما قال علي رضي الله عنه للحرث بن حوط وقد قال له : أتظن أنا نظن أن طلحة والزبير كانا على باطل . فقال له يا حارث أنه ملبوس عليك أن الحق لا يعرف بالرجال أعرف الحق تعرف أهله ، وكان أحمد بن حنبل يقول : من ضيق علم الرجل أن يقلد في اعتقاده رجلاً ولهذا أخذ أحمد بن حنبل يقول : زيد في الجد وترك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فإن قال قائل : « فالعوام لا يعرفون الدليل فكيف لا يقلدون فالجواب ـ أن دليل الاعتقاد ظاهر على ما أشرنا إليه في ذكر الدهرية ومثل ذلك لا يخفى على عاقل وأما الفروع فإنها لما كثرت حوادثها واعتاص على العامي عرفانها وقرب لها أمر الخطأ فيها كان أصلح ما يفعله العامي التقليد فيها لمن قد سبر ونظر إلا أن اجتهاد العامي في اختيار من يقلده .

وأما الطريق الثاني : فإن إبليس لما تمكن من الأغبياء فورطهم في التقليد وساقهم سوق البهائم . ثم رأى خلقاً فيهم نوع ذكاء وفطنة فاستغواهم على قدر تمكنه منهم فمنهم من قبح عنده الجمود على التقليد وأمره بالنظر ثم استغوى كلاً من هؤلاء بفن فمنهم من أراه أن الوقوف مع ظواهر الشرائع عجز . فساقهم إلى مذهب الفلاسفة ولم يزل بهؤلاء حتى أخرجهم عن الاسلام وقد سبق ذكرهم في الرد على الفلاسفة . ومن هؤلاء من حسن له أن لا يعتقد إلا ما ادركته حواسه .

فيقال لهؤلاء بالحواس علمتم صحة قولكم فإن قالوا نعم كابروا لأن حواسنا لم تدرك ما قالوا إذ ما يدرك بالحواس لا يقع فيه خلاف وإن قالوا بغير الحواس. فناقضوا قولهم : ومنهم من نفرّه إبليس عن التقليد وحسّن له الخوض في علم الكلام والنظر في أوضاع الفلاسفة ليخرج بزعمه عن غمار العوام. وقد تنوعت أحوال المتكلمين وأفضى الكلام بأكثرهم إلى الشكوك وببعضهم إلى الألحاد[1] .

ولم تسكت القدماء من فقهاء هذه الأمة عن الكلام عجزاً ولكنهم رأوا أنه لا يشفي غليلاً ثم يرد الصحيح عليلاً فامسكوا عنه ونهوا عن الخوض فيه. حتى قال الشافعي رحمه الله لأن يبتلي العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام قال وإذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد أنه من أهل الكلام ولا دين له. قال : وحكمي في علماء الكلام أن يضربوا بقول (بل هم قوم خصمون) فقال اثنان أو ثلاثة لنكلمنه : فقلت هاتوا ما نقمتم على صهر رسول الله ﷺ والمهاجرين والأنصار وعليهم نزل القرآن وليس فيكم منهم أحد : وهم أعلم بتأويله. قالوا ثلاثاً : قلت هاتوا : قالوا : أما أحداهن فانه حكم الرجال في أمر الله. وقد قال الله عز وجل : (أن الحكم إلا لله) فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل. فقلت هذه واحدة وماذا : قالوا : وأما الثانية فإنه قاتل وقتل ولم يسب ولم يغنم فإن كانوا مؤمنين فلم حلّ لنا قتالهم وقتلهم ولم يحلّ لنا سبيهم قلت وما الثالثة قالوا فإنه محا عن نفسه أمير المؤمنين فإنه إن لم يكن أمير المؤمنين فإنه لأمير الكافرين. قلت : هل عندكم غير هذا. قالوا : كفانا هذا. قلت : لهم أما قولكم حكم الرجال في أمر الله أنا أقرأ عليكم في كتاب الله ما ينقض هذا. فإذا نقض قولكم اترجعون قالوا : نعم قلت : فإن الله قد صير من حكمه إلى الرجال في ربع درهم ثمن أرنب وتلى هذه الآية (لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) إلى آخر الآية في

---

(١) تلبيس ابليس لابن الجوزي.

المرأة وزوجها (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها) ـ النساء : ٣٥ . إلى آخر الآية فناشدتكم بالله هل تعلمون حكم الرجال في إصلاح ذات بينهم في حقن دمائهم أفضل أم حكمهم في أرنب وبضع امرأة فأيهما ترون أفضل . قالوا : بل هذه . قلت : خرجت من هذه . قالوا : نعم . قلت : وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم فتسبون أمكم عائشة رضي الله تعالى عنها . فوا الله لئن قلت ليست بأمنا لقد خرجتم من الإسلام . ووالله لئن قلتم لنسبينها ونستحل منها ما نستحل من غيرها لقد خرجتم من الإسلام ، فانتم بين ضلالتين لأن الله عز وجل قال : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) ـ الأحزاب : ٦ . أخرجت من هذه . قالوا : نعم . قلت : وما قولكم محا عن نفسه أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون أن النبي ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين أبا سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو . فقال لعلي رضي الله عنه : اكتب لهم كتاباً فكتب لهم علي . هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله فقال المشركون والله ما نعلم أنك رسول الله لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم اللهم إنك تعلم أني رسول الله امح يا علي . أكتب هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبدالله فوالله لرسول الله خير من علي وقد محا نفسه[1] .

قال فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا . أخبرنا أبو منصور القزاز أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن علي الكوفي عن محمد بن علي بن دحيم الشيباني عن أحمد بن حازم عن أحمد بن عبد الرحمن يعني ابن أبي ليلى عن سعيد بن جثيم عن القعقاع بن عبارة عن أبي الخليل عن أبي الشائعة عن جندب الأزدي .قال : لما عد لنا إلى الخوارج ونحن مع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال فانتهينا إلى معسكرهم فإذا لهم دوى كدوى النحل من قراءة القرآن .

(١) المرجع السابق نفسه ..

الخوارج والباطنية (القرامطة)

مناقشة مغالطتهم والرد عليها

رأي الخوارج ومناقشته

ولما أراد الحسن رضي الله عنه أن يصالح معاوية خرج عليه من الخوارج الجراح بن سنان . وقال أشركت كما اشرك أبوك ثم طعنه في أصل فخذه . وما زالت الخوارج تخرج على الأمراء ولهم مذاهب مختلفة . وكان أصحاب نافع بن الأزرق يقولون نحن مشركون ما دمنا في دار الشرك فإذا خرجنا فنحن مسلمون . قالوا : ومخالفونا في المذهب مشركون . ومرتكبوا الكبائر مشركون والقاعدون عن موافقتنا في القتال كفرة وأباح هؤلاء قتل النساء والصبيان من المسلمين وحكموا عليهم بالشرك وكان نجدة بن عامر الثقفي مخالفاً نافع بن الأزرق وقال بتحريم دماء المسلمين وأموالهم : وزعم أن أصحاب الذنوب من موافقيه يعذبون في غير نار جهنم وإن جهنم لا يعذب بها إلا مخالفوه في مذهبه . وقال إبراهيم . الخوارج قوم كفار وتحل لنا مناكحتهم وموارثتهم كما كان الناس في بدء الإسلام . وكان بعضهم يقول لو أن رجلاً أكل من مال يتيم فلسين وجبت له النار . لأن الله عز وجل أوعد على ذلك النار .

هؤلاء الحمقى الذين عملوا بواقعاتهم واعتقدوا أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على الخطأ ومن معه من المهاجرين والأنصار على الخطأ وإنهم على الصواب . واستحلوا دماء الأطفال ولم يستحلوا كل ثمرة بغير ثمنها وتعبوا في العبادات وسهروا وجزع ابن ملجم عند قطع لسانه من فوات الذكر . واستحل قتل علي كرم الله وجهه . ثم شهروا السيوف على المسلمين ولا أعجب

من اقتناع هؤلاء بعلمهم واعتقادهم أنهم أعلم من علي رضي الله عنه ، فقد قال ذو الخويصرة لرسول الله ﷺ أعدل فما عدلت وما كان إبليس ليهتدي إلى هذه المخازي نعوذ بالله من الخذلان .

طائفة الجناحية ووثنيتها

وكانت طائفة من الرافضة يقال لها الجناحية وهم أصحاب عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر ذي الجناحين يقولون أن روح الإله دارت في أصلاب الأنبياء والأولياء إلى أن انتهى إلى عبدالله وأنه لم يمت . وهو المنتظر . ومنهم طائفة يقال لها الغرابية يثبتون شركة علي في النبوة . وطائفة يقال لها المفوضة يقولون : أن الله عز وجل خلق محمداً ثم فوض خلق العالم إليه . وطائفة يقال لها الذمامية يذمون جبريل ويقولون : كان مأموراً بالنزول على علي فنزل على محمد . ومنهم من يقول أن أبا بكر ظلم فاطمة ميراثها . وقد روينا عن السفاح أنه خطب يوماً فقام رجل من آل علي رضي الله عنه قال : أنا من أولاد علي رضي الله عنه . فقال : يا أمير المؤمنين أعدني على من ظلمني . قال : ومن ظلمك . قال : أنا من أولاد علي رضي الله عنه والذي ظلمني أبو بكر رضي الله عنه حين أخذ فدك من فاطمة قال : ودام على ظلمكم قال : نعم . قال : ومن . قال : بعده . قال عمر رضي الله عنه قال : ودام على ظلمكم . قال : نعم ومن قام بعده . قال عثمان رضي الله عنه قال : ودام على ظلمكم . قال : نعم . قال : ومن قام بعده فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكاناً يهرب إليه .

من وضع مذهب الرافضة قصد الطعن في أصل الدين والنبوة وذلك أن الذي جاء به رسول الله ﷺ أمر غائب عنا وإنما نثق في ذلك بنقل السلف وجودة نظر الناظرين إلى ذلك منهم . فكأننا نظرنا إذ نظرنا لنا من نثق بدينه وعقله فإذا

قال قائل أنهم أول ما بدأوا بعد موته بظلم أهل بيته في الخلافة وابنته في ارثها وما هذا إلا لسوء اعتقاد في المتوفي . فإن الاعتقادات الصحيحة سيما في الأنبياء توجب حفظ قوانينهم بعدهم لا سيما في أهلهم وذريتهم . فإذا كان هذا محصول ما حصل لهم بعد موته خبنا في المنقول . وزالت ثقتنا فيما عولنا عليه من اتباع ذوي العقول . ولم نأمن أن يكون القوم لم يروا ما يوجب إتباعه فراعوه مدة الحياة وانقلبوا عن شريعته بعد الوفاة ولم يبق على دينه إلا الأقل من أهله ، فهذا من أعظم المحن على الشريعة الإسلامية .

فكر الشيعة ومناقشته

غالي الشيعة في حب علي إلى درجة الإسراف والاسفاف ، وهذا شيء منكر ، وقد جرهم الجهل مع الحب الشديد لعلي أن لفقوا أحاديث وضعوها ونسبوها لعلي وتحدثوا عن فضائل علي بأحاديث بدون براهين أو أسانيد[1] ، وهذا ما يحمله الحب على الجهول لحبيبه فبدلاً من أن يثني عليه يشينه من ذلك أنهم قالوا أن الشمس غابت فكانت عليا صلاة العصر فردت له الشمس . وهذا قول يدفع ببطلان نفسه بنفسه ، وكذلك وضعوا أن فاطمة اغتسلت ثم ماتت وأوصت أن تكتفي بذلك الغسل ، وهذه فرية مردود عليها بالبطلان . كما أن لهم مذاهب في الفقه ابتدعوها وخرافات تخالف الاجماع . فنقلت منها مسائل من خط ابن عقيل . قال : نقلتها من كتاب المرتضي فيما انفردت به الشيعة . منها أنه لا يجوز السجود على ما ليس بأرض ولا من نبات الأرض . فأما الصوف والجلود والوبر فلا . وإن الاستجمار لا يجزيء في البول بل في الغائط خاصة . ولا يجزي مسح الرأس إلا بباقي البلل الذي في اليد فإن استأنف للرأس بللاً

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي .

مستأنفاً لم يجزه حتى لو نشفت يده من البلل احتاج إلى استئناف الطهارة . وانفردوا بتحريم من زنى بها وهي تحت زوج أبداً فلو طلقها زوجها لم تحل للزاني بها بنكاح أبداً . وحرموا الكتابيات وإن الطلاق المعلق على شرط لا يقع وإن وجد شرطه . وإن الطلاق لا يقع إلا بحضور شاهدين عدلين . وإن من نام عن صلاة العشاء إلى أن مضى نصف الليل وجب عليه إذا استيقظ القضاء وأن يصبح صائماً كفارة لذلك التفريط . وإن المرأة إذا جزت شعرها فعليها الكفارة مثل قتل الخطأ . وأن من شق ثوبه في موت ابن له أو زوجة فعليه كفارة يمين . وإن من تزوج امرأة ولها زوج وهو لا يعلم لزمه الصدقة بخمسة دراهم . وإن شارب الخمر إذا حد ثانية قتل في الثالثة . ويحد شارب الفقاع كشارب الخمر ، وإن قطع السارق من أصول الأصابع ويبقى له الكف فإن سرق مرة أخرى قطعت الرجل اليسرى . فإن سرق الثالثة خلد في الحبس إلى أن يموت .

نقض مذهب الباطنية والرد عليه

الباطنية قوم تستروا بالإسلام ومالوا إلى الرفض وعقائدهم وأعمالهم تباين الإسلام بالمرة فمحصول قولهم تعطيل الصانع وإبطال النبوة والعبادات وإنكار البعث ولكنهم لا يظهرون هذا في أول أمرهم . بل يزعمون أن الله حق وأن محمداً رسول الله والدين صحيح لكنهم يقولون لذلك سر غير ظاهر وقد تلاعب بهم إبليس فبالغ وحسن لهم مذاهب مختلفة ولهم ثمانية أسماء .

والباطنية سموا بذلك لأنهم يدعون أن لظواهر القرآن والأحاديث بواطن تجري من الظواهر مجرى اللب من القشر وأنها بصورتها توهم الجهال صوراً حلية وهي عند العقلاء رموز وإشارات إلى حقائق خفية وإن من تقاعد عقله من الغوص على الخفايا والأسرار والبواطن والأغوار وقنع بظواهرها كان تحت

الأغلال التي هي تكليفات الشرع . ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من اعبائه قالوا وهم المرادون بقوله تعالى : (ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم) ـ الأعراف : ١٥٧ . ومرادهم أن ينزعوا من العقائد موجب الظواهر ليقدروا بالتحكم بدعوى الباطل على إبطال الشرائع .

وسمي الباطنية أيضاً بالقرامطة وللمؤرخين في سبب تسميتهم بهذا قولان : أحدهما أن رجلاً من ناحية خوزستان قدم سواد الكوفة فأظهر الزهد ودعا إلى إمام من أهل بيت الرسول ﷺ ونزل على رجل يقال له كرميته لقب بهذا لحمرة عينيه وهو بالبنطية حاد العين فأخذه أمير تلك الناحية فحبسه وترك مفتاح البيت تحت رأسه ونام فرقت له جارية فأخذت المفتاح ففتحت البيت وأخرجته وردت المفتاح إلى مكانه . فلما طلب فلم يوجد زاد افتتان الناس به فخرج إلى الشام فسمى كرميته باسم الذي كان نازلاً عليه ثم خفف فقيل قرمط ثم توارث مكانه أهله وأولاده . والثاني أن القوم قد لقبوا بهذا نسبة إلى رجل يقال له حمدان قرمط كان أحد عائلتهم في الابتداء فاستجاب له جماعة فسموا قرامطة وقرمطية وكان هذا الرجل من أهل الكوفة وكان يميل إلى الزهد فصادفه أحد دعاة الباطنية في فريق وهو متوجه إلى قرية وبين يديه بقر يسوقها . فقال حمدان لذلك الراعي وهو لا يعرفه : أين مقصدك فذكر قرية حمدان فقال له اركب بقرة من هذه لئلا تتعب . فقال إني لم أؤمر بذلك . فقال : وكأنك لا تعمل إلا بأمر . قال : نعم . قال : وبأمر من تعمل . قال : بأمر مالكي ومالكك ومالك الدنيا والآخرة . فقال : ذلك إذن هو الله رب العالمين . فقال : صدقت . قال له : فما غرضك في هذه القرية التي تقصدها . قال : أمرت أن أدعو أهلها من الجهل إلى العلم ومن الضلالة إلى الهدى ومن الشقاء إلى السعادة . وإن استنقذهم من ورطات الذل والفقر وأملكهم ما يستغنون به عن الكد : فقال له حمدان : أنقذني أنقذك الله وأفض علي من العلم ما تحييني به فما أشد احتياجي إلى مثل هذا فقال :

ما أمرت أن أخرج السر المخزون إلى كل أحد إلا بعد الثقة به والعهد إليه. فقال: أذكر عهدك فإني ملتزم به. فقال له: أن تجعل لي وللإمام على نفسك عهد الله وميثاقه ألا تخرج سر الإمام الذي ألقيه إليك ولأنفس سري أيضاً فالتزم حمدان عهده ثم اندفع الداعي في تعليمه فنون جهله حتى استغواه فاستجاب له ثم انتدب للدعاء وصار أصلاً من أصول هذه البدعة فسمى أتباعه القراطمة.

ثم لم يزل بنوه وأهله يتوارثون مكانه وكان أشدهم بأساً رجل يقال له أبو سعيد ظهر في سنة ست وثمانين ومائتين وقوى أمره وقتل ما لا يحصى من المسلمين وخرب المساجد وأحرق المصاحف. وفتك بالحاج وسنى لأهله وأصحابه سنناً وأخبرهم بمحالات. وكان إذا قاتل يقول وعدت النصر في هذه الساعة. فلما مات بنوا على قبره قبة وجعلوا على رأسها طائراً من جص. وقالوا: إذا طار هذا الطائر خرج أبو سعيد من قبره وجعلوا عند القبر فرساً وخلفه ثياباً وسلاحاً وقد سوّل إبليس لهذه الجماعة أنه من مات وعلى قبره فرس حشر راكباً وإن لم يكن له فرس حشر ماشياً. وكان أصحاب أبي سعيد يصلون عليه إذا ذكروه ولا يصلون على رسول الله ﷺ فإذا سمعوا من يصلي على رسول الله ﷺ يقولون أتأكل رزق أبي سعيد وتصلي على أبي القاسم. وخلف بعده ابنه أبا طاهر ففعل مثل فعله وهجم على الكعبة فأخذ ما فيها من الذخائر وقلع الحجر الأسود فحمله إلى بلده وأوهم الناس أنه الله عز وجل.

قال أبو حامد الطوسي: الباطنية قوم يدعون الاسلام ويميلون إلى الرفض (١) وعقائدهم وأعمالهم تباين الإسلام. فمن مذهبهم القول بآلهين قديمين الأول لوجودهما من حيث الزمان إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني. قالوا: والسابق لا يوصف بوجود ولا عدم ولا هو موجود ولا هو معدوم ولا هو معلوم ولا

(١) وهنا ينجلي موقف الباطنية ظاهرهم الاسلام وباطنهم الكفر والزندقة والكيد للإسلام.

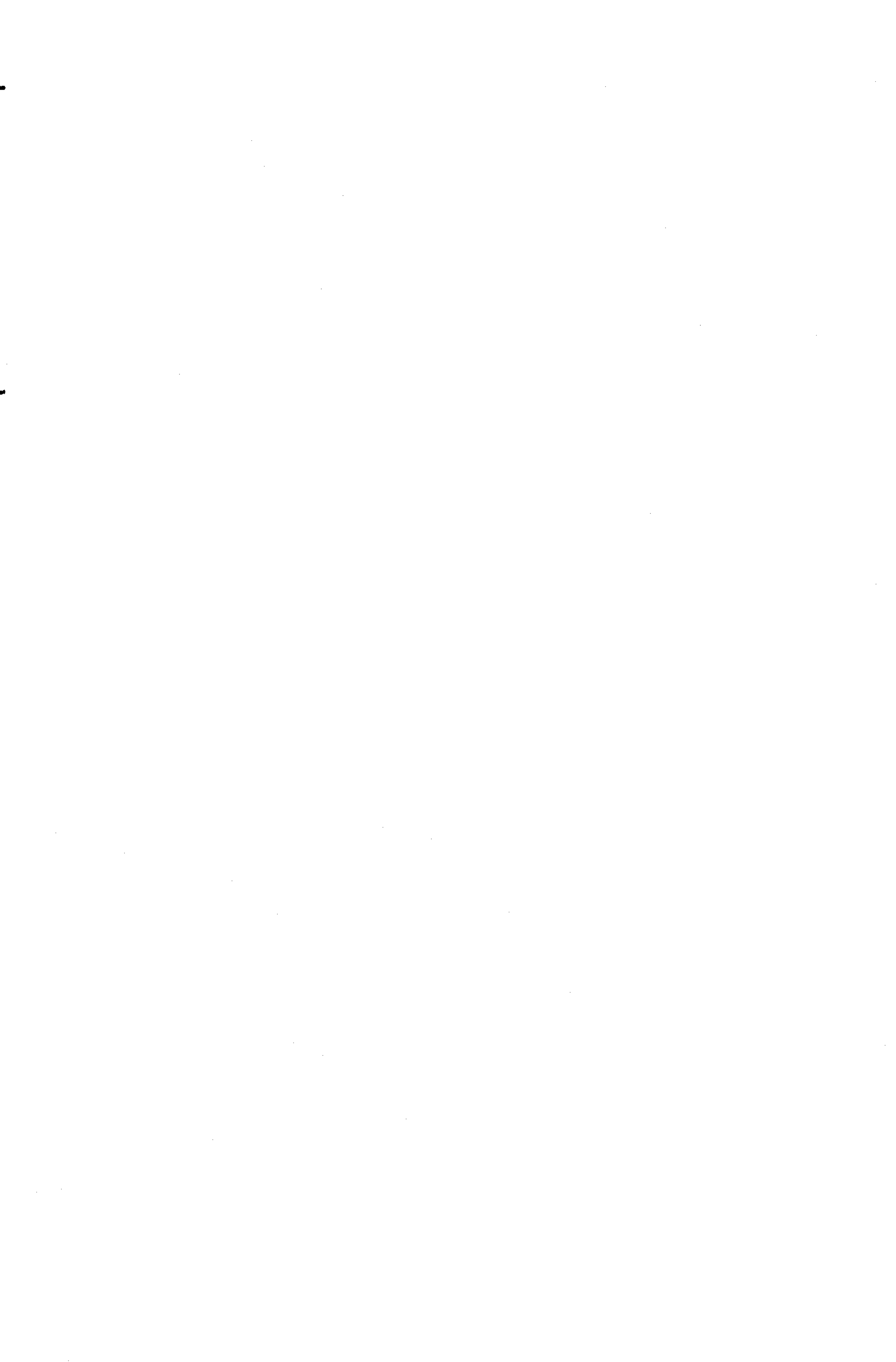
هو مجهول . ولا هو موصوف ولا غير موصوف وحدث عن السابق الثاني وهو أول مبدع . ثم حديث النفس الكلية . وعندهم أن النبي عليه السلام عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بواسطة الثاني قوة قدسية صافية . وزعموا أن جبريل عليه السلام عبارة عن العقل الفائض عليه لا إنه شخص . واتفقوا .

سنستدرجهم من حيث لا يعلمون

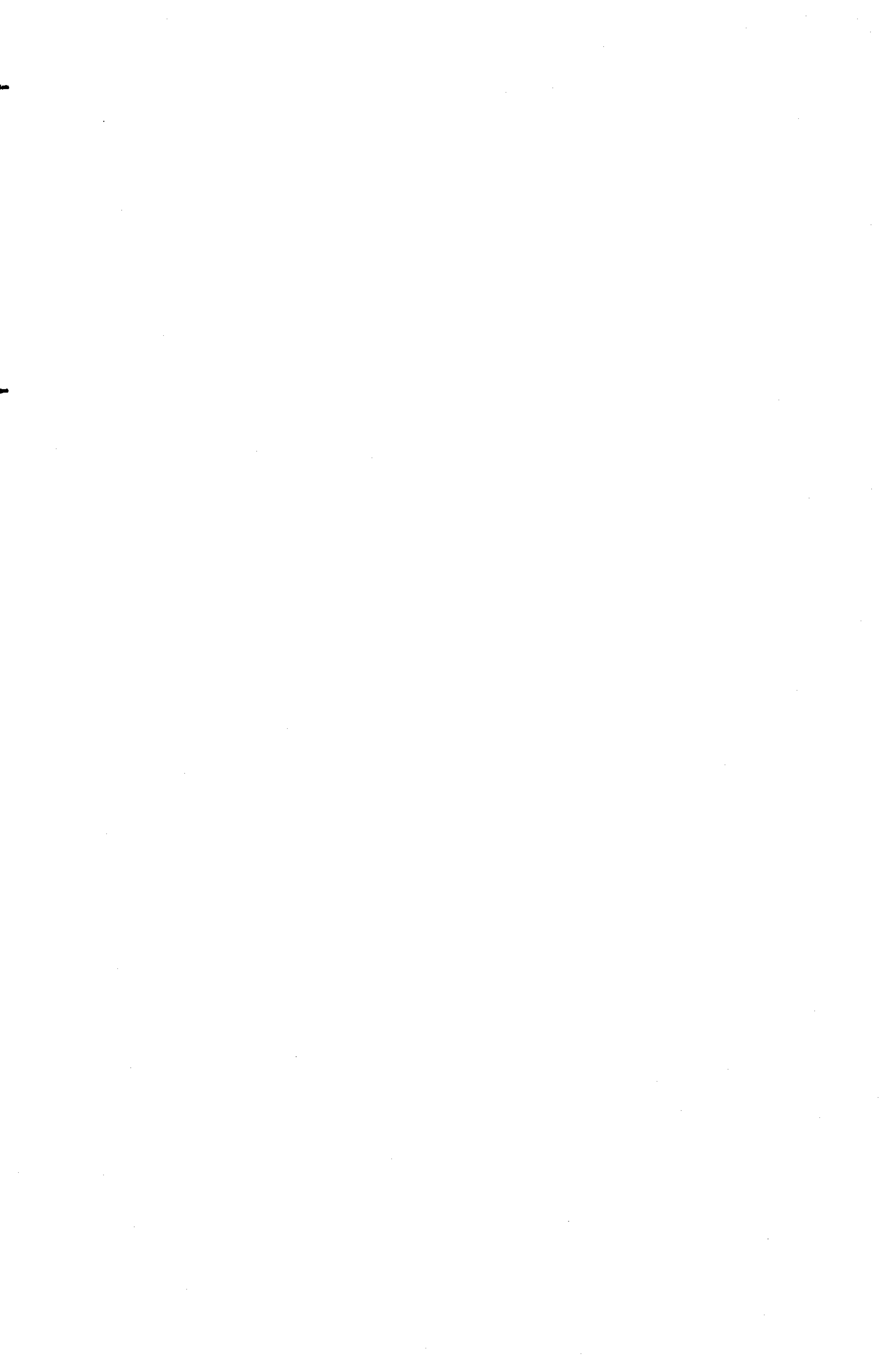
وللباطنية أحاييل وحيل في استغلال الناس فهم يميزون من يجوز أن يطمع في استدراجه ممن لا يطمع فيه . فإذا طمعوا في شخص نظروا في طبعه . فإن كان مائلاً إلى الزهد دعوه إلى الأمانة والصدق وترك الشهوات . وإن كان مائلاً إلى الخلاعة قرروا في نفسه أن العبادة بله . وأن الورع حماقة وإنما الفطنة في إتباع اللذات من هذه الدنيا الفانية . ويثبتون عند كل ذي مذهب ما يليق بمذهبه ثم يشككونه فيما يعتقدوه فيستجيب لهم أما رجل أبله أو رجل من أبناء الأكاسرة وأولاد الملجوس ممن قد انقطعت دولة أسلافه بدولة الإسلام أو رجل يميل إلى الاستيلاء ولا يساعده الزمان فيعدونه بنيل آماله . أو شخص يحب الترفع عن مقامات العوام ويروم بزعمه الإطلاع على الحقائق . أو رافض يتدين بسبب الصحابة رضي الله عنهم . أو ملحد من الفلاسفة والثنوية والمتحيرين في الدين أو من قد غلبت عليه حب اللذات . وثقل عليه التكليف .

على أنه لا بد لكل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع إليه في تأويل الظواهر مساو للنبي عليه السلام في العصمة . وأنكروا المعاد وقالوا معنى المعاد عود الشيء إلى أصله وتعود النفس إلى أصلها . وأما التكليف . فالمنقول عنهم الإباحة المطلقة واستباحة المحظ ورأت وقد يشكرون هذا إذا حكى عنهم وإنما يقرون بأنه لا بد للانسان من التكليف . فإذا أطلع على بواطن الظواهر ارتفعت التكاليف . ولما عجزوا عن صرف الناس عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوها إذ لو صرحوا بالنفي المحض لقتلوا : فقالوا معنى الجنابة مبادرة المستجيب بإفشاء السر . ومعنى الغسل . تجديد العهد على من فعل ذلك . ومعنى الزنا إلقاء نطفة العلم بالباطن في نفس من لم يسبق معه عقد العهد ، والصيام الإمساك عن كشف السر والكعبة هي النبي . والباب علي . والطوفان طوفان العلم أغرق به المتمسكون بالشبهة والسفينة الحرز الذي يحصن به من استجاب لدعوته . ونار إبراهيم عبارة عن غضب نمرود لا عن نار حقيقة . وذبح إسحاق معناه أخذ العهد عليه . وعصى موسى حجته ، ويأجوج ومأجوج هم أهل الظاهر ، وذكر غيره أنهم يقولون أن الله عز وجل لما أوجد الأرواح ظهر لهم فيما بينهم لكنهم لم يشكو أنه واحد منهم فعرفوه فأول من عرفه سلمان الفارسي . والمقداد . وأبو ذر وأول المنكرين الذي يسمى إبليس : عمر بن الخطاب . في خرافات ينبغي أن يصان الوقت العزيز عن التصنيع بذكرها : ومثل هؤلاء لم يتمسكوا بشبهة فتكون معهم مناظرة وإنما اخترعوا بواقعاتهم وما أرادوا فإن اتفقت مناظرة لأحدهم فليقل له أعرفتم هذه الأشياء التي تذكرونها عن ضرورة . أو عن نظر . أو عن نقل عن الإمام المعصوم . فإن قلتم ضرورة . فكيف خالفكم ذووا العقول السليمة . ولو ساغ للإنسان

أن يهدى بدعوى الضرورة في كل ما يهواه جاز لخصمه دعوى الضرورة في نقض ما أعداه . وإن قلتم بالنظر فالنظر عندكم باطل . لأنه تصرف بالعقل وقضايا العقول عندكم لا يوثق بها ، وإن قلتم عن إمام معصوم قلنا فما الذي دعاكم إلى قبول قوله بلا معجزة ، وترك قول محمد ﷺ مع المعجزات . ثم ما يؤمنكم أن يكون ما سمع من الإمام المعصوم له باطن غير ظاهر .. ثم يقال لهم هذه البواطن والتأويلات يجب اخفاؤها أم إظهارها . فإن قالوا يجب إظهارها قلنا فلم كتمها محمد ﷺ . وإن قالوا يجب اخفاؤها .



تأويلات بعض الصوفية ومناقشة أساطيلهم والرد عليهما



مصدر التصوف ومعناه

وكان السلف يسمون أهل الدين والعلم « القراء » فيدخل فيهم العلماء والنساك ، ثم حدث بعد ذلك اسم « الصوفية والفقراء » .

واسم « الصوفية » : هو نسبة إلى لباس الصوف ، هذا هو الصحيح[1] وقد قيل : أنه نسبة إلى صفوة الفقهاء :

وقيل : إلى صوفة بن أد بن طابخة ، قبيلة من العرب كانوا يعرفون بالنسك .

وقيل : إلى أهل الصفة . وقيل : إلى الصفا .

وقيل : إلى الصفوة . وقيل : إلى الصف المقدم بين يدي الله تعالى .

وهذه أقوال ضعيفة ، فإنه لو كان كذلك لقيل صفي أو صفائي أو صفوي أو صفي ، ولم يقل صوفي .

وصار أيضاً اسم « الفقراء » يعني به أهل السلوك ، وهذا عرف حادث .

وقد تنازع الناس أيهما أفضل مسمى « الصوفي » أو مسمى « الفقير » ؟ ويتنازعون أيضاً ايما أفضل : الغني الشاكر ، أو الفقير الصابر؟[2] .

---

(١) ارجع إلى رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية (الصوفية والفقراء) .

(٢) أنظر الفتاوى ومختصرها في تفسير هذا اللفظ وتطوره .

وماذا عن الرقص والطرب والتصفيق الذي يتعالى في الحضرات الصوفية ، وما موقف الإسلام منه ؟؟

لا شك أن التصفيق منكر يطرب ويخرج عن الاعتدال ويتنزه عن مثله العقلاء ، ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت من التصدية . وهم الذين ذمهم الله عز وجل بها فقال : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » فالمكاء ـ الصفير ، والتصدية ـ التصفيق . أخبرنا عبد الوهاب الحافظ عن أبي الفضل بن حيدون عن أبي علي بن شاذان عن أحمد بن كامل عن محمد بن سعد عن أبيه عن جده عن ابن عباس « الأمكاء » يعني التصفير « والتعدية » تعني التعفيف .

وإذا قوى طرب الذاكرين رفضوا مثل النساء وهذا يأنف منه العاقل ويخرج المسلم عن الوقار المطلوب في المسلم . واستدل الصوفيون على جواز الرقص بقوله تعالى لا يوجب عليه السلام : « اركض برجلك » .

وهذا احتيال واحتجاج مردود عليه ومرفوض من أساسه إذا أن أيوب لم يؤمر بركض رجله فرحاً وإلا كان لهم في هذا شبهة وإنما أمر بأن يضرب رجله الأرض ، لينبع الماء إعجازاً من الرقص . ولئن جاز أن يكون تحريك رجل قد انحلها تحكم الهوام دلالة على جواز الرقص في الإسلام جاز أن يجعل قوله تعالى لموسى « اضرب بعصاك الحجر » ، دلالة على ضرب الجماد بالقضبان نعوذ بالله من التلاعب بالشرع ، واحتج بعض ناصريهم بأن رسول الله ﷺ قال لعلي : أنت مني وأنا منك ـ فحجل وقال لجعفر : اشبهت خلقي وخلقي . فخجل وقال لزيد : أنت أخونا ومولانا ـ فخجل . ومنهم من احتج بأن الحبشة زفنت والنبي ﷺ ينظر إليهم . فالجواب : أما الحجل فهو نوع من المشي

يفعل عند الفرح فأين هو من الرقص ، وكذلك زفن الحبشة نوع من المشي بتشبيب يفعل عند اللقاء بالحرب .

ونقول لهم أنه سبحانه وتعالى قال لأيوب : (أركض) ولم يقل له (ارقص) كذلك لم يقل له (أطرب) .

وأين ضرب الأرض بالقدم مرة أو مرتين من رقصهم الذي يخرجون به عن سمت العقلاء ، ثم دعونا من الاحتجاج تعالوا نتقاضى إلى العقول إلى معنى في الرقص إلى اللعب الذي يليق بالأطفال ، وما الذي فيه من تحريك القلوب إلى الأخرة . هذه والله مكبر بإرادة . ولقد حدثني بعض المشايخ عن الغزالي أنه قال : الرقص حماقة بين الكتفين لا تزول إلا بالتعب ، وقال أبو الوفاء ابن عقيل . قد نص القرآن على النهي عن الرقص . فقال عز وجل : « لا تمش في الأرض مرحاً » . وذم المختال فقال تعالى : « أنه لا يحب كل مختال فخور » .

والرقص أشد المرح والبطر أو لسنا الذين قسنا النبيذ على الخمر لاتفاقهما في الأطراب والسكر . فما بالنا لا نقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والمزمار والطبل لاجتماعهما في الأطراب وهل شيء يزري بالعقل والوقار ويخرج عن سمت الحلم والأدب أقبح من ذي لحية يرقص فكيف إذا كانت سيبة ترقص وتصفق وعلى وقاع الألحان والقضبان خصوصاً إذا كانت أصوات نسوان ومردان وهل يحسن بمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم هو إلى إحدى الدارين صائران يشمس بالرقص شمس البهائم ويصفق النسوة والله لقد رأيت مشايخ في عصري ما بان لهم سن في تبسم فضلاً عن ضحك مع إدمان مخالطتي لهم . كالشيخ أبي القاسم بن زيدان ، وعبد الملك بن بشران ، وأبي طاهر بن العلاف ، والجنيد والدينوي .

فإذا تمكن الطرب من الصوفية في حال رقصهم جذب أحدهم بعض الجلوس ليقوم معه . ولا يجوز على مذهبهم للمجذوب أن يقعد فإذا قام قام الباقون تبعاً له . فإذا كشف أحدهم رأسه كشف الباقون رؤوسهم موافقة له . ولا يخفى على عاقل أن كشف الرأس مستقبح وفيه إسقاط مرؤة وترك أدب ، وإنما يقع في المناسك تعبداً لله وذلا له .

فإذا اشتد طربهم رموا ثيابهم على المغني فنهم من يرمي بها صحاحاً ومنهم من يخرقها ثم يرمي بها وقد احتج لهم بعض الجهال فقال هؤلاء عن غيبية فلا يلامون فإن موسى عليه السلام لما غلب عليه الغم بعبادة قومه العجل رمى الألواح فكسرها ولم يدر ما صنع : والجواب ، وأن نقول من يصحح عن موسى بأنه رماها رمي كاسر والذي ذكر في القرآن ألقاءها فحسب فمن أين لنا أنها تكسرت ، ثم لو قيل تكسرت فمن أين لنا قصد كسرها ثم لو صححنا ذلك عنه قلنا : كان في غيبة حتى لو كان بين يديه حينئذ بحر من نار لخاضه ومن يصحح لهؤلاء غيبتهم وهم يعرفون المغنى من غيره ويحذرون من بئر إن كانت عندهم . ثم كيف يقاس أحوال الأنبياء على أحوال هؤلاء السفهاء .

علم الورق وعلم الخرق

وأهمل أكثر الصوفيون علم الفقه والتفسير والحديث وأصول التشريع وأهملوا جميع العلوم الشرعية وتركوها وتمسحوا بالرؤى والأحلام يستمدون منها فتاواهم وتشريعاتهم .

ومن الغريب حقاً أن أحدهم يوسوس له الشيطان بخواطر الشر والإحتلال فيقول حدثني قلبي عن ربي وكأنه نبي مرسل يوحي إليه ويبث في روعه . وكان الشبلي يقول :

إذا طالبـــوني بعلـــم الـورق   برزت عليهـــم بعلم الخـــرق

وقد سموا علم الشريعة علم الظاهر وسموا هواجس النفوس العلم الباطن واحتجوا له بما خبرنا به عبد الحق بن عبد الخالق عن الحسين بن علي الطناجيري عن أبي حفص بن شاهين عن علي بن محمد بن جعفر بن أحمد بن عنبسة العسكري عن دارم بن قبيصة بن بهشل الصنعاني قال : سمعت يحيى بن الحسين بن زيد ابن علي قال : سمعت يحيى بن عبدالله بن حسين عن يحيى بن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن الحسن بن علي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن النبي ﷺ أنه قال : « علم الباطن سر من أسرار الله عز وجل وحكم من أحكام الله تعالى يقذفه الله عز وجل في قلوب من يشاء من أوليائه » .

وهذا حديث لا أصل له عن النبي ﷺ [1] . وفي إسناده مجاهيل لا يعرفون . انبأنا محمد بن ناصر عن أبي الفضل محمد بن علي السهلي عن أبي علي عبدالله بن إبراهيم النيسابوري عن أبي الحسن علي بن عبدالله بن جهضم عن أبي الفتح أحمد ابن الحسن عن علي بن جعفر عن أبي موسى قال : كان في ناحية أبي يزيد رجل فقيه عالم تلك الناحية فقصد أبا يزيد وقال له قد حكي لي عنك عجايب . فقال أبو يزيد : وما لم تسمع من عجايبي أكثر . فقال له : علمك هذا يا أبا يزيد عن من ومن ومن . فقال أبو يزيد : عليّ من عطاء الله تعالى . ومن حيث قال ﷺ : « من عمل بما يعلم ورثة الله علم ما لم يعلم » ومن حيث قال ﷺ : « العلم علمان علم ظاهر وهو حجة الله تعالى على خلقه وعلم باطن وهو العلم النافع » وعلمك يا شيخ نقل من لسان عن لسان التعليم وعلمي من الله إلهام من عنده . فقال له الشيخ علي عن الثقات عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن ربه عز وجل . فقال له أبو يزيد : يا شيخ كان للنبي ﷺ علم عن الله لم يطلع

---

(١) هذا الحديث قال ابن الجوزي عنه أنه موضوع واورد في الموضوعات .

عليه جبريل ولا ميكائيل قال : نعم . ولكن أريد أن يصح لي علمك الذي بقول هو من عند الله قال : نعم ابينه لك قدر ما يستقر في قلبك معرفته . ثم قال : يا شيخ علمت أن الله تعالى كلم موسى تكليماً وكلم محمداً ﷺ ورآه كفاحاً . وإن حلم الأنبياء وحي . قال نعلم قال أما علمت أن كلام الصديقين والأولياء بإلهام منه وفوائده من قلوبهم حتى انقلتهم بالحكمة ونفع بهم الأمة : ومما يؤكد ما قلت مآلهم الله تعالى أم موسى أن تلقي موسى في التابوت فألقته والهم الخضر في السفينة والغلام والحائط قوله موسى (وما فعلته عن أمري) وكما قال أبو بكر لعائشة رضي الله عنهما : أن ابنة خارجة حاملة ببنت . والهم عمر رضي الله عنه فنادى يا سارية الجبل . انبأنا ابن ناصر أنبأنا أبو الفضل السهلكي قال سمعت أبا عبدالله الشيرازي يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت إبراهيم سبتية يقول حضرت مجلس أبي يزيد والناس يقولون فلانِ لقي فلاناً وأخذ من علمه وكتب منه الكثير وفلان لقي فلاناً . فقال أبو يزيد : مساكين أخذوا علمهم ميتاًعن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت .

هذا الفقه في الحكاية الأولى من قلة العلم إذ لو كان عالماً لعلم أن الإلهام للشيء لا ينافي العلم ولا يتسع به عنه ولا ينكر أن الله عز وجل يلهم الإنسان الشيء كما قال النبي ﷺ : « أن في الأمم محدثين وإن يكن في أمتي فعمر » والمراد بالتحديث إلهام الخير إلا أن الملهم لو ألهم ما يخالف العلم لم يجز له أن يعمل عليه . وأما الخضر فقد قيل أنه نبي ولا ينكر للأنبياء الإطلاع بالوحي على العواقب وليس الإلهام من العلم في شيء إنما هو ثمرة العلم والتقوى فيوفق صاحبهما للخير ويلهم الرشد . فأما أن يترك العلم ويقول أنه يعتمد على الإلهام والخواطر فليس هذا بشيء إذ لولا العلم النقلي ما عرفنا ما يقع في النفس من الالهام للخير أو الوسوسة من الشيطان . واعلم أن العلم الإلهامي الملقى في القلوب لا يكفي عن العلم المنقول كما أن العلوم العقليةلا تكفي عن العلوم الشرعية

فإن العقلية كالأغذية والشرعية كالأدوية ولا ينوب هذا عن هذا . وأما قوله أخذوا علمهم ميتاً عن ميت . أصلح ما ينسب .

الشريعة كلها حقائق

وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة . وهذا جهل من قائله لأن الشريعة كلها حقائق . فإن كانوا يريدون بذلك الرخصة والعزيمة فكلاهما شريعة . وقد أنكر عليهم جماعة من قدمائهم في أعراضهم عن ظواهر الشرع . وعن أبي الحسن غلام شعوانه بالبصرة يقول سمعت أبا الحسن بن سالم يقول جاء رجل إلى سهل بن عبدالله وبيده محبرة وكتاب فقال لسهل : شئت أن أكتب شيئاً ينفعني الله به . فقال : اكتب . ان استطعت أن تلقي الله وبيدك المحبرة والكتاب فافعل . قال : يا أبا محمد أفدني فائدة . فقال : الدنيا كلها جهل إلا ما كان علماً ، والعلم كله حجة إلا ما كان عملاً ، والعمل كله موقوف إلا ما كان منه على الكتاب والسنة . وتقوم السنة على التقوى وعن سهل بن عبدالله أنه قال ما من طريق إلى الله أفضل من العلم فإن عدلت عن طريق العلم خطوة تهت في الظلام أربعين صباحاً . وعن أبي بكر الدقاق قال سمعت أبا سعيد الخراز يقول : كل باطن يخالف ظاهراً فهو باطل . وعن أبي بكر الدقاق أنه قال : كنت ماراً في تيه بني إسرائيل فخطر ببالي أن علم الحقيقة مباين للشريعة فهتف بي هاتف من تحت شجرة كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر .

قال ابن الجوزي رحمه الله : وقد نبه الإمام أبو حامد الغزالي في كتاب الأحياء ابن محمد الخلذي قال حضرت شيخنا الجنيد وقد سأله كيسان عن قوله عز وجل (سنقرئك فلا تنسى) ـ الأعلى : ٦ . فقال الجنيد : لا تنس العمل به ، وسأله عن قوله تعالى (ودرسوا ما فيه) فقال له الجنيد : تركوا العمل به ،

فقال : لا يفض الله فاك . قلت : أما قوله ـ لا تنس العمل به ـ فتفسير لا وجه له والغلط فيه ظاهر . لأنه فسره على أنه نهى وليس كذلك إنما هو خبر لا بهي وتقديره ـ فما تنس ـ إذ لو كان نهياً كان مجزوماً فتفسيره على خلاف إجماع العلماء وكذلك قوله (ودرسوا ما فيه) إنما هو من الدرس الذي هو تلاوة من قوله عز وجل (بما كنتم تدرسون) . لا من دروس الشيء الذي هو إهلاكه . أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد عن أبي نعيم الحافظ قال : سمعت أحمد بن محمد بن مقسم يقول حضرت أبا بكر الشبلي . وسئل عن قوله عز وجل : (أن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب)[1] . فقال : لمن كان الله قلبه . وأخبرنا عمر بن ظفر عن جعفر بن أحمد عن عبد العزيز بن علي عن ابن جهضم عن محمد بن جرير قال سمعت أبا العباس بن عطاء وقد سئل عن قوله : (فنجيناك من الغم) . قال : نجيناك من الغم بقومك وفتناك بنا عن سوانا .

وهذه جرأة عظيمة على كتاب الله عز وجل ونسبة الكليم إلى الافتتان بمحبة الله سبحانه . وجعل محبته تفتن غاية في القباحة . أخبرنا أبو منصور القزاز عن أحمد بن علي الحافظ عن أبي حازم عمر بن إبراهيم العبدري قال : سمعت أبا بكر محمد بن عبدالله الرازي يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول في قوله عز وجل : (وأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) فقال : الروح النظر إلى وجه الله عز وجل . قلت : هذا كلامبالواقع على خلاف أقوال المفسرين وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي في تفسير القرآن من كلامهم الذي أكثره هذيان لا يحل نحو مجلدين سماها حقائق التفسير فقال في فاتحة الكتاب عنهم أنهم قالوا إنما سميت فاتحة الكتاب لأنها أوائل ما فاتحناك به من خطابنا فإن تأدبت بذلك وإلا حرمت لطائف ما بعد .

---

(١) راجع تفسير روح المعاني للإمام الألوسي لهذه الآية .

وهذا قبيح لأنه لا يختلف المفسرون أن الفاتحة ليست من أول ما نزل . وقال في قول الإنسان : (آمين) أي قاصدون نحوك .

وهذا قبيح لأنه ليس من أم لأنه لو كان كذلك لكانت الميم مشددة . قال في قوله : (وأن يأتوكم أسارى) قال أبو عثمان : غرقي في الذنوب . وقال الواسطي : غرقى في رؤية أفعالهم . وقال الجنيد : أسارى في أسباب الدنيا تفدوهم إلى قطع العلائق . قلت : وإنما الآية على وجه الإنكار ومعناها إذا أسرتموهم فديتموهم وإذا حاربتموهم قبلتوهم وهؤلاء قد فسروها على ما يوجب المدح . وقال محمد بن علي : (يحب التوابين) من توبتهم وقال النوري : (يقبض ويبسط) . أي يقبضك بإياه ويبسطك لإياه . وقال في قوله : (ومن دخله كان آمناً) أي من هواجس نفسه ووساوس الشيطان . وهذا غاية في القبح لأن لفظ الآية لفظ الخبر ومعناه الأمر وتقديرها من دخل الحرم فأمنوه . وهؤلاء قد فسروها على الخبر ثم لا يصلح لهم لأنه كم من داخل الحرم ما أمن من الهواجس ولا الوساوس وذكر في قوله : (أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) . قال أبو تراب : هي الدعاوى الفاسدة (والجاز ذي القربى) . قال سهل : هو القلب (والجار الجنب) النفس (وابن السبيل) الجوارح . وقال في قوله : (وهم بها) . قال أبو بكر الوراق الهمان لها ويوسف ما هم بها . قلت : هذا خلاف لصريح القرآن وقوله : (ما هذا بشراً) . قال محمد بن علي : ما هذا بأهل أن يدعي إلى المباشرة . وقال الزنجاني الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم . وقال في قوله : (ولله المكر جميعاً) قال الحسين : لا مكر أبين من مكر الحق بعباده حيث أوهمهم أن لهم سبيلاً إليه بحال . أو للحدث اقتران مع القدم .

ومن تأمل معنى هذا علم أنه كفر محض لأنه يشير إلى أنه كالهزء واللعب . ولكن الحسين هذا هو الحلاج وهذا يليق بذاك . وقال في قوله : (لعمرك) أي

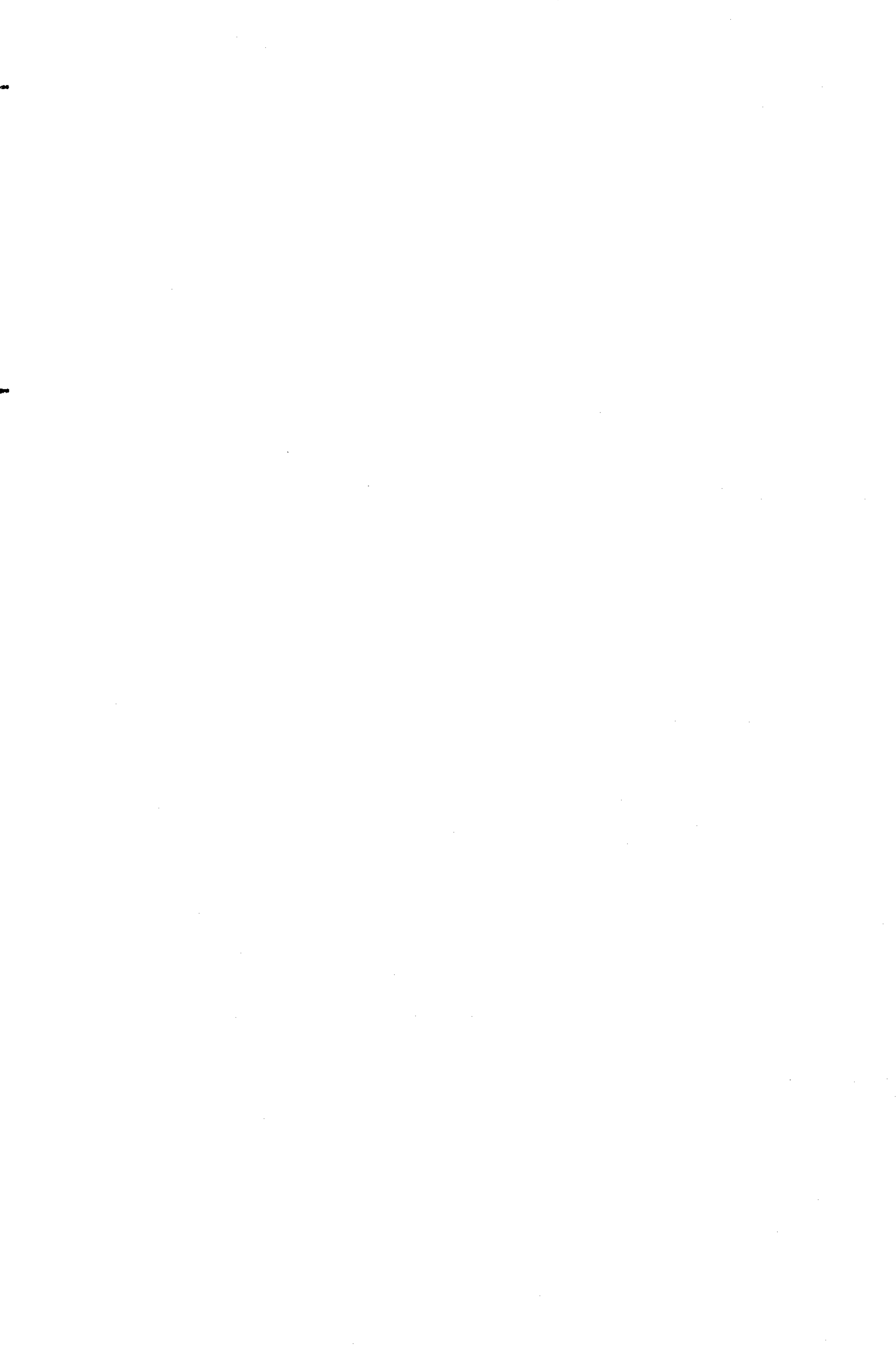
بعمارتك شرك بمشاهدتنا . قلت : وجميع الكتاب من هذا الجنس ولقد هممت أن أثبت منه هاهنا كثيراً فرأيت أن الزمان يضيع في كتابه شيء بين الكفر والخطأ والهذيان . وهو من جنس .

وقد تكلمت طائفة من الصوفية في نفس القرآن بما لا يجوز فقالت في قوله : (أز في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) فقال : هم لآيات لي . فأضافوا إلى الله تعالى ما جعله لأولى الألباب ، وهذا تبديل للقرآن وقالوا : (ولسليمان الريح) قالوا : ولي سليمان .

وأخبرنا ابن ناصر عن أحمد بن علي بن خلف عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : قال أبو حمزة الخراساني : قد يقطع بأقوام في الجنة فيقال : (كلوا وأشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية) فشغلهم عنه بالأكل والشرب ولا مكر فوق هذا ولا حسة أعظم منه .

وهل يجوز أن يوصف الله عز وجل بالمكر على ما تعقله من معنى المكر . وإنما معنى مكره وخداعه أنه مجازي الماكرين والخادعين . وإني لأتعجب من هؤلاء وقد كانوا يتورعون من اللقمة والكلمة كيف انبسطوا في تفسير القرآن إلى ما هذا وحده . وقد أخبرنا علي بن عبيدالله وأحمد بن الحسن وعبد الرحمن ابن محمد قالوا : حدثنا عبد الصمد بن المأمون عن علي بن عمر الحربي عن أحمد ابن الحسن بن عبد الجبار الصوفي عن بشر بن الوليد عن سهيل أخو حزم عن أبي عمران الجوني عن جندب قال : قال رسول الله ﷺ : (من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ) . أخبرنا هبة الله بن محمد عن الحسن بن علي عن أبي بكر بن حمدان عن عبدالله بن أحمد عن أبي وكيع عن الثوري عن عبد الأعلى عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما . قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال في القرآن برأيه فليتبوا مقعده من النار » .

تأملات في التفسير الصوفي للقرآن الكريم



وقار أهل العلم

ويغلب الوقار والسكينة والخوف والخشية على أهل العلم وليس الطرب والسكر ، فإن العلم يورث التواضع والدعة والرزانة واحتقار النفس والعلماء أكثر الناس خشية من الله وخشوعاً[1] إليه لمعرفتهم بسلطانه عليهم وأنهم في قبضته يقبضهم إليه متى شاء ويحيطون بمواضع إعجازه منهم وقد شهد الله سبحانه وتعالى بذلك فقال : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) .

هلوسة أبي يزيد

عن أبي موسى الشبلي قال : سمعت أبا يزيد يقول : إذا كان يوم القيامة وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فاسأله أن يدخلني النار فقيل له لم : قال حتى تعلم الخلائق أن بره ولطفه في النار مع أوليائه.

هذا الكلام من أقبح الأقوال لأنه يتضمن تحقير ما عظم الله عز وجل أمره من النار فإنه عز وجل بالغ في وصفها فقال : (واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة) وقال : (إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً)

---

(١) تأمل أبا بكر الذي نزل فيه القرآن يتلي يقول (ليتني كنت شعرة في صدر مؤمن) فتأمل وأيضاً وأيضاً عمر أعز به الله الاسلام يقول عند موته (الويل لعمر إن لم يغفر له . وقال ابن مسعود ليتني إذا مت لا أبعث وقالت عائشة : ليتني كنت نسياً منسياً .

ـ الفرقان : ١٢ . إلى غير ذلك من الآيات . وقد أخبرنا عبد الأول عن ابن المظفر عن ابن أعين عن الفريري عن البخاري عن إسماعيل عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ أن ناركم هذه ما يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم . قـال له الصحابة والله إن كانت لكافية يا رسول الله . قال فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها أخرجاه في الصحيحين . وفي أفراد مسلم من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال : يؤتي بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها »[1] .

شهادة صوفي لصوفي

أخذتني الشفقة على ذلك الطالب الجامعي الذي احترف التصوف وانغمس في سلكهم وانخرط في طابور الالحاد ، ولم يكن من اليسير إقناعه ولكني أسرفت في الأمل وليس هناك أشقى ممن يسرف في الأمل لأن تغيير العقائد من أعسر الأمور .

وإني مؤمن بالمثل الصيني الذي يقول : (أهدم بيوتنا واسلب ممتلكاتنا واذبح أطفالنا وأسلبنا كل شيء ولا تغير معتقداتنا) ولكن غلب عليّ التفاؤل فسألت الشاب اليافع في ربيع عمره ما معنى الصوفية ؟

قال الصفاء والنقاء ومشاهدة الحق بالمواجهة .

فقلت له : أية مشاهدة تلك ... بالبصر أم بالبصيرة .

---

(١) هذه من أحاديث الآخرة نؤمن بغيها ونصدقها ولا نناقش أو نمارس فيها أو في كيفيتها . وليس لنا أن نتعب أنفسنا في وصف كيفياتها أو أحداثها .

قال : بالإثنين معاً .

قلت : وإن كان رسول الله ﷺ لم ير ربه .

قال : كيف ذلك إذا كان سيدي أحمد الرفاعي وضع يده في يد رسول الله ﷺ .

قلت : يا بني هذا يصادم صريح النص القرآني ، لأن معنى ذلك أن رسول الله ﷺ يباشر الدعوة بعد موته وهذا يتعارض مع قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) .

ثم إني قرآت ما يربو على خمسين مرجعاً لأحقق موضوع رؤية رسول الله ﷺ ربه وحققت حديث النبي الذي يقول فيه : (رأيت ربي في أحسن صورة)[1] وانتهيت بعد البحث الطويل الذي بذلت فيه جهداً جهيداً إلى أنها كانت رؤيا منامية وليست حقيقية .

ثم في قوله تعالى لموسى عليه السلام : لن تراني دليل على امتناع الرؤية للبشرية مع أن موسى طلب الإرادة لقوله تعالى : (رب أرني أنظر إليك) .

ولم أفلح في اقناع الشاب ولمـــا تكلمت قاطعني بغير لياقة وبغير استعداد للفهم والاستيعاب إذ أن معتقدات الصوفية راسخة في ذهنه وكان يقاطعني بين الفينة والفينة بقوله : (صلى على سيدك الحسين) (صلي على سيدتك الطاهرة أم هاشم) يقصد السيدة زينب عقيلة بني هاشم .

ويذكر لي بين الحين والحين أقوال مشايخ الصوفية يستشهد بهم فيقول : يقول سيدنا أبو الحسن الشاذلي .. يقول مولانا أبو زيد اليسطامي .. يقول القطب

---

(١) راجع تأويل مشكل الحديث وبيانه للإمام احمد بن فورك تحقيق موسى محمد علي .

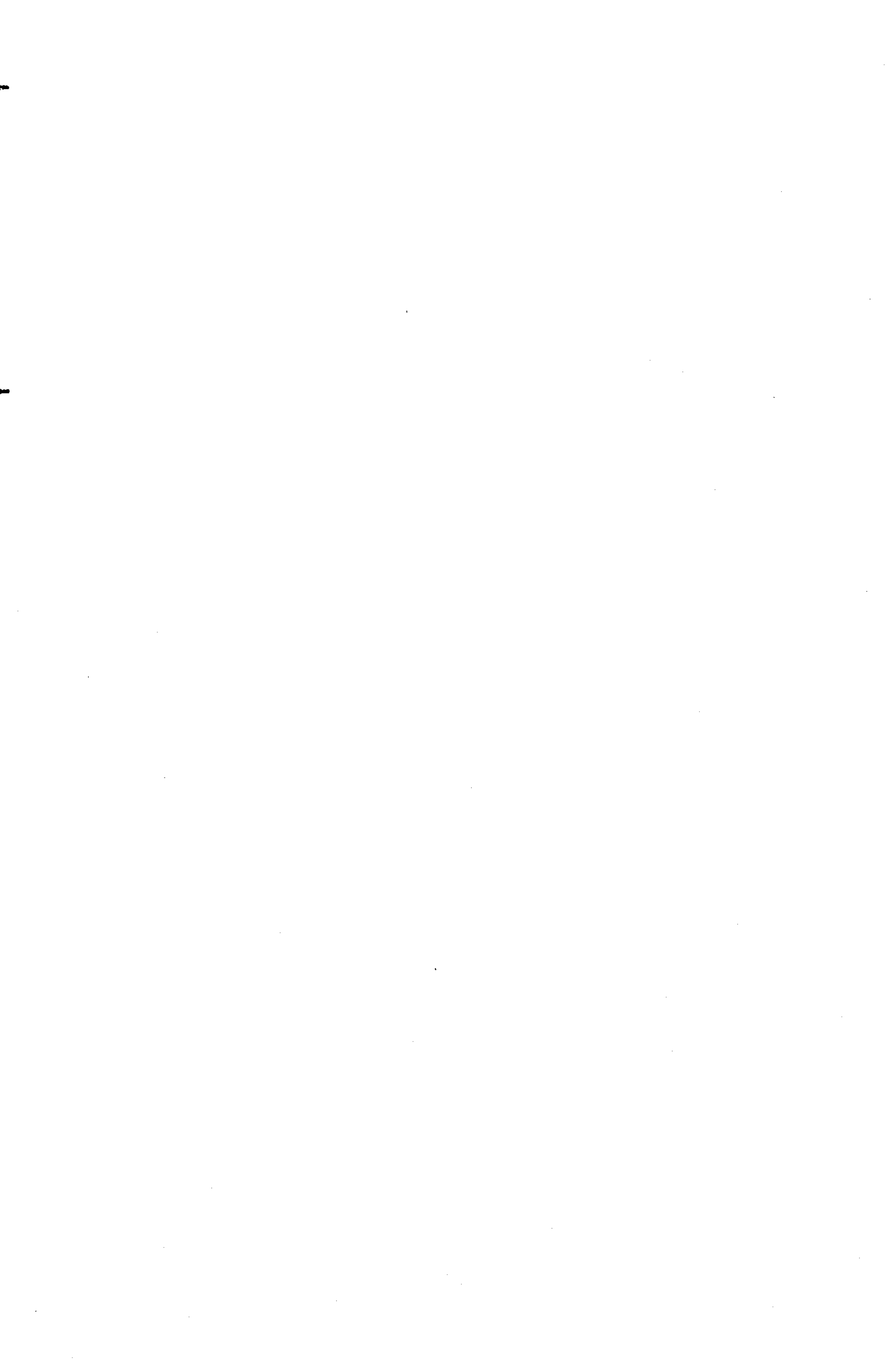
الكبير المتصرف في الكون أحمد الرفاعي ... وتذكرت في هذه المناسبة أن رجلاً قال للإمام الجنيد : أن أبا يزيد البسطامي يقول : سبحاني سبحاني ما أعظم شأني ، الجنة لعبة صبياني .... سبحاني سبحاني أنا ربي الأعلى فما كان من الجنيد إلا أن قال الجنيد :

أن الرجل مستهلك في شهود الجلال فنطق بما استهلكه ، أذهله الحق عن رؤيته إياه فلم يشهد إلا الحق فنعته . قلت وهذا من الخرافات . انبأنا الحسن عن محمد بن الفضل الكرماني عن سهل بن علي الخشاب . وانبأنا أبو الوقت عبد الأول عن أحمد بن أبي نصر الكوفاني عن الحسن بن محمد بن فوزي عن عبدالله ابن علي السراج قال سمعت أحمد بن سالم البصري بالبصرة يقول في مجلسه يوماً فرعون لم يقل ما قال أبو يزيد يقول : كنت أطوف حول البيت أطلبه فلما وصلت إليه رأيت البيت يطوف حولي . قال الشيرازي : وحدثنا إبراهيم بن محمد قال سمعت الحسن بن علوية يقول سمعت طيفور الصغير يقول سمعت أبا يزيد يقول حججت أول حجة فرأيت البيت . وحججت الثانية فرأيت صاحب البيت ولم أر البيت . وحججت الثالثة فلم أر البيت ولا صاحب البيت . قال الشيرازي وسمعت محمد بن داوديه يقول سمعت عبدالله بن سهل يقول سمعت أبا موسى الدئيلي يقول سمعت أبا يزيد « وسئل عن اللوح المحفوظ » . قال : أنا اللوح المحفوظ . قال الشيرازي : وسمعت المظفر بن عيسى المراغي . يقول سمعت سيرين يقول سمعت أبا موسى الدئيلي يقول قلت لأبي يزيد بلغني أن ثلاثة قلوبهم على قلب جبريل قال انا أولئك الثلاثة فقلت كيف . قال قلبي واحد . وهمي واحد . وروحي واحد . قلت وبلغني أن واحداً قلبه على قلب اسرافيل . قال وإنا ذلك الواحد ومثلي مثل بحر ملتطم لا أول له ولا آخر : قال السهلكي وقرأ رجل عند أبي يزيد « إن بطش ربك لشديد » فقال أبو يزيد وحياته أن بطش أشد من بطشه . وقيل لأبي يزيد . بلغنا أنك من السبعة . قال : أنا كل السبعة .

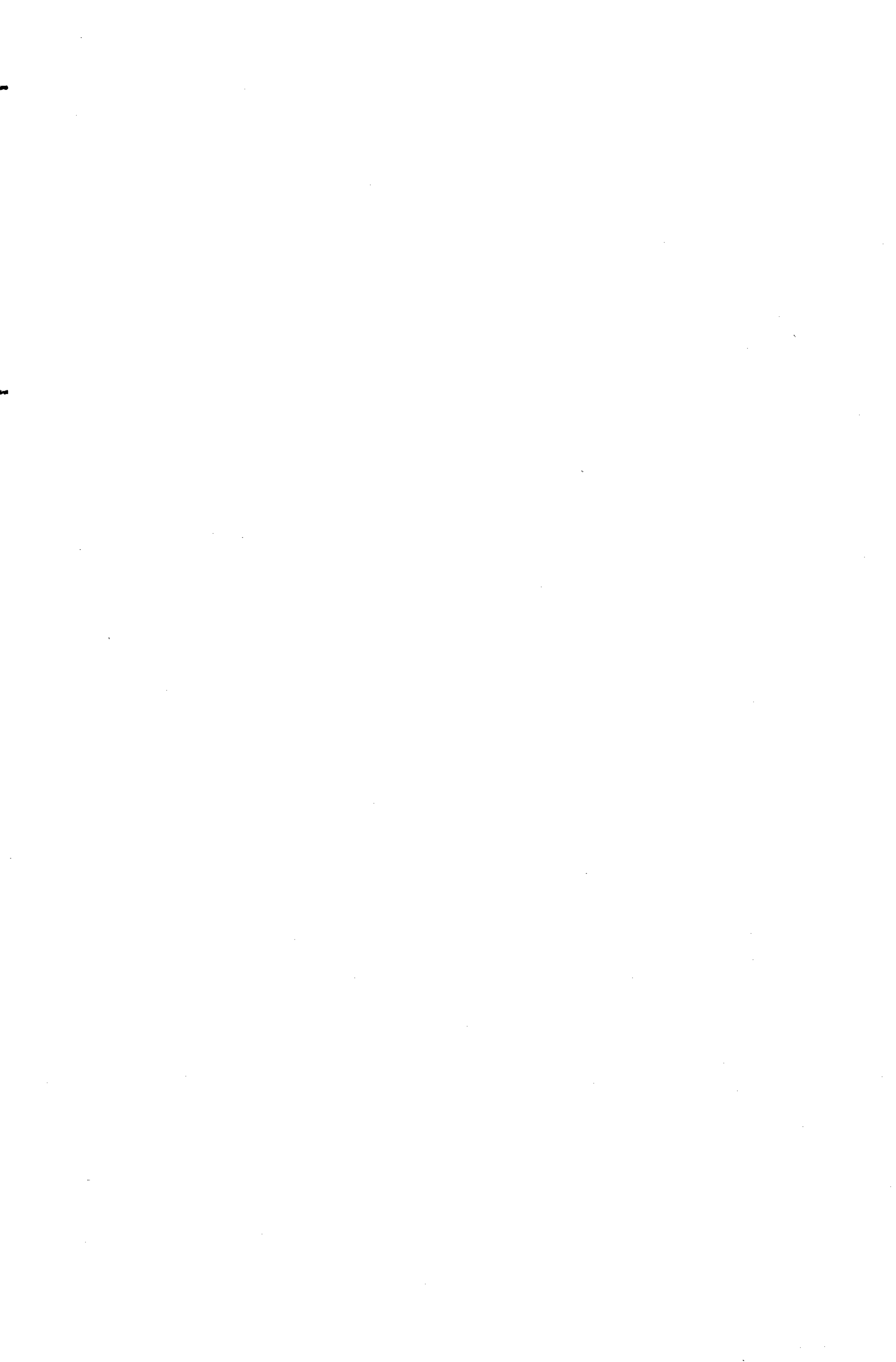
وقيل له : أن الخلق كلها تحت لواء سيدنا محمد ﷺ فقال : والله أن لوائي أعظم من لواء محمد . لوائي من نور تحته الجن والإنس كلهم من النبيين .
وقال أبو يزيد : سبحاني سبحاني ما أعظم سلطاني ليس مثلي في السماء يوجد ولا مثلي صفة في الأرض تعرف أنا هو وهو أنا وهو هو . أخبرنا المحمدان ابن ناصروا بن عبد الباقي عن ابن أحمد عن أبي نعيم الحافظ عن أحمد ابن أبي عمران عن منصور بن عبدالله . قال سمعت أبي يقول قيل لأبي يزيد أنك من الإبدال السبعة الذين هم أوتاد الأرض ، فقال : أنا كل السبعة . أنبأنا ابن ناصرنا أبو الفضل السهلكي قال : سمعت أبا الحسين محمد بن القاسم الفارسي قال سمعت أبا نصر بن محمد بن إسماعيل البخاري يقول سمعت أبا الحسين علي بن محمد الجرجاني يقول سمعت الحسن بن علي بن سلام يقول دخل أبو يزيد مدينة فتبعه منها خلق كثير فالتفت إليهم فقال : « أني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني » فقالوا : جن أبو يزيد فتركوه ، قال : الفارسي وسمعت أبا بكر أحمد بن محمد النيسابوري قال : سمعت أبا بكر أحمد بن إسرائيل قال : سمعت خالي علي بن الحسين يقول سمعت الحسن بن علي بن حياة يقول : سمعت عمي وهو أبو عمران موسى بن عيسى بن أخي أبي يزيد قال : سمعت أبي يقول قال أبو يزيد : رفع بي مرة حتى قمت بين يديه . فقال لي : يا أبا يزيد أن خلقي يحبون أن يروك . قلت يا عزيزي وأنا أحب أن يروني . فقال : يا أبا يزيد إني أريد أن اريكم . فقلت : يا عزيزي إن كانوا يحبون أن يروني وأنت تريد ذلك وإنا لا أقدر على مخالفتك . قربني بوحدانيتك ، وألبسني ربانيتك وإرفعني إلى أحديتك . حتى إذا رآني خلقك . قالوا : رأيناك فيكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك ففعل بي ذلك وأقامني وزيني ورفعني[1] .

---

(١) هذه المرتبة من الزندقة والكفر وجحود الخالق جل شأنه الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .



صوفي بين يدي الله



عقيدة الكبريت الأحمر

يقول ابن عربي :

عقد الخلائق في الإلـه عقائــــــداً   وأنا اعتقدت جميع ما عقدوه[1]

ويقول :

لقد كنت قبل اليوم أنكــر صاحــبي   إذا لم يكن ديني إلى دينــه داني
لقد صار قلبي قابلاً كل صــــــورة   فمرعي لغــزلان ، ودير لرهبـان
وبيت لأوثان ، وكعبــة طائـــــف   وألواح توراة ، ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنىَّ توجهـــــــت   ركائبه ، فالدين ديني وإيماني [2]

ويحذر ابن عربي أتباعه أن يؤمنوا بدين خاص ، ويكفروا بما سواه ، فيقول : « فإياك أن تتقيد بعقد مخصوص ، وتكفر بما سواه ، فيفوتك خير كثير »[3] .

قال ابن عقيل : والمتكلمون عندي خير من الصوفية لأن المتكلمين قد يزيلون الشك والصوفية يوهمون التشبيه . فأكثر كلامهم يشير إلى إسقاط السفاة والنبوات . فإذا قالوا عن أصحاب الحديث قالوا : أخذ واعلمهم ميتاً عن ميت .

---

(١) راجع شرح النصوص لعبد الرحمن جامي شرح العصر اليهودي .

(٢) ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق لابن عربي ص ٣٩ .

(٣) وهذا قمة الفجور والوثنية والمروق عن دين الإسلام . إذ معنى قول ابن عربي هذا (فيفوتك خير كثير) أن في غير الإسلام خير كثير . حسبنا الله .

فقد طعنوا في النبوات وعولوا على الواقع . ومتى أزرى على طريق سقط الأخذ به . ومن قال حدثني قلبي عن ربي فقد صرح أنه غني عن الرسول ، ومن صرح بذلك فقد كفر . فهذه كلمة مدسوسة في الشريعة تحتها هذه الزندقة ومن رأيناه يزري على النقل علماً أنه قد عطل أمر الشرع . وما يؤمن هذا القائل : حدثني قلبي عن ربي أن يكون ذلك من القاء الشياطين فقد قال الله عز وجل : (وأن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) . وهذا هو الظاهر لأنه ترك الدليل المعصوم وعوّل على ما يلقي في قلبه الذي لم تثبت حراسته من الوساوس وهؤلاء يسمون ما يقر بهم خاطراً . قال والخوارج على الشريعة كثير ألا أن الله عز وجل يؤيدها بالنقلة الحفاظ الذابين عن الشريعة حفظاً لأصلها ، وبالفقهاء لمعانيها : وهم سلاطين العلماء لا يتركون لكذاب رأساً ترتفع .

وسبق أن ذكرنا عن أبي يزيد البسطامي أنه قال : (رفعني الله مرة فأقامني بين يديه وقال لي : يا ابا يزيد أن خلقي يحبون أن يروك . فقلت : زيني بوحدانيتك ، وآلبسني أنانيتك ، وارفعني إلى أحديتك ، حتى إذا رآني خلقك قالوا رأيناك فتكون أنت إذ ذاك وإلا أكون أنا هناك)[1] . ومن هذا الكلام يتضح لنا أن الله قد تكلم مع أبي يزيد كلاماً مباشراً من دون ما واسطة ، وهنا يبدو أفضل من الأنبياء ، لأن الله جل شأنه كان يوحي إلى الأنبياء بواسطة ملك الوحي (جبريل) ولكنه يكلم أبا يزيد البسطامي من غير واسطة وهذه لا شك رتبة راقية تسمو على درجات الأنبياء ، وقد أثبتت السنة المطهرة[2] أن أحداً من البشر لم ير الله سبحانه وتعالى .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية . نقله مصطفى عبد الرزاق (مادة التصوف) .

(٢) لقول السيدة عائشة رضي الله عنها في الحديث الصحيح : « من قال أن محمداً رأى ربه ليلة الإسراء والمعراج . فقد أعظم الفرية على رسول الله ﷺ » .

غراميات شيخ صوفي

يتحدث محيي الدين بن عربي في كتابه الفتوحات المكية عن قصة غزل طريفة حدثت له مع فتاة لقيها في مكة وهو في الثامنة والثلاثين من عمره ، فحركت في نفسه شجون الهوى ، والهبت غريزته فاعتلجت بصنوف المشاعر العاطفية والخلجات الحسية الثائرة ، يقول محيي الدين بن عربي الكبريت الأحمر وشيخ وإمام الصوفية في الفتوحات المكية ج ١ ص ٨٤ :

يقول : « كان لهذا الشيخ (الذي نزلت عنده) رضي الله عنه بنت عذراء ، طفيلة هيفاء ، تقيد النظر ، وتزين المحاضر ، وتحير الناظر ، تسمى بالنظام وتلقب بعين الشمس والبهاء ، من العابدات العالمات ، السابحات الزاهدات ، شيخه الحرمين ، وتربية البلد الأمين الأعظم بلا قيد ، ساحرة الطرف عراقية الظرف ، أن اسهبت أتعبت وإن أوجزت أعجزت وإن أفصحت أوضحت أن نطقت خرس قس بن ساعده ، وإن كرمت خنس معين بن زائدة ، وإن وقّت قصر السمؤل خطاه ، وأغرى بظهور الغرور فامتطاه ، ولولا النفوس الضعيفة السريعة الأمراض السيئة الأعراض ، لأخذت في شرح ما أودع الله تعالى في خلقها من الحسن ، وفي خلقها الذي هو روضه المزن ، شمس بين العلماء ، بستان بين الأدباء ، حق مختومة ، واسطة عقد منظومة ، يتيمة دهرها ، كريمة عصرها ، سابقة الكرم عالية الهمم ، سيدة والديها ، شريفة ناديها ، مكنها جياد وبيتها من العين السواد ، ومن الصدر الفؤاد ، أشرقت بها تهامه وفتح الروض لمجاورتها أكمامه ، فنمت أعراف العارف بما تحمله من الرفائق والطائف ، علمها علمها ، عليها مسحة ملك وهمه فراعينا في صحبتها كريم ذاتها ، مع ما انضاف إلى ذلك من صحبه العمة والوالد ، فقلد ناها من نظمنا في هذا الكتاب بأحسن القلائد ، بلسان النسيب الرائق وعبارات الغزل اللائق ، ولم أبلغ في ذلك بعض ما تجده النفس ويثير الإنس ، من كريم ودها وقديم عهدها ولطافة

معناها ، وطهارة مغناها ، إذ هي السؤال والمأمول والعذراء والبتول فاعربت عن نفس تواقة ونبهت على ما عندنا من العلاقة اهتماماً بالأمر القديم وإيثاراً لمجلسها الكريم ، فكل اسم أذكره في هذا الجزء فعنها أكنى ، وكل دار اندبها فدارها أعنى[١] .

فإذا تناولنا القصة الواقعية التي سردها ابن عربي ، تلخصت في أنه أعجب بابنه شيخ نزل عنده ، فرأى فيها عقلاً راجحاً وجمالاً لائماً ، فلما احست منه محاينتها منعته ، صوناً لعفافها وعادات قومها ومكانتها . وليس في هذا أي غريب من القصص فإذا تناولنا بعض ما ورد في كلام ابن عربي ، لمعرفة العواطف التي تكمن خلفه ، انكشفت لنا مشاعر جنسية مضطرمة ، هي سبب المبالغات والتنزيهات والأفراد ، إذ بعد أن أخذ جمال الفتاة بمجامع الصوفي ، وبلغ تأثيرها في زهدها بالالتفاف إليه مبلغاً ، وصفها الرجل بأنها سابحة ، أي متأملة ، تفريغاً لتصوره ورغبته في وضعية الاستلقاء التي تكون فيها المرأة سهلة المنال أو راغبة فيه . فإذا سكتنا عن مغالطته ومبالغاته في خرس قس ومن تقصير السمؤل ، وصلنا إلى توكيد ما كان يستطيب من قطف لثمار جسدها ، إذ تخيلها بستاناً من الأدباء ، ووقع ـ لدى استعماله بين الأدباء ـ بما أفصح عن رغبته في أن تكون له وحده ، فقد عامل البستان ذا المساحة الواسعة معاملة الجسم البشري ، ويفضح لرغبته أكثر قوله : حقة مختومة ، حيث يسمى الفتاة باسم أحد اجزائها المجازية ، ويتطلع إلى إمكان نوال ذلك فيعرب عن أنَ الكرم من صفاتها تسبغه ، ويزيد ذلك جلاء استعماله العفوي أو المقصود لصفة تنمية أعراف العارف بما تحمله[٢] ، فهو استخدم لفظة دالة على الزيادة

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي جـ١ ص٨٤٠ .

(٢) راجع كتاب (التصوف العربي) للاستاذ محمد ياسر شرف سلسلة كتاب الهلال وهو كتاب قيم أرجو أن يطلع عليه القاريء لأنه وثيقة تجمع كثيراً من خرافات وخزعبلات هذه النحلة المجنونة . المؤلف .

العضوية « النمو » وصفة مادية « تحمل » فظهر أن هناك تورية في المعنيين ، ويؤيد هذا اعترافه بالتزامات عبارات الغزل اللائق ، ثم تصريحه بأن هذا لا يبلغ درجة الإعراب عن المشاعر الحقيقية الدفينة في نفسه .

ابن عربي ينكح نجوم السماء كلها

ويؤكد وجود مثل تلك العواطف المكبوتة لدى ابن عربي ، مما يبحث عن مخرج يرضى به السائد من القيم ، ليظهر بثوب بديل مقبول ، قوله : « رأيت ليلة أني نكحت نجوم السماء كلها ، فما بقي منها نجم إلا نكحته بلذة عظيمة روحانية ، ثم لما أكملت نكاح النجوم أعطيت الحروف فنكحتها »[1] .

يبدو أن الشبق الذي يسعر به ابن عربي هو دافع التأكيد على أن يكون نكاح النجمة بعد النجمة بلذة عظيمة ، ولا بدراً هذه الشبهة قوله : بان اللذة روحانية ، والتثنية بنكاح المذكر « الحرف » بعد الأنثى « النجمة » يزيد الكوامن والرغبات الدفينة ، تأججاً ودلالة ، وتضيع دون ذلك جميع التسويفات .

ومن ذلك اقحامه الموضوعات الجنسية في الأمور الفقهية ، ولو أدى ذلك إلى القول الزور ، فقد حدثنا : « واتفق لي مع بنت كانت لي ترضع ، عمرها دون السنة ، فقلت لها : يا بنية ـ فأصغت لي ـ ما تقولين في رجل جامع امرأته فلم ينزل ، ما يجب عليه ؟ فقالت : يجب عليها الغسل ، فغشى على جداتها من نطقها . هذا شهدته بنفسي »[2] .

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي جـ١ ص ٨٤٢ .

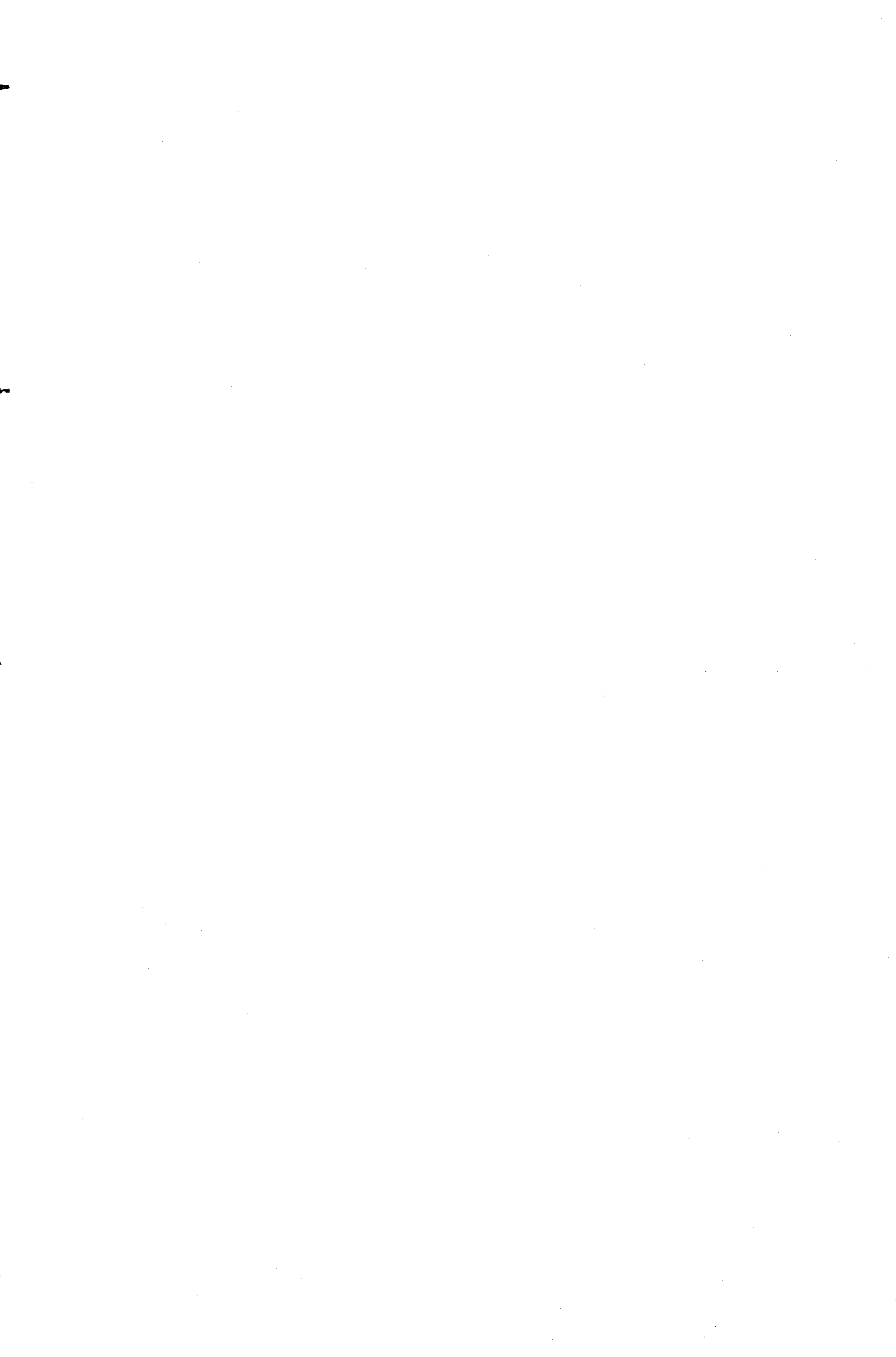
(٢) الفتوحات المكية جـ١ ص ٨٤٢ .

القطب الغوث الجامع

ما هو القطب الغوث الجامع الذي يلوذ به ويتوسل إليه الكثيرون لقضاء الحاجات وتحقيق الأمنيات وحصول الرغائب ؟؟

وكذلك ما يزعمه بعضهم من أن القطب الجامع يمد أولياء الله ، ويعرفهم كلهم ، ونحو هذا فهذا باطل . فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما ـ لم يكونا يعرفان جميع أولياء الله ، ولا يمدانهم . فكيف بهؤلاء الضالين المغتربين الكذابين ؟ ورسول الله ﷺ سيد ولد آدم إنما عرف الذين لم يكن رآهم من أمته بسيماء الوضوء ، وهو الغرة والحجيل . ومن هؤلاء من أولياء الله لا يحصيه إلا الله عز وجل . وأنبياء الله الذين هو أمامهم وخطيبهم لم يكن يعرف أكثرهم ، بل قال الله تعالى : (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك : منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) وموسى لم يكن يعرف الخضر ، والخضر لم يكن يعرف موسى ، بل لما سلم عليه موسى قال له : الخضر وإني بأرضك السلام ؟ فقال له : أنا موسى . قال : موسى بني إسرائيل ؟ قال : نعم . وقد كان بلغه اسمه وخبره ، ولم يكن يعرف عينه . ومن قال أنه نقيب الأولياء أو أنه يعلمهم كلهم فقد قال الباطل .

رحم الله الخضر عليه السلام



وماتَ الخضرُ عليه السلام

ما هي حقيقة الخضر عليه السلام ، هل مات أم لا يزال حياً ، وهل يقابل الصوفيين الذين يجزمون أنهم يرونه علناً ويأخذون منه العهود والمواثيق والعلوم اللدنية ؟ وإذا كان الخضر قد مات فما الدليل على ذلك ؟

والصواب الذي عليه المحققون أنه ميت ، وأنه لم يدرك الإسلام ، ولو كان موجوداً في زمن النبي ﷺ لوجب عليه أن يؤمن به ، ويجاهدمعه ، كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره . ولكان يكون في مكة والمدينة . ولكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم وإعانتهم على الدين أولى من حضوره عند قوم كفار ليرفع لهم سفينتهم ، ولم يكن مختفياً عن خير أمه أخرجت للناس ، وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم .

ثم ليس للمسلمين به وأمثاله حاجة لا في دينهم ولا في دنياهم ، فإن دينهم أخذوه عن الرسول النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الذي علمهم الكتاب والحكمة . وقال لهم نبيهم : « لو كان موسى حياً ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم » وعيسى بن مريم عليه السلام إذا نزل من السماء إنما يحكم فيهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم . فأي حاجة لهم مع هذا إلى الخضر وغيره ؟ والنبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبرهم بنزول عيسى من السماء . وحضوره مع المسلمين ، وقال : « كيف تهلك أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها » فإذا كان النبيان

الكريمان اللذان هما مع إبراهيم وموسى ونوح أفضل الرسل . ومحمد ﷺ سيد ولد آدم . ولم يحتجبوا عن هذه الأمة لا عوامهم ولا خواصهم ، فكيف يحتجب عنهم من ليس مثلهم . وإذا كان الخضر حياً دائماً فكيف لم يذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك فقط ، ولا أخبر به أمته ،ولا خلفاءه الراشدين .

لقد أخلصوا العبادة للشياطين

صدقه عليهم ابليس ظنه

من الهند البراهمة قوم قد حسّن لهم إبليس أن يتقربوا بإحراق نفوسهم فيُحفر للإنسان منهم أخدود وتجتمع الناس فيجيء مضمخاً بالخلوق والطيب وتضرب المعازف والطبول والصنوج ويقولون طوبى لهذه النفس التي تعلق إلى الجنة ويقول هو ليكن هذا القربان مقبولاً ويكون ثواب الجنة ثم يلقي نفسه في الأخدود فيحترق فإن هرب نابذوه ونفوه وتبرأوا منه حتى يعود ومنهم من يحمىّ له الصخر فلا يزال يلزم صخرة صخرة حتى يثقب جوفه معاه فيموت ومنهم من يقف قريباً من النار إلى أن يسيل دمـــه فيسقط . ومنهم من يقطع ساقه وفخذه قطعاً ويلقيها إلى النار والناس يزكونه ويمدحونه ويسألون مثل مرتبته حتى يموت : ومنهم من يقف في اخثاء البقر إلى ساقه ويشعل النار فيحترق . ومن من يعيد الماء .

ويقول هو حياة كل شيء فيسجد له . ومنهم من يُجهز له اخدود قريب من الماء فيقع في الأخدود حتى يموت فإن مات وهو بينهما حزن أهله وقالوا حرم الجنة وإن مات في أحدهما شهدوا له بالجنة ، ومنهم من يزهق نفسه بالجوع والعطش فيسقط أولاً عن المشي ثم الجلوس ثم ينقطع كلامه ثم تبطل حواسه ثم تبطل حركته ثم يخمد . ومنهم من يهيم في الأرض حتى يموت : ومنهم من يغرق نفســه في النهر . ومنهـم مـن لا يـأتي النساء ولا يـواري إلى العـورة ولهم جبل شاهق تحته شجرة وعندها رجل بيده كتاب يقرأ فيه يقول : طوبى

لمن ارتقى هذا الجبل وبعج بطنه وأخرج امعاءه بيده . ومنهم من يأخذ الصخور فيرض بها جسده حتى الموت : والناس يقولون طوبى لك وعندهم نهران فيخرج أقوام من عبادهم يوم عيدهم وهناك رجال فيأخذون ما على العباد من الثياب ويبطحونهم فيقطعونهم نصفين ثم يلقون أحد النصفين في نهر والنصف الآخر في نهر ويزعمون أنهما يجريان إلى الجنة . ومنهم من يخرج إلى براح ومعه جماعة يدعون له ويهنئونه بنيته فإذا أضجر جلس وجمع له سباع الطير من كل جهة فيتجرد من ثيابه ثم يمتد الناس ينظرون إليه فتبتدره الطير فتأكله فإذا تفرقت الطير جاءت الجماعة فأخذوا عظامه وأحرقوها وتبركوا بها ، في أفعال طويلة قد ذكرها أبو محمد النوبختي يضيع الزمان في كتابتها والعجب أن الهند قوم تؤخذ الحمة عنهم ويؤخذ عنهم دقائق الحكمة وتلهم دقائق الأعمال فسبحان من أعمى قلوبهم حتى قادهم إبليس هذا المقادم قال وفيهم من يزعم أن الجنة إثنتان وثلاثون مرتبة وإن مكث أهل الجنة في أدنى مرتبة منها أربع مائة ألف سنة وثلاثون ألف سنة وستمائة وعشرون سنة وكل مرتبة أضعاف ما دونها . وأن النار اثنتان وثلاثون مرتبة منها ست عشر مرتبة فيها الزمهرير وصنوف عذابه وست عشرة مرتبة فيها الحريق وصنوف عذابه[1] .

وأشرك أرباب الثالوث المقدس

أن الله جوهر واحد في أقانيم ثلاثة فهو واحد في الجوهرية ثلاثة في الأقنومية فأحد الأقانيم عندهم الأب والآخر الإبن والآخر روح القدس فبعضهم يقول : الأقانيم خواص . وبعضهم يقول صفات وبعضهم يقول أشخاص وهؤلاء قد نسوا أنه لو كان الإله جوهراً لجاز عليه ما يجوز على الجواهر من التحيز بمكان

---

(١) تلبيس إبليس .

والتحرك والسكون والأوان ثم سول لبعضهم أن المسيح هو الله . قال أبو محمد النوبختي زعمت الملكية واليعقوبية أن الذي ولدته مريم هو الإله وسوّل الشيطان لبعضهم أن المسيح هو ابن الله وقال بعضهم : المسيح جوهر أن أحدهما قديم والآخر محدث ومع قولهم هذا في المسيح يقرون بحاجته إلى الطعام ولا يختلفون في هذا وفي أنه صلب ولم يقدر على الدفع عن نفسه ويقولون إنما فعل هذا بالناسوت فهلا دفع عن الناسوت ما فيه من اللاهوت ثم لبس عليهن أمر نبينا محمد عليه الصلاة والسلام حتى جحدوه بعد ذكره في الإنجيل ومن الكتابيين من يقول عن نبينا أنه نبي إلا أنه مبعوث إلى العرب خاصة وهذا تلبيس من إبليس استغفلهم فيه لأنه متى ثبت أنه نبي فالنبي لا يكذب وقد قال بعثت إلى الناس كافة وقد كتب إلى قيصر وكسرى وسائر ملوك الأعاجم .

أغلاط اليهود والنصارى والرد عليها

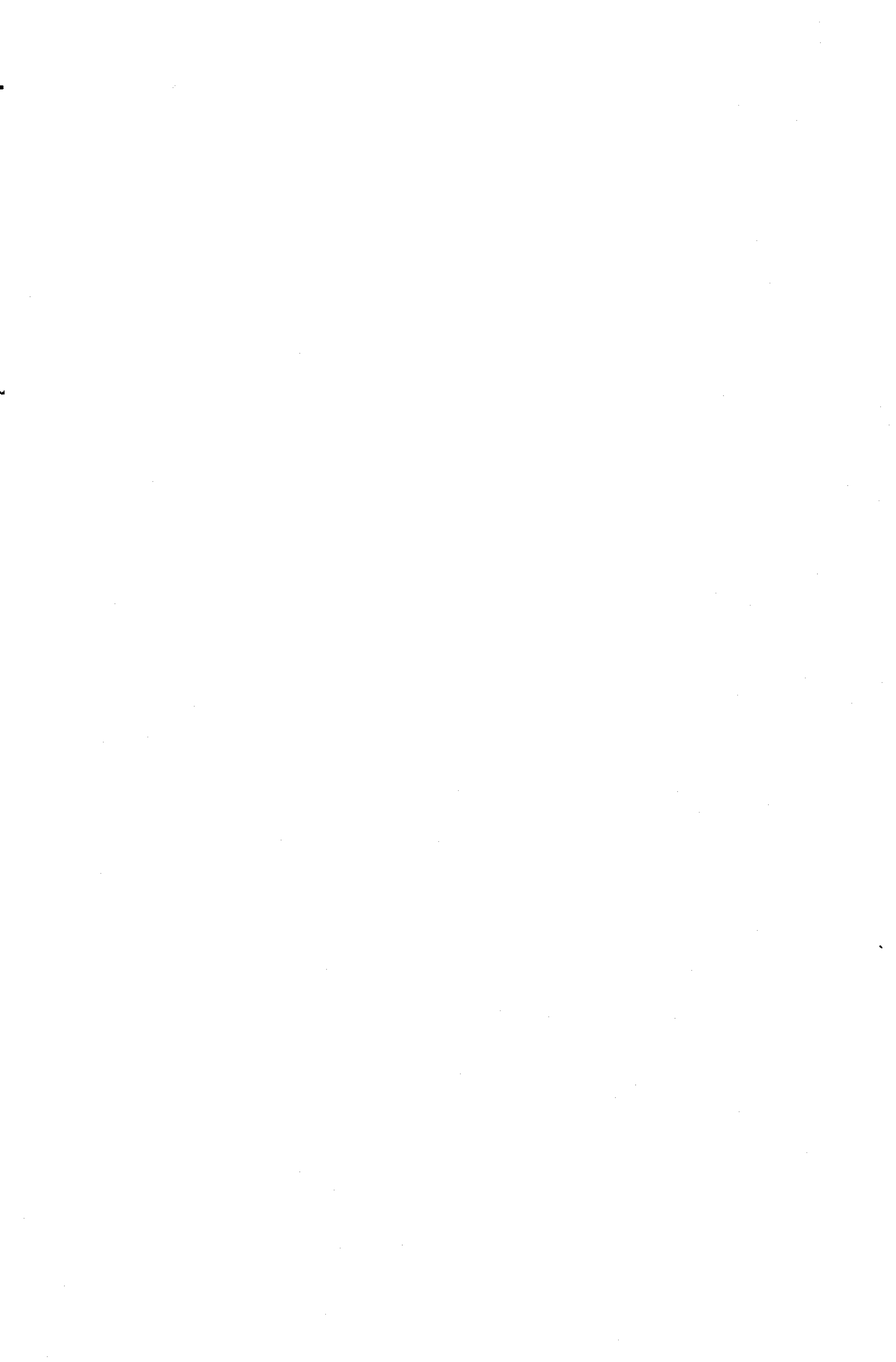
أنهم قالوا لا يعذبنا الله لأجل أسلافنا فمنا الأولياء والأنبياء فأخبرنا الله عز وجل عنهم بذلك : « نحن أبناء الله وأحباؤه » . أي منا ابنه عزيز وعيسى . وكشف هذا التلبيس أن كان شخص مطالب بحق الله عليه فلا يدفعه عنه ذو قرابته ولو تعدت المحبة شخصاً ولو تعدت المحبة شخصاً إلى غيره لموضع القرابة لتعدي البعض وقد قال نبينا ﷺ لإبنته فاطمة لا أغني عنك من الله شيئاً وإنما فضل المحبوب بالتقوى فمن عدمها عدم المحبة ثم أن محبة الله عز وجل للعبد ليست بشغف كمحبة الادميين بعضهم بعضاً إذ لو كانت كذلك لكان الأمر يحتمل .

والصابئة ملحدون

أصل هذه الكلمة أعني الصابئين من قولهم صبأت إذا خرجت من شيء إلى شيء وصبأت النجوم إذا ظهرت وصبأ به إذا خرج والصابئون أنهم قوم بين النصارى والمجوس رواه سالم عن سعيد بن جبير ولبث عن مجاهد : والثاني أنهم بين اليهود والمجوس رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد : والثالث أنهم بين اليهود والنصارى . رواه القاسم عن أبي بزة عن مجاهد : والرابع : أنهم صنف من النصارى الين قولاً منهم رواه أبو صالح عن ابن عباس . والخامس : أنهم قوم من المشركين لا كتاب لهم رواه القاسم أيضاً عن مجاهد . والسادس : أنهم كالمجوس قاله الحسن. والسابع : أنهم فرقة من أهل الكتاب يقرؤن الزبور قاله أبو العالية . والثامن أنهم قوم يصلون إلى القبلة ويعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور قاله قتادة ومقاتل : والتاسع : أنهم طائفة من أهل الكتاب قاله السدي .

والعاشر : أنهم كانوا يقولون لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول لا إله إلا الله قاله ابن زيد .

ملكوت الله في قبضة الصوفي



صوفي يطوف بالملكوت الالهي

يخاطب صوفي ربه بقوله : « أن قوماً طلبوك ، فاعطيتهم على الأرض والمشي على الهواء ، وكنوز الأرض ، فانقلبت لهم الأعيان » ثم يتحدث عما أنعم عليه ربه ، فيقول : « أدخلني في الفلك الأسفل ، فدورني في الملكوت السفلي . فأراني الأرضين ، وما تحتها إلى الثري ، ثم أدخلني في الفلك العلوي ، فطوف بي في السموات ، وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش ، ثم أوقفني بين يديه . فقال لي : سلني أي شيء رأيت حتى أهبه لك ، فقلت : يا سيدي ما رأيت شيئاً استحسنه ، فأسألك إياه »[1] حتى عرش الله لم يستحسنه هذا الصوفي الوقح ، ومع ذلك يزعم أن الله قال له : « أنت عبدي حقاً » .

أتراه ، وهو يطوف بجوف الأرض ، لم ير « البترول » ، فيدل على مكانه قومة ؟

نعش الصوفي يطير في الهواء

لم أنس ذات مرة في صغري ، وقد مات أحد الصوفيين في قريتنا في الأرياف ، وقد حمله الناس على أعناقهم إلى مثواه الأخيرة ، ولكن لا بد أن يطوفوا به حول أحد أضرحة الأولياء التي لا تزال موجودة إلى الآن ، في مشهد ـ لم أكن

(١) قوت القلوب لأبي طالب المكي ص ١٠٣ طبعه ١٣٥١ هـ .

أعرف حقيقته وقتئذ ـ شركي يتنافى مع التوحيد الخالص وبعد الطواف الوثني حول الضريح المزعوم ، والمنسوب لأحد الصالحين ، انتهوا به إلى المقبرة ولكن بعد مشقــة ولأي ولا بد أنك ستسألني عن السر في ذلك .... فسأقول لك ولن أخفي عنك شيئاً ، لقد فوجيء الناس بنعش الصوفي القطب والغوث الهالك ينحرف بالرجال يميناً تارة ، ويساراً تارة أخرى ، وتعالت زغاريد النساء الجاهلات ، وكبر الجهال من القرويين السذج ـ من جهلهم وقلة علمهم ـ ذلك لأن الشيخ الغوث الكبير أبان لهم كرامته ، وطار النعش في الهواء ، لولا أحكام الرجال قبضتهم على خشبة النعش ، لطار إلى السماء العلي ليحظى بالقرب من حبيبه رب العزة ..... يا للمأساة والفاجعة ، والمصاب الجلل ، ينقلب الحزن المروع إلى أغاريد جهال وجاهلات ...

وتحديت هؤلاء الوثنيين وأنا صبي صغير ، ـ تحديتهم في نفسي طبعاً لأني لا أجرؤ أن أعلن التحدي والأوراني الصوفيون الثري مع فقيدهم ـ ....

تحديتهم في نفسي وقلت : لو أن هذا الكلام صحيح ، فليضعوا النعش على الأرض ، وليدعوه بعيداً عنهم ، ولو كان هذا الرجل صالحاً حقاً يتحرك قيد انملة ـ ....

وبالقطع لا يمكن أن يتحرك لأنه أصبح هامداً لا حراك فيه .

وهكذا تشهد القرى والمدائن والأمصار طقوساً وثنية ، وتماثيل طوطمية أجارنا الله من فتنتها والداعين إلى شركها ، أمين .

صوفي يتصرف في الجنة

يزعم طاغوت التيجانية الأول ما يأتي : « أخبرني سيد الوجود يقظة . لا مناماً : كل من أحسن إليك بخدمه . أو غيرها . وكل من أطعمك يدخلون الجنة . بلا حساب . ولا عقاب . فسألته لكل من أحبني . ولكل من أحسن لي بشيء من مثقال ذرة . ومن أطعمني طعامه . كلهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب وسألته لكل من أخذ عني ذكراً . أن نتغفر لهم جميع ذنوبهم . ما تقدم منها . وما تأخر . وأن يرفع الله عنهم محاسبته على كل شيء . وأن يكونوا آمنين من عذاب الله من الموت إلى دخول الجنة . وأن يكونوا كلهم معي في عليين في جوار النبي فقال لي ﷺ : ضمنت لهم هذا ضمانة . لا تنقطع . حتى تجاورني أنت وهم في عليين »[1] .

وقلب الصوفي أوسع من عرش الله

يقول البسطامي : « لو أن العرش ، وما حواه مائة ألف مرة في زاوية من زوايا القلب العارف ، لما أحس به ، فقلب العبد الخصوصي بيت الله . وموضع نظره . ومعدن علومه . وحضرة أسراره . ومهبط ملائكته . وخزانة أنواره . وكعبته . وعرفاته المشهودة »[2] .

---

(١) هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل .

(٢) المرجع السابق نفسه .

ملكوت الله في بطن الدباغ

والدباغ يصف الملكوت الغيبي الإلهي ويحدده فيقول : « إني أرى السموات السبع والأراضين السبع والعرض داخله وسط ذاتي وكذا ما فوق العرش من السبعين حجاباً »[1] .

الفقهاء والصوفية

نشب صراع طويل مرير بين الفقهاء والصوفية ، وكان كل منهما متشدد في موقفه فالسلفيون يمثلهم ابن تيمية الصارم المسلول على رقاب البدع والاهواء والضلالات والوثنيات ومن خلفه تلميذه النابه ابن قيم الجوزية ، وقفا جداراً شامخا وصرحا منيعا ضد تيارات الالحاد في عصرهم .

وقد نظر الصوفيون إلى السلفيين نظرة ازدراء وتحقير لأن السلفيين أرباب ظواهر ، ونظروا إلى أنفسهم أنهم أرباب البواطن ، ولم يقف الفقهاء مكتوفي الأيدي إنما كفروهم ورموهم بالزندقة والوثنية الصريحة والخروج على الدين .

وما عابه سلف الأمة على الصوفية قولهم بوحدة الوجود والحلول وسقوط التكليف والتفرقة بين الحقيقة والشريعة مع ان الاثنتين ملتصقتان ببعضهما البعض فلا شريعة بغير حقيقة ، ولا حقيقة بغير شريعة كما اعتمد الصوفيون على تحكيم الذوق ورفض العلم وتعبدوا بما لم يشرع الله .

وشهدت محاكم بغداد من جراء ذلك محاكمات أقطاب صوفيين مثل ذي النون المصري والحلاج وغيرهما ..

(١) الابريز للدباغ جـ ٢ ص ٧٣ .

عاب ابن القيم على الصوفية أموراً خالفت الشرع ، وأولها القول بوحدة الوجود . وبنسب إلى ابن عربي ، وهو محمد بن علي بن محمد بن احمد ابن عبدالله الحاتمي من ولد عبدالله بن حاتم اخي عدي بن حاتم ، ويكنيء ابا بكر ، ويلقب بمحيي الدين ، ويعرف بالحاتمي وبابن عربي بدون الف ولام فرقا بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي[1] ولد سنة ٥٦٨ هـ ، توفي سنة ٦٣٨ هـ[2] .

وابن عربي هو أول من قال بوحدة الوجودمن مفكري المسلمين[3] ، وما صدر عن أبي يزيد البسطامي من قوله : « سبحاني سبحاني ما أعظم شأني ، وعن الحلاج من قوله : « أنا الحق » فإنما صدر عنهما في حال السكر ، ولا يعد مذهبا مؤسسا على قواعد أما مذهب ابن عربي في وحدة الوجود فهو مؤسس على قواعد بنى عليها نظريته ، وإلى جانب هذا فهناك فرق بين وحدة الوجود كما يراها ابن عربي وبين ما ذهب اليه البسطامي والحلاج ، لأن ما صدر عن البسطامي والحلاج يعتبر قولا بالحلول أي حلول اللاهوت في الناسوت اما مذهب ابن عربي فهو القول بوحدة الوجود بمعنى ان الوجود واحد وهو وجود الله ، وما سواء من المخلوقات فهو صورة له ، فمذهبه واحد اما مذهبهما فهو ليس واحديا بل اثنتينيا ، لانه يقول بوجود اثنتين : اللاهوت والناسوت ، والأول يحل في الثاني .

ولو ذهبنا نتتبع ما كتبه ابن‌عربي في كتابه نصوص الحكم لوجدناه يعبر عن مذهبه باساليب متعددة تختلف في الصورة ، وتتفق في الجوهر وقد وقعت على نص لابن عربي يوضح مذهبه توضيحاً تاماً ، اذ نفي فيه وجود العالم واعتبره وهما لا وجود له ، واعتبر الوجود الحق هو وجود الله قال : « وإذا كان

(١) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق للدكتور زكي مبارك .

(٢) نفح الطيب جـ ١ .

(٣) ابن القيم للاستاذ عبد العظيم عبد السلام شرف الدين .

الامر على ما ذكرته لك فالعالم متوهم ماله وجود حقيقي . وهذا معنى الخيال : أي خيل لك أنه أمر رائد قائم بنفسه خارج عن الحق وليس كذلك في نفس الأمر ، ألا تراه في الحس متصلاً بالشخص الذي امتد عنه ، ويستحيل عليه الإنفصال عن ذلك الإتصال لأنه يستحيل على الشيء الإنفصال عن ذاته[١] ، فالوجود كله خيال في خيال ، والوجود الحق إنما هو الله خاصة من حيث ذاته وعينه[٢] »

ويبدو للباحث أن مذهب ابن عربي مستمد من مذهب الا شاعره في الجوهر والأغراض مع شيء من التصوف ، وبيان ذلك ان ما يسميه ابن عربي الذات الالهية أو العين الواحدة يقابل الجوهر عند الا شاعرة ، وما يسميه المجالي المختلفة التي تظهر فيها هذه الذات يقابل الاعراض والاحوال عندهم ، وما يسميه « الخلق الجديد » أي ظهور الالهية في صور الموجودات المختلفة في كل لحظة في ثوب جديد يقابل اختلاف الاعراض على الجوهر الواحد وعدم استقرارها[٣] .

فالأشاعرة يرون ان العالم مؤلف من جوهر وأعراض ، وهذه الأعراض في تغير مستمر بحيث لا يبقى عرض واحد في جوهر آنين ، ومذهبهم هذا بعيد عن القول بوحدة الوجود لانهم يثبتون الها خالقا الى جانب الجواهر والاعراض ، ولكن ابن عربي تصرف في هذا المذهب بعض التصرف فآل الى ما ذهب إليه من وحدة الوجود ، وذلك لأنه أحل « الحق » محل جوهر الأشاعرة فاستقامت له نظريته ، وأصبحت نظرية وأحدية بعد أن كانت ثنائية ، وأصبح الوجود منحصرا في الجوهر الواحد (الذات في اصطلاحه) ، والأعراض التي تختلف عليه (الصور الوجودية في مذهبه)[٤] .

---

(١) فصوص الحكم ص ١٠٣ .

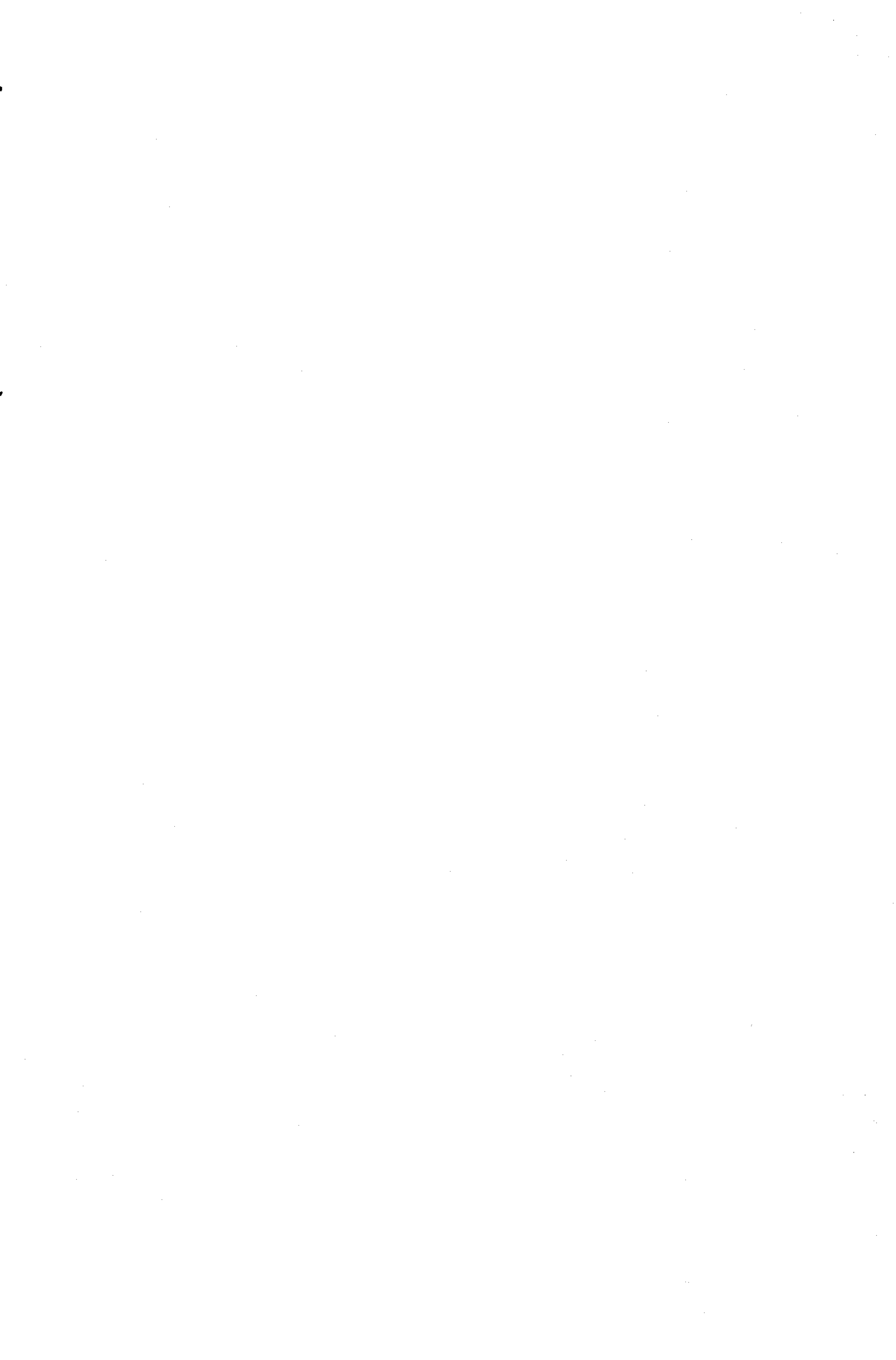
(٢) الفصوص ص ١٠٤ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية . المجلد الأول . تعليق الهامش دكتور أبو العلا عفيفي .

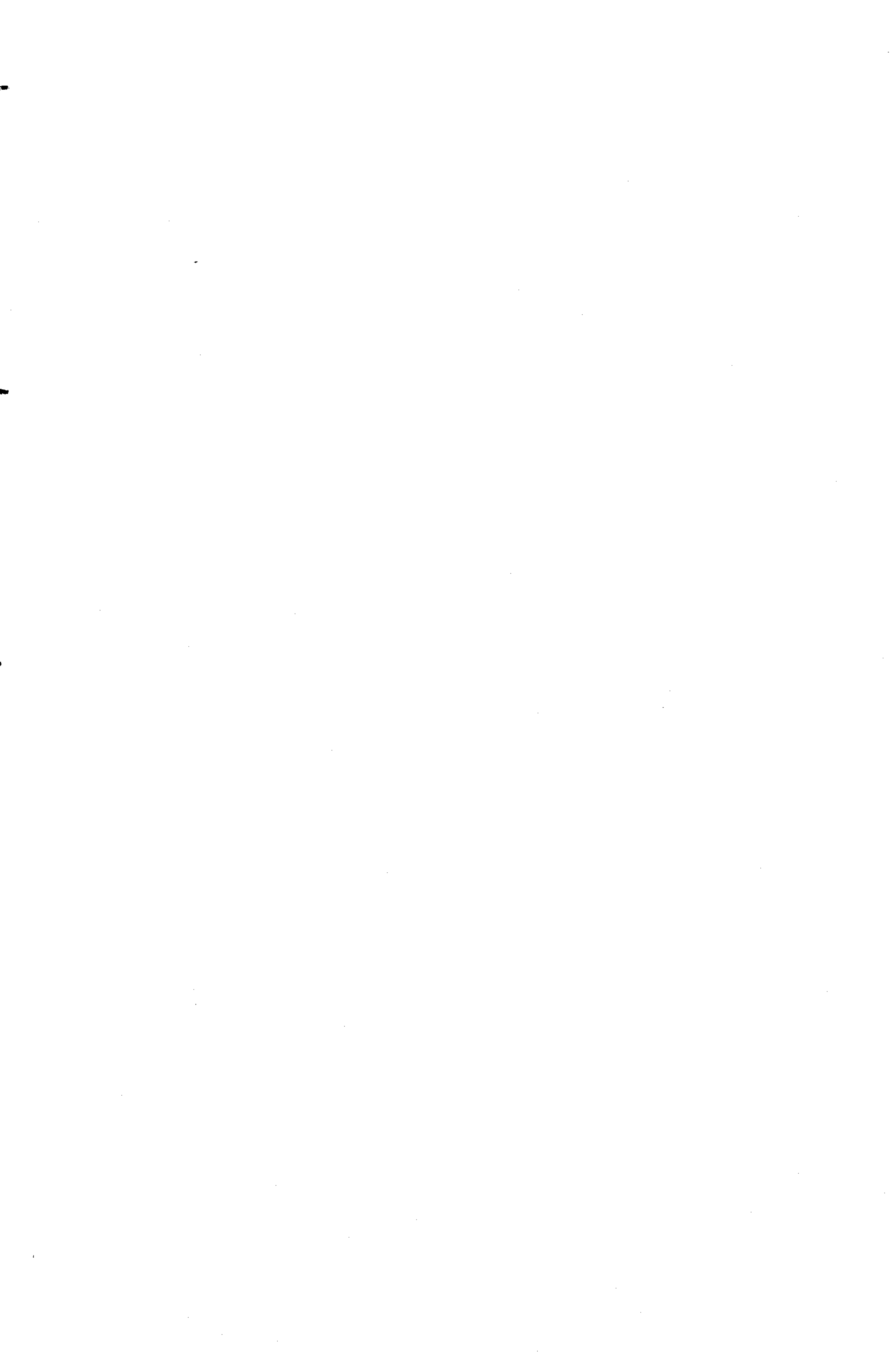
(٤) فصوص الحكم جـ ٢ ص ١٥٢ تعليق د. أبو العلا عفيفي .

والأشاعرة مخطئون في نظر ابن عربي : « وأما الأشاعرة فما علموا ان العالم كله مجموع أعراض فهو يتبدل في كل زمان اذ العرض لا يبقى زمانين »[1] .

(١) فصوص الحكم جـ١ ص ١٢٥ . تعليق أبو العلا عفيفي .



موقف ابن تيمية وابن القيم
من وحدة الوجود ومناقشته



ابن تيمية يتصدى لابن عربي

ومع ذلك فقد تصدى ابن تيمية لمذهب بن عربي في وحدة الوجود . وانتقده انتقاداً مراً في وسائله المتعددة ، فتراه في الجزئين الأول والرابع من مجموعة الرسائل والمسائل ينتقده ، ويبين ما فيه من زيف وباطل ، كذلك ألف رسالة « الرد ألا قوم على ما في كتاب فصوص الحكم » ضمن مجموعة وقد صدّر هذه الرسالة بقوله : « ما تضمنه كتاب فصوص الحكم وما شاكله من الكلام فانه كفر باطناً وظاهراً ، وباطنه أقبح من ظاهره ، وهذا يسمى مذهب أهل الوحدة وأهل الحلول وأهل الإتحاد ، وهم يسمون أنفسهم المحققين .

وهؤلاء نوعان : نوع يقول بذلك مطلقا ، كما هو مذهب صاحب الفصوص ابن عربي وأمثاله ، مثل ابن سبعين ، وابن الفارض ، والقونوي ، والتستري ، والتلمساني وأمثالهم ممن يقول : « إن الوجود واحد ، ويقولون : إن وجود المخلوق هو وجود الخالق لا يثبتون موجودين خلق أحدهما الآخر ، بل يقولون : « الخالق هو المخلوق ، والمخلوق هو الخالق .

ويقولون : « ان وجود الاصنام هو وجود الله وأن عبّاد الأصنام ما عبدوا شيئاً إلا الله »

ويقولون : « إن الحق يوصف بجميع ما يوصف به المخلوق من صفات النقص والذم » .

ويقولون : « إن عباد العجل ما عبدوا الا الله ، وأن موسى انكر على هارون لكون هارون أنكر عليهم عبادة العجل ، وأن موسى كان يزعمهم من العارفين الذين يرون الحق في كل شيء ، بل يرونه عين كل شيء ، وأن فرعون كان صادقا في قوله : (أنا ربكم الأعلى) بل هو عين الحق ونحو ذلك مما يقوله صاحب الفصوص[1] »

وأما النوع الثاني فهو قول من يقول بالحلول والإتحاد في معين « كالنصارى الذين قالوا بذلك في المسيح عيسى ، والغالبة يقولون بذلك في علي بن أبي طالب وطائفة من أهل بيته ، والحاكمية الذين يقولون بذلك في الحاكم ، والحلاجية الذين يقولون بذلك في الحاكم ، والحلاجية الذين يقولون بذلك في الحلاج ، واليونسية الذين يقولون بذلك في يونس ، وامثال هؤلاء ممن يقول بالهية بعض البشر ، وبالحلول والاتحاد فيه ، ولا يجعل ذلك مطلقا في كل شيء[1]

وأهم ما أخذه ابن تيمية علي ابن عربي ما يأتي :

يقوم ابن عربي بوجود أعيان ثابتة في العدم ، وقد ناقشه ابن تيمية في هذا القول بما يأتي : ـ

هذه الأعيان المعدومة الثابتة في العدم هل خلقها الله ، وجعلها موجودة بعد ان كانت معدومة ، أم لم يخلقها فلا تزال معدومة ؟

فإن كان الأول إمتنع أن تكون هي إياه ، لأن الله لم يكن معدوماً فيوجد ، وإن كان الثاني وجب ألا يكون شيء من الكون موجوداً ، وهذا باطل .

---

(١) ٤١ . ٤٢ . مجموعة رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية الطبعة الأولى سنة ١٣٦٨ هـ . سنة ١٩٤٩ م . بمطبعة السنة المحمدية .

(٢) نفس المرجع السابق ٤٣ . ٤٤ .

ثم ناقشه في قوله « ظهر الحق ، وتجلى ، وهذه مظاهر الحق ومجاليه ، وهذا مظهر آلهي ومجلى آلهي فقال : » إن عنيتم انه اتحد بها فهذا باطل ، لأن الحق لا يتحد بالمخلوقات[1] ، وإن عنيتم أنه ظهر لها ، وتجلى بحيث تعلمه فهو باطل ، لأن المعدوم لا يعلم شيئا وان عنيتم انه ظهر بها وتجلى بها فهي بمثابة آيات دالة عليه كما قال تعالى : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء ماء فأحيى به الأرض بعد موتها الى قوله تعالى : » لآيات لقوم يعقلون » لكنك لم تقل ذلك ، لأنك قلت تجلى لها ، وظهر لها ولم تقل دل بها خلقه عليه ، وجعلها آيات وتبصره لكل عبد منيب .

ويقول ابن عربي : « فلا تقع العين إلا عليه » وهذا يدل على أن العين ترى الله وهذا يناقض قول الرسول : « واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت »[2] .

ثبت هذا الحديث في صحيح مسلم[3] .

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ٤/٢٨ . ٢٩ .

(٢) نفس المرجع السابق ونفس الصفحات .

(٣) راجع صحيح مسلم في رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة .

رأى بن تيمية في وحدة الوجود[1].

وغاية حقيقة هؤلاء : إنكار« أصول الإيمان » بان يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ، وحقيقة أمرهم جحد الخالق ، فإنهم جعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق .

وقالوا : الوجود واحد . ولم يميزوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع ، فإن الموجودات تشترك في مسعى الوجود ، كما تشترك الاناس في مسمى الانسان ، والحيوانات في مسمى الحيوان ، ولكن هذا المشترك الكلى لا يكون مشتركاً كليا إلا في الذهن ، وإلا فالحيوانيـة القائمة بهذا الانسان ليست هي الحيوانية القائمة بالفرس .

ووجود السموات ليس هو بعينه وجود الانسان ، فوجود الخالق جل جلاله ليس هو كوجود مخلوقاته .

وحقيقة قولهم : قول « فرعون » الذي عطل الصانع ، فانه لم يكن منكراً هذا المشهود لكن زعم انه موجود بنفسه ، لا صانع له ، وهؤلاء وافقوه في ذلك ، لكن زعموا بانه هو الله ، فكانوا اضل منه وان كان قوله هذا هو اظهر فساداً منهم ، ولهذا جعلوا عباد الاصنام ما عبدوا الا الله .

وقالوا : « لما كان فرعون في منصب التحكم صاحب السيف وان جار في العرف الناموسي ، كذلك قال انا ربكم الأعلى ـ اي وان كان الكل اربابا

---

(١) يقول « نيكلسون » إن الإسلام يفقد كل معناه ويصبح اسماً على غير مسمى . لو أن عقيدة التوحيد المعبر عنها بـ « لا إله إلا الله » أصبح المراد منها لا موجود في الحقيقة إلا الله . وواضح أن الاعتراف بوحدة الوجود في صورتها المجددة قضاء تام على كل معالم الدين المنزل ومحو كامل بهذه المعالم . راجع هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل .

بنسبة ما ، فانا الأعلى منكم بما اعطيته في الظاهر من الحكم فيكم .

قالوا : « ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله افروا له بذلك وقالوا : (فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا) (طه ٧٧) قالوا : فصح قول فرعون (أنا ربكم الأعلى) وكان فرعون عين الحق « ثم انكروا حقيقة اليوم الاخر ، فجعلوا أهل النار يتنعمون كما يتنعم أهل الجنة ، فصاروا كافرين بالله واليوم الاخر وبملائكته وكتبه ورسله مع دعواهم انهم خلاصة خاصة الخاصة من أهل ولاية الله ، وانهم افضل من الانبياء وان الانبياء انما يعرفون الله من مشكاتهم .

وليس هذا موضع بسط الحاد هؤلاء . ولكن لما كان الكلام في « أولياء الله » والفرق بين « أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » وكان هؤلاء من أعظم الناس ادعاء لولاية الله . وهم من أعظم الناس ولاية للشيطان . نبهنا على ذلك . ولهذا عامة كلامهم إنما هو في الحالات الشيطانية ، ويقولون ما قاله صاحب الفتوحات (باب أرض الحقيقة) ويقولون هي ارض الخيال . ونعرف بان الحقيقة التي يتكلم فيها هي خيال ، ومحل تصرف الشيطان ، فان الشيطان يخيل للانسان الامور. بخلاف ما هي عليه قال تعالى : (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين . وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون . حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين . ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون) ـ الزخرف : ٣٦ ـ ٣٩ .

وقال تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً) إلى قوله (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرور) ـ النساء : ١١٦ ـ ١٢٠ .

وقال تعالى : (وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق

ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتموه من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم) ـ ابراهيم : ٢٢ .

وقال تعالى : (وإذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما ترأت الفئتان نكص على[1] عقبيه وقال إني بريء منكم وإني ارى مالا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب) ـ الأنفال : ٤٨ .

وقد روى عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح « انه رأى جبريل يزع الملائكة » والشياطين اذا رأت ملائكة الله التي يؤدي بها عبادة هربت منهم . والله يؤيد عباده المؤمنين بملائكته .

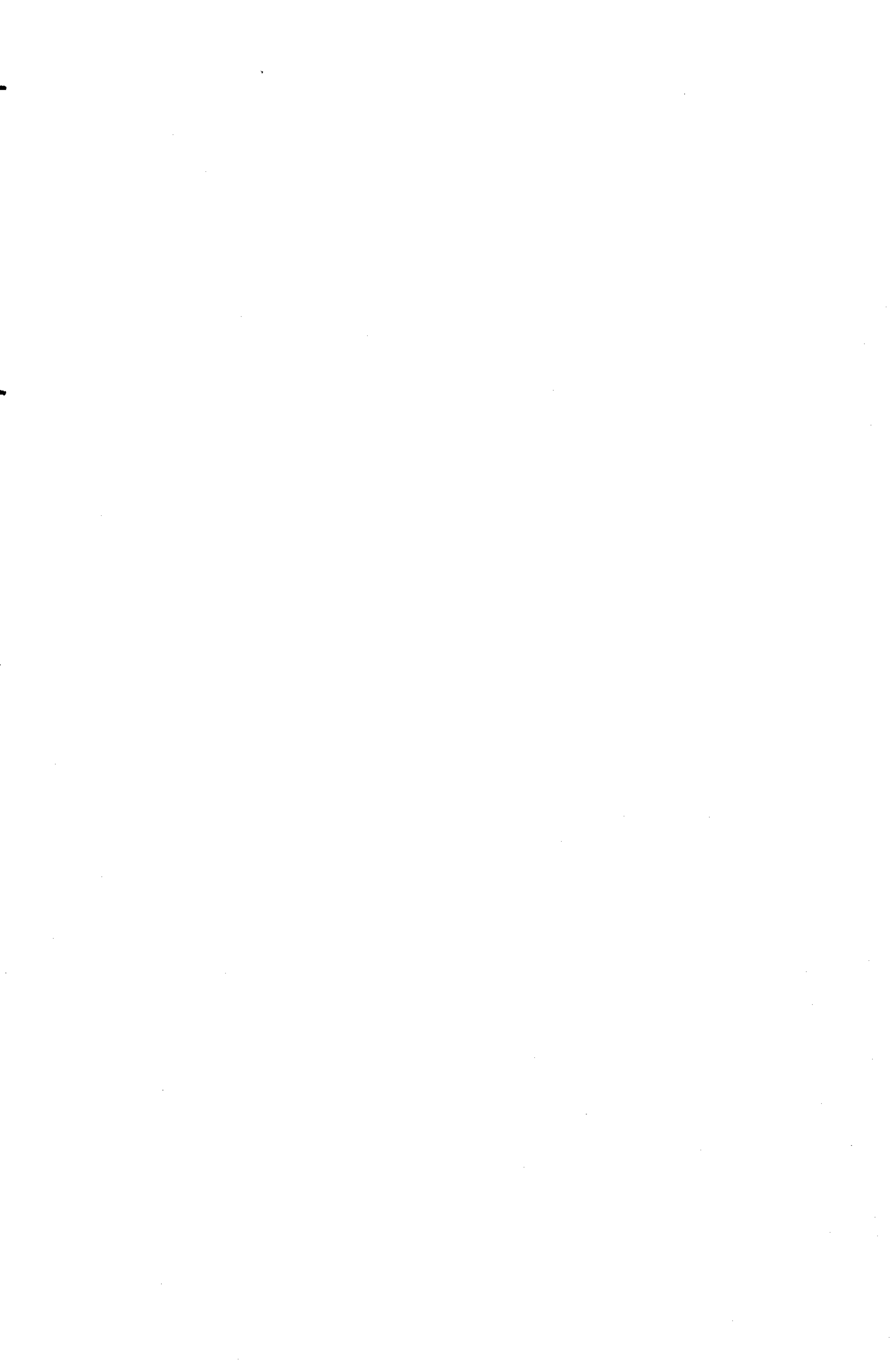
قال تعالى : (إذ يوحي ربك إلى الملائكة إني معكم فثبتوا الذين آمنوا)[2] . ـ الأنفال : ١٢ .

---

(١) نكص على عقبية : رجع على عقبية .

(٢) وهنا مهمة الملائكة في الحرب مع المؤمنين هي التثبيت وليس المقاتلة بالجسم على الصورة البشرية . وهذا رأينا الذي أوردناه في كتابنا (السحر وتحضير الأرواح بين البدع والحقائق) .

يقين الصوفية



إبن تيمية يناقش الصوفية ويرد عليهم

وهذه الأرواح الشيطانية هي الروح التي يزعم صاحب « الفتوحات » أنها ألقت إليه ذلك الكتاب ، ولهذا يذكر أنواعاً من الخلوات بطعام معين وشيء معين ، وهذه مما تفتح لصاحبها اتصالا بالجن والشيطاين ، فيظنون وذلك من كرامات الأولياء . وإنما هو من الاحوال الشيطانية .

واعرف من هؤلاء عدداً ، ومنهم من كان يحمل في الهواء الى مكان بعيد ويعود ومنهم من كان يؤتي بمال مسروق تسرقه الشياطين وتأتيه به ، ومنهم من كانت تدله على السرقات يحصل له من الناس ، أو بعطاء يعطونه إذا دلهم على سرقاتهم ونحو ذلك .

ولما كانت أحوال هؤلاء شيطانية كانوا مناقضين للرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ، كما يوجد في كلام صاحب « الفتوحات المكية » و« الفصوص » واشباه ذلك . يمدح الكفار ، مثل قوم نوح وهود وفرعون وغيرهم ، ويتنقض الانبياء : كنوح وابراهيم وموسى وهارون . ويذم شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين : كالجنيد بن محمد ، وسهل بن عبدالله التستري ، ويمدح المذمومين عند المسلمين : كالحلاج ونحوه كما ذكره في تجلياته الخيالية الشيطانية .

فإن الجنيد ـ قدس الله روحه ـ كان من ائمة الهدى ، فسئل عن التوحيد فقال : « التوحيد » افراد الحدوث عن القدم : فبين ان التوحيد ان تميز بين القديم والمحدث ، وبين الخالق والمخلوق .

وصاحب الفصوص « أنكر هذا ، وقال في مخاطبته الخيالية الشيطانية له : يا جنيد هل يميز بين المحدث والقديم الا من يكون غيرهما ؟ فخطأ الجنيد في قوله : (افراد الحدوث عن القدم) : لأن قوله هو : ان وجود المحدث هو عين وجود القديم ، كما قال في فصوصه : « ومن اسمائه الحسنى » العلي » على من » ؟ وما ثم الا هو ، وعن ماذا ؟ وما هو الا هو ، فعلوه لنفسه وهو عين الموجودات ، فالمسمى محدثات هي العلية لذاته وليست الا هو» الى أن قال :

هو عين ما بطن وهو عين ما ظهر ، وما ثم من يراه غيره ، وما ثم من ينطق عنه سواء ، وهو المسمى أبو سعيد الخراز وغير ذلك من الاسماء المحدثات »

فيقال لهذا الملحد : ليس من شرط التمييز بين الشيئين بالعلم والقول أن يكون ثالثا غيرهما ، فان كل واحد من الناس يميز بين نفسه وغيره وليس هو ثالث .

فالعبد : يعرف انه عبد ويميز بين نفسه وبين مخلوقاته ، ويعلم انه ربهم وانهم عباده ، كما نطق بذلك القرآن في غير موضع ، والاستشهاد بالقرآن عند المؤمنين الذين يقرون به باطناً وظاهراً .

وأما هؤلاء الملاحدة : فيزعمون ما كان يزعمه « التلمساني » منهم ـ وهو احذقهم في الحادهم ـ لما قرىء عليه « الفصوص » فقيل له : القرآن يخالف فصوصكم فقال : القرآن كله شرك ، وانما التوحيد في كلامنا .

فقيل له : فإذا كان الوجود واحداً فلم كانت الزوجة حلالا والاخت

حراما ؟ فقال : الكل عندنا حلال ، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا حرام. فقلنا حرام عليكم .

وهذا مع كفره العظيم متناقض ظاهر ، فان الوجود اذا كان واحدا فمن المحجوب ومن الحاجب ؟

ولهذا قال بعض شيوخهم لمريده : من قال لك : ان في الكون سوى الله فقد كذب فقال له مريده : فمن هو الذي يكذب .

وقالوا لاخر : هذه مظاهر. فقال لهم : المظاهر غير الظاهر أم هي ؟ فان كانت غيرها فقد قلتم بالنسبة ، وان كانت اياها فلا فوق .

وقد بسطنا الكلام على كشف اسرار هؤلاء في موضع اخر ، وبيّنا حقيقة قول كل واحد منهم .

وان صاحب « الفصوص » يقول : المعدوم شيء ، ووجود الحق فاض عليه ، فيفرق بين الوجود والثبوت .

والمعتزلة الذين قالوا : المعدوم شيء ثابت في الخارج مع ضلالهم خير منه .

فان أولئك قالوا : ان الرب خلق لهذه الاشياء الثابتة في العدم وجوداً ليس هو وجود الرب . وهذا زعم أن عين وجود الرب فاض عليه فليس عنده وجود مخلوق مباين لوجود الخالق .

وصاحبه « الصدر القونوي » : يفرق بين المطلق والمعين ، لانه كان اقرب الى الفلسفة ، فلم يقر بان المعدوم شيء ، لكن جعل الحق هو الوجود المطلق ، وصنف « مفتاح الجمع والوجود » .

وهذا القول ادخل في تعطيل الخالق وعدمه .

فإن المطلق بشرط الإطلاق ـ وهو الكلي العقلي ـ لا يكون إلا فى الاذهان لا في الأعيان .

والمطلق لا بشرط ـ وهو الكلي الطبيعي ـ وإن قيل أنه موجود في الخارج فلا يوجد في الخارج الا معينا ، وهو جزء من المعين عند من يقول بثبوته في في الخارج .

فيلزم : إن يكون وجود الرب اما منتفيا في الخارج وأما أن يكون جزءا من وجود المخلوقات ، وأما أن يكون عين وجود المخلوقات .

وهل يخلق الجزء الكلي أو يخلق الشيء نفسه ؟ أم العدم يخلق الوجود أو ان يكون بعض الشيء لا جميعه ؟

وهؤلاء يقرون من لفظ « الحلول » لانه يقتضي حالا ومحلا ، ومن لفظ « الاتحاد » لانه يقتضي شيئين اتحد احدهما بالاخر ، وعندهم الوجود واحد . ويقولون : النصارى إنما كفروا لما خصصوا المسيح بانه هو الله ولو عمموا لما كفروا .

وكذلك يقولون في « عبادة الأصنام » : انما اخطأوا لما عبدوا بعض المظاهر دون بعض ، فلو عبدوا الجميع لما أخطأوا . والعارف المحقق عندهم لا يضره عبادة الأصنام .

وهذا مع ما فيه من الكفر العظيم ففيه ما يلزمهم دائماً من التناقض لانه يقال لهم : فمن المخطىء ؟ لكنهم يقولون : ان الرب هو الموصوف بجميع النقائض التي يوصف بها المخلوق .

ويقولون : ان المخلوقات توصف بجميع الكمالات التي يوصف بها الخالق ، ويقولون ما قاله صاحب « الفصوص » : « فالعلى لنفسه هو الذي يكون له

الكمال الذي يستوعب به جميع النعوت الوجودية ، والنسب العدمية ، سواء كانت محمودة عرفا أو عقلا أو شرعاً ، أو مذمومة عرفا وعقلا وشرعا ، وليس ذلك الا لمسمى الله خاصة » .

وهم مع كفرهم هذا لا يندفع عنهم التناقض ، فإنه معلوم بالحس والعقل ان هذا ليس هو ذاك .

وهؤلاء يقولون ما كان يقوله « التلمساني » : إنه ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل .

ويقولون : من اراد التحقيق ـ يعني تحقيقهم ـ فليترك العقل والشرع .

وقد قلت لمن خاطبته منهم : ومعلوم ان كشف الأنبياء أعظم واتم من كشف غيرهم ، وخبرهم اصدق من خبر غيرهم ، والانبياء صلوات الله وسلامه عليهم يخبرون بما تعجز عقول الناس عن معرفته ، لا بما يعرف الناس بعقولهم انه ممتنع فيخبرون بمجازات العقول لا بمحالات العقول ، ويمتنع ان يكون في أخبار الرسول ما يناقض صريح العقول ، ويمتنع ان يتعارض دليلان قطعيان ، سواء كانا عقليين أو سمعيين ، أو كان احدهما عقليا والاخر سمعيا فكيف بمن ادعى كشفا يناقض صريح الشرع والعقل .

مما عابه ابن القيم على الصوفية القول بسقوط التكليف وبيان ذلك ان بعض الصوفية زعم أن الشخص إذا سما في درجة القرب من الله سقط عنه التكليف قال ابن حزم : « ادعت طائفة من الصوفية ان في اولياء الله من هو افضل من جميع الأنبياء والرسل وقالوا : من بلغ الغابة القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك ، وحلت له المحرمات

كلها من الزنى والخمر وغير ذلك ، واستباحوا بهذا نساء غيرهم[1]

هذا من تلبيس ابليس عليهم « وقد لبس ابليس على جماعة من المتصوفة فمنهم من اعتزل في جبل كالرهبان يبيت وحده ، ويصبح وحده ففاتته الجمعة والجماعة ومخالطة اهل العلم[2] .

ومن هؤلاء الغيوريين على دين الله ابن قيم الجوزية قال ناعيا على من زعم سقوط الصلاة عنه : » قيل لبعض الصوفية : قم الى الصلاة فقال :

يطالب بالأوراد من كان غافلا وكيف يقلب كل أوقاته ورد ؟

فمن لم يرد القيام بالفرائض اذا حصلت له الجمعية فهو كافر منسلخ من الدين ومن عطل لها مصلحة راجحة كالسنن الرواتب والعلم النافع والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنفع المتعدي فهو ناقص[3] .

مما عابه ابن القيم على الصوفية التفرقة بين الحقيقة والشريعة ، وهذه المسألة ترجع الى الصراع بين الصوفية والفقهاء هذا الصراع الذي نشأ منذ عصر التدوين . فبدأ الصوفيون يعتبرون انفسهم ارباب الحقائق والفقهاء ارباب الظواهر .

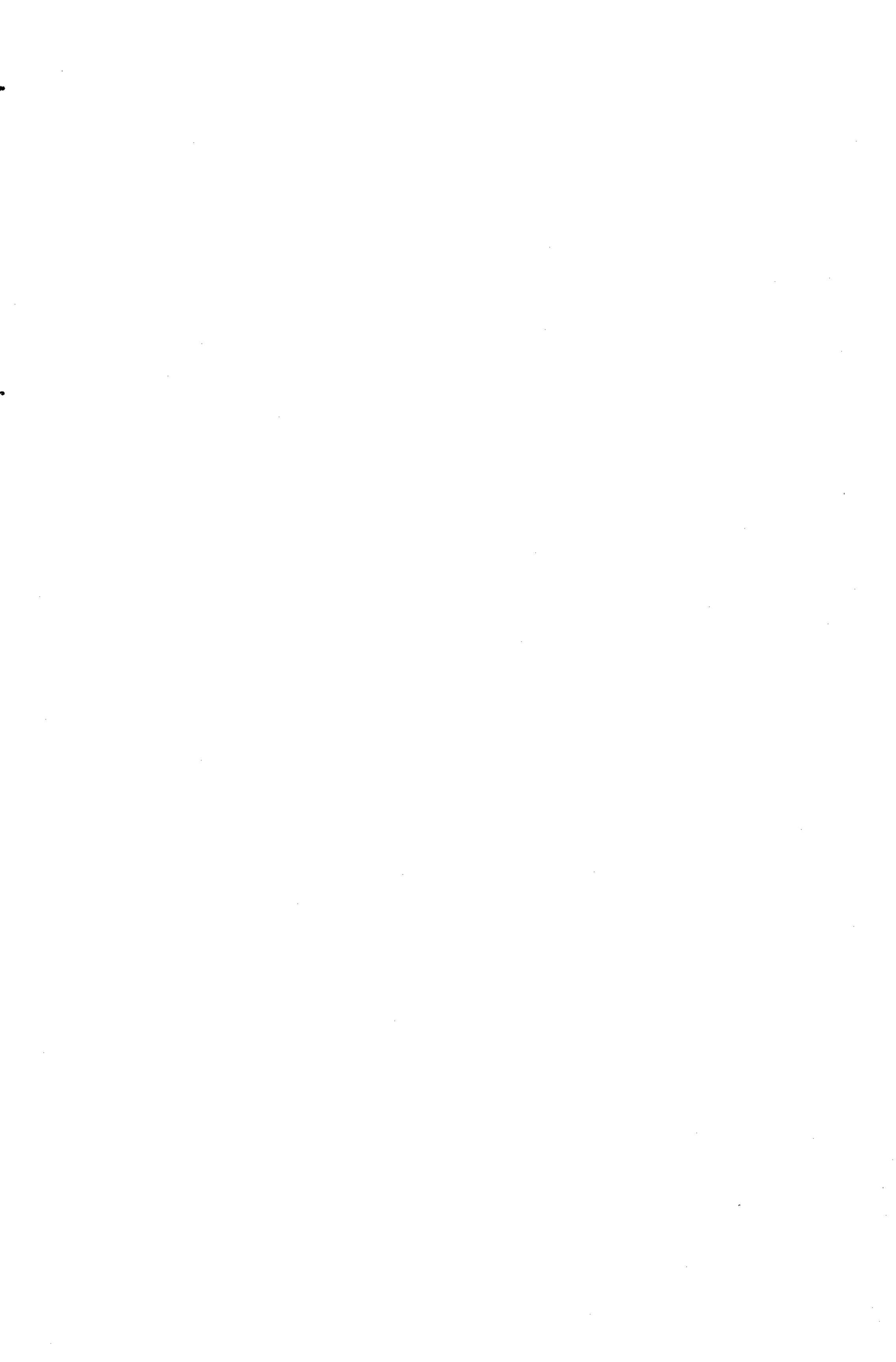
---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ ٤ ص ٢٢٦ الطبعة الأولى بمصر .

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٠٧ مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٣٠ هـ .

(٣) مدارج السالكين جـ٣ ص ٧١ ، ٧٢ .

الشريعة والحقيقة



ويرى الدكتور زكي مبارك أن منشأة هذه التفرقة أمران :

(١) الفقه علم الظواهر ، كالعبادات ، والمعاملات ، والجنايات ، والحدود ، أما التصوف فهو علم بواطن القلوب من أذواق ومواجيد .

(٢) ورود آيات من القرآن الكريم تحتمل التأويل مثل . « ثم استوى إلى السماء وهي دخان ، فقال لها وللأرض : أتيا طوعا أوكرها ، قالتا أتينا طائعين[٢]

فالاية تحتمل معنين : الأول ان هذا من باب التمثيل وانه لم يقل لهما شيئا ، ولم تسمعا ، ولم تقولا شيئا ، وإنما هو تصوير خضوع السموات والأرض ،وامتثالهما لكل ما أراده الله وتسخيرهما لقدرته ، بصورة قول موجه اليهما فاجابه منهما .

المعنى الثاني ان هذا على سبيل الحقيقة وان القول وجه اليهما وانه خلق لهما سمعا ونطقا وهذا غير صحيح .

قال الغزالي بعد ذكر هذه الآية : « فالبليد يفتقر في فهمه الى ان يقدر لهما حياة يخلقها الله للسماء وللارض وعقلا وفهما للخطاب ، وخطابا هو صوت وحرف تسمعه السماء والأرض فتجيبان بحرف وصوت وتتولان : « اتينا طائعين » والبصير يعلم ان ذلك لسان الحال وانه انبأه عن كونهما مسخرتين

(١) ابن القيم للاستاذ عبد الظيم عبد السلام شرف الدين ٣٦٩ . ٣٧٠ . ٣٧١ . بتصرف .
(٢) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق للدكتور زكي مبارك جـ ٢ ص ١٦ .

بالضرورة ومضطرتين الى التسخير»[٣] . وإني لا اطمئن الى اعتبار ورود مثل هذه الايات سببا في الخصومة بين الفقهاء فالسبب الوحيد في هذه الخصومة هو ما شعر به الصوفية من انهم أهل حقائق وان الفقهاء ارباب ظواهر، فنشأت الخصومة بين الفريقين ، وكانت الحرب سجالا بين المتنازعين .

أما ابن تيمية فقد ابطل التفرقة بين الشريعة والحقيقة ، ونحا على ابن عربي باللائمة ، واعتبره من الكفرة لقوله : « انه يأخذ علم الشريعة من الموضع الذي ياخذ منه الرسول « واعتبره يشبه مسيلمة الكذاب في دعوى الرسالة ، كما نعى عليه قوله : » انه مختص بعلم الحقيقة دون الرسول « قال ابن عربي : » ولما مثل النبي صلى الله عليه وسلم النبوة بالحائط من اللبن وقد كمل سوى موضع لبنه » ، فكان ﷺ تلك اللبنة ، غير انه صلع الله عليه وسلم لا يراها الا كمال قال لبنة واحدة ، واما خاتم الأولياء فلا بد من هذه الرؤيا . فيرى ما مثله به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرى في الحائط موضع لبنتين ، واللبن من ذهب وفضة ، فيرى اللبنتين اللتين ينقص الحائط عنهما ، لبنه ذهب ولبنة فضة . والسبب الموجب لكونه رأها لبنتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر، وهو موضع اللبنة الفضية ، وهو ظاهره وما يتبعه فيه من احكام ، كما هو اخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه ، لانه يرى الامر ما هو عليه ، فلا بد ان يراه هكذا ، وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن ، فانه اخذ من المعدن الذي ياخذ منه الملك الذي يوحي به الى الرسل ... فخاتم الرسل من حيث ولايته نسبته مع الخاتم للولاية نسبة الانبياء والرسل معه ، فانه الولي الرسول النبي ، وخاتم الأولياء الولي الوارث الاخذ عن الأصل المشاهد للمراتب[١] » ناقش ابن تيميه ابن عربي في هذا النص السابق ، وابان

(٣) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي جـ ١ ص ٧٧ .

(١) فصوص الحكم لابن عربي ص ٦٣ و ٦٤ الفصل الثاني فص شيث .

عن عدة أخطاء وقع فيها ابن عربي واهمها ما يأتي :

١ ـ يفهم من كلامه أن هناك علم شريعة ، وهو موضع اللبنة الفضية وهو علم اهل الظاهر كما ان هناك علم الحقيقة ، وهو موضع اللبنة الذهبية ، وهو خاص بالصوفية .

٢ ـ اخذ عليه دعواه اخذ الشريعة عن الله كما يأخذ الرسول ، وهذا كفر يشبه مسيلمة الكذاب اذ ادّعى النبوة .

٣ ـ اخذ عليه دعواه انفراده بعلم الحقيقة المتضمن علو منزلته عن الرسول اذ انه يدعي انه يأخذ من حيث يأخذ الملك ما يوحى به الى الرسول ، فالرسول يأخذ من الملك . وابن عربي يدعي انه يأخذ لا من الملك بل من الموضع الذي يأخذ منه الملك وهو في هذه الدعوى اكثر من مسيلمة ادعاء ، لأن مسيلمة لم يدع انه ارقى من الرسول[1]

وكما ابطل ابن تيميه دعوى ابن عربي ان هناك علم شريعة وعلم حقيقة ، فقد ابطل دعوى من قال : « ان له طريقا الى الله غير اتباع الرسل ، وانه يسلك هذا الطريق وان خالف شرع الرسل محتجا بقصة موسى والخضر ، وقد فند ابن تيميه هذا الزعم ، وابطل الاحتجاج بقصة موسى والخضر بامرين نلخصهما فيما يأتي :

١ ـ لم يكن موسى مرسلا الى الخضر ، ولو كان مرسلا اليه لوجب على الخضر اتباعه .

٢ ـ قصة موسى والخضر ليس فيها مخالفة للشريعة كما يزعم من يريد المروق من التكاليف . اذ ما فعله الخضر يباح في الشريعة اذ علم العبد الاسباب

(١) مجموعة الرسائل والمسائل جـ ٤ ص ٦٩ .

كما علم الخضر ولذا لما بيّن الخضر اسبابها لموسى وافقه ، وبيان موافقة فعل الخضر للشريعة أن خرق السفينة داخل تحت قاعدة : المال المعصوم يجوز للانسان ان يحفظه لصاحبه باتلاف بعضه ، فاتلاف البعض خير من ذهاب الكل ، ومن هذا ما حدث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من ذبح الراعي الشاه وقد خاف عليها الهلاك ، وقصة الغلام تدخل تحت جواز قتل الصبي الصائل قال ابن عباس : « واما الغلمان فان كنت تعلم منهم ما علم الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم والا فلا تقتلهم » .

واقامة الجدار فعل معروف بلا اجرة مع الحاجة اذا كان لذرية قوم صالحين(١) واصرح ما ورد عن ابن تيمية في هذا المقام ما جاء على لسانه ردا على من زعم أن علم الباطن خاص بالصوفية ، وعلم الظاهر خاص بالفقهاء « الباطن والظاهر... والشريعة والحقيقة كل هذا مردود الى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا الى المشايخ والفقهاء ، ولا الى الملوك والامراء ، ولا الى العلماء والقضاة وغيرهم ، بل جميع الخلق عليهم طاعة الله ورسوله ﷺ(٢) »

فهو يرد الامر كله لله ورسوله ، ولا يجيز التفرقة بين الشريعة والحقيقة والباطن والظاهر ، وقد جاوز الصوفية حد الاعتدال حين ادعو الاخذ عن الله بلا واسطة ، وانهم اعظم من اتباع الرسل ، فيقول بعضهم : « فلان عطيته على يد محمد ، وانا عطيتي من الله بلا واسطة » ويقول اخر : « اخذوا علمهم ميتا عن ميت ، واخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت » .

وقد فند ابن تيميه هذا الزعم ، وبين ان كل شيء مرده الى الكتاب والسنة ، فما وافقهما فهو حق ، وما خالف واحداً منهما فهو باطل ، وهذا واضح من

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ٤/٦٧ . ٦٨ .

(٢) نفس المرجع جـ١ ص ١٣٧ .

قوله : « وليس عندهم فـرق بين الرحماني والشيطاني ، فان الفرق الذي لا يخطيء هو القرآن والسنة ، فما وافق الكتاب والسنة فهو حق ، وما خالف ذلك فهو خطأ ، وقد قال تعالى : » ومن يغشى عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ، وانهم ليصدونهم عن السبيل ، ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين ، فبئس القرين » . سورة الزخرف آية ٢٨

وقول القائل : « يأخذ عن الله ، واعطاني الله » لفظ مجمل . فان أراد به الاعطاء .

الحقيقة هي ما اتفق عليها الأنبياء والمرسلون

و« الحقيقة » حقيقة الدين : دين رب العالمين . هي ما اتفق عليها الانبياء والمرسلون ، وان كان لكل منهم شرعة ومنهاج .

ف« الشرعة » هي الشريعة قال الله تعالى : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) ـ المائدة : ٤٨ . وقال تعالى : (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون . انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين » .) ـ الجاثية : ١٨ و ١٩ .

و« المنهاج » هو الطريق . قال تعالى (وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا . لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا) ـ الجن ١٦ و ١٧ .

فالشرعة : بمنزلة الشريعةَ للنهر .

والمنهاج : هو الطريق الذي سلك فيه .

١- سورة الزخرف آية ٣٦

والغاية المقصودة هي حقيقة الدين ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له وهي حقيقة دين الاسلام ، وهو ان يستسلم العبد لله رب العالمين ولا يستسلم والاخذ العام وهو لكوني الخلقي : اي بمشيئة الله وقدرته حصل لي هذا فهو حق ، ولكن جميع الناس يشاركونه في هذا ، وذلك الذي اخذ عن الكتاب هو ايضا عن الله اخذ بهذا الاعتبار والكفار من المشركين واهل الكتاب ايضا هم كذلك ، وان ارد ان هذا الذي حصل لي هو ما يحبه الله ، ويرضاه ، ويقرب اليه ، وهذا الخطاب الذي يلقى هو كلام الله تعالى ـ فهنا طريقان :

احدهما ان يقال له : « ومن أين لك أن هذا إنما هو من الله ، لا من الشيطان والقائه ووسوسته ؟ ، فان الشياطين يوحون الى اوليائهم ، والمقصود هنا ان يقال لهم : « اذا كان جنس هذه الاحوال مشتركاً بين أهل الحق ، واهل الباطل فلا بد من دليل يبين ان ما حصل لكم هو الحق » .

الطريق الثاني : ان يقال « بل هذا من الشيطان ، لانه مخالف لما بعث الله به محمدا ﷺ ، فلو نظرنا الى ما حصل له وإلى سببه وغايته وجدنا ان السبب والغاية غير مشروعين كأن يقال له : اسجد لهذا الصنم حتى يحصل لك المطلوب ، أو ادع هذا المخلوق ، واستغث به ، فما يحدث له بهذا السبب انما حدث بسبب الشرك ، كما كان يحدث للمشركين ، فكانت الشياطين تتراءى لهم ، ويقضون لهم بعض الحوائج ، فكانوا يبذلون لهم هذا النفع القليل بما اشتروه منهم من توحيدهم وايمانهم[1] »

هذا ما قاله ابن تيميه في الحقيقة والشريعة ، ولو ذهبنا نستمع ما قاله تلميذه ابن القيم لوجدناه يتفق مع شيخه في الجوهر ، ويختلف عنه في الصورة التي عرض فيها هذه المسألة .

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ٥ . من ٩٨ إلى ١٠٤ .

المشاهدة والمكاشفة
في ميزان التحليل النفسي

المشاهدة أم المكاشفة ؟

فضل الهروي المشاهدة ، وهي نتيجة سقوط الحجاب بين العقد والرب على المكاشفة وهي الاطلاع على الصفات وهذا معنى قوله : « المكاشفة ولاية النعت وفيه شيء من بقايا الرسم ، والمشاهدة ولاية العين والذات[1] » .

وخالفه ابن القيم في هذا ، ورأى أنه لا نسبة بين الاطلاع على الصفات ، وهي المكاشفة ، والاطلاع على العين والذات ، وهي المشاهدة ، فالمكاشفة أفضل من المشاهدة ، بل الأول هو الممكن والثاني غير ممكن ، الأول هو ما دعا اليه الرسل قال الرسول عليه السلام : « تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا » .

ولما سأل المشركون رسول الله ﷺ عن حقيقة ربه سبحانه : من أي شيء هو؟ أنزل الله عز وجل : « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » ولما سأل فرعون موسى عن حقيقة ربه بقوله : وما رب العالمين ؟ أجابه بقوله : « رب السموات والأرض وما بينهما »[2] .

واكتفى بهذا القدر في بيان العلاقة بين ابن القيم والهروي ، ومنه يتبين ان شخصية ابن القيم لم تذب كما سبق في شخصية الهروي ، بل كان أحيانا

---

(١) مدارج السالكين ١٤٦/٣ .

(٢) مدارج السالكين ١٤٦/٣ . ١٤٧ . ١٤٨ .

يتفق معه وأحيانا أخرى يختلف اختلافا حرا نزيها ، هدفه احقاق الحق ، ووضع الامور في نصابها .

مرض اسمه .... (لا شيء)

ومن واقع تجاربي الخاصة ، وممارستي العملية مع الحياة وفي الحياة ، اقول عن يقين : ان الكثيرين من الناس لا سيما الذين يعانون من الضغوط النفسية يعانون من قلق يظهر في صور عضوية ، وهذه توهم الطبيب المبتديء ان شيئاً ما عضويا يعاني منه الجسم ... والحقيقة أن لا شيء .

ولقد قرات كتابا طبيا فيما اسمه (الألم) يتحدث مؤلفه عن مرضى الوهم ، وانهم غير مصابين باي مرض عضوي ، وكم سكن الكثيرون منهم القبور بسبب الشكوى من امراض وهمية ، تجافيها الحقيقة ، ويجانبها الصواب .

وكم جاء لي من مريض ارى من التطلع النفسي اليه انه ضحية وهم أو فكرة مسلطة تقض مضجعه ، وتقلق راحته ، وبالقياس ، نرى ان كثيرين من الملاحدة الذين خرجوا عن الاسلام ، هم في واقع امرهم مرضى بامراض نفسية ـ وهذا لا يعفيهم من التجريم ـ وهذا الشذوذ الفكري قد حملهم على الكفر والزندقة ، فضلوا السبيل وظنوا انهم يحسنون صنعا .

قال تعالى : « وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون »

ومصيبة هؤلاء الزنادقة أنهم ليس لديهم أقبح ولا أكره من أن تقدم إليهم نصيحة ، أو تسدي إليهم تصويباً ينبيهم إلى رشدهم ...

قال تعالى : (افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) .

وقال سبحانه وتعالى : (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن طريقه) هذه تقدمة اقدم بها الى القارىء مرض الفصام ، او ما يسميه الأطباء النفسيون (الشيزوفرينيا) ، وهذه ضرورة حتمية حتى نفهم من اعراض هذا المرض ، ان مرض المكاشفة ، هو حالة نفسية صرفة ، وسنورد هنا ما قاله علماء النفس فيها .

يقول الدكتور عادل صادق استاذ الطب النفسي بكلية الطب ، جامعة عين شمس ، بالقاهرة في كتابه(الطب النفسي) طبعة دار المعارف ، يشرح اعراض الهستيريا فيقول في صفحة ٣٩ : « واعراض هذا المرض كثيرة ومتعددة ، واهمها اضطراب التفكير ، وهذا يأخذ صورا شتى متعددة قد يكون هيئة اضطراب محتوي التفكير ، وهذا يظهر على هيئة هذاءات ؛ أو معتقدات خاطئة ، كان يعتقد المريض أنه مضطهد وانه مراقب من البوليس ، وان احداً يتتبعه ، أو يحاول قتله ، أو ان هناك اجهزة تسجيل تلتقط كل ما يقول كمحاولة للتشهير به ، ويكون المريض قلقا ، ومضطربا لاحساسه بالاضطهاد ... ثم ويضيف استاذ الطب النفسي الدكتور عادل صادق :

« ومن اعراض الفصام ايضا اضطراب الادراك ، واهمها ظهور الهلاوس السمعية والبصرية فيسمح المريض اصواتا توجه الحديث اليه وعادة ما تكون على هيئة ذم واهانات ، توجه الى المريض ، ثم يستطرد الدكتور عادل صادق العالم النفساني الكبير :

وقد يرد عليها ويدخل في حوار معها ، وقد تكون في شكل هلاوس بصرية فيرى المريض اشياء لا وجود لها في الحقيقة ... »

وهنا نمسك عن الكلام ، بعد ان استطلعنا رأي حكيم نفساني في اعراض مرض الفصام ، ويهمنا من هذا كله ان نستخلص : انه من الممكن ان يرى ،

ويسمع مريض الفصام اشياء لا وجود لها في الحقيقة ونستطيع لأجل ذلك ان نقول لهؤلاء الذين يرون رسول الله ﷺ علنا ، أو الذين يرون الخضر بشحمه ولحمه ، انتم في عرف الطب النفسي مرض بمرض الفصام ، وننصحكم بالعرض على طبيب اخصائي في الأمراض النفسية فإن لهلاوسكم عقاقير شافية عنده .

ونستطيع مطمئنين ان نبطل بذلك القول بالمكاشفة الذي ابتدعه الصوفيون ، وهذا ابطال علمي مقطوع به ، لا مرية فيه ولا افتراء .

ويتحدث سيجموند فرويد العلامة النفساني العالمي عن الهذيان وهو عرض نفسي كخطورته فقال : (**الهذيان اعتقاد مرضى ، في وقائع حقيقية ، أو في تصورات خيالية لا اساس لها من الواقع**)[1] ويحدثنا العالم النفساني البحاثة ، والذي انفق عمره كله في بحوث ، ودراسات علم النفس فيقول : عن الهلواس :

(هو ادراك حسي بدون موضوع خارجي ، وهو ينتج عن تجسيم ظواهر ذاتية تجسيما موضوعيا يتميز بما يلي) :

١ ـ للظاهرة صفة محسة (فالمريض يسمع ويرى ويحس كما لو كان ثمة منبه حقيقي)

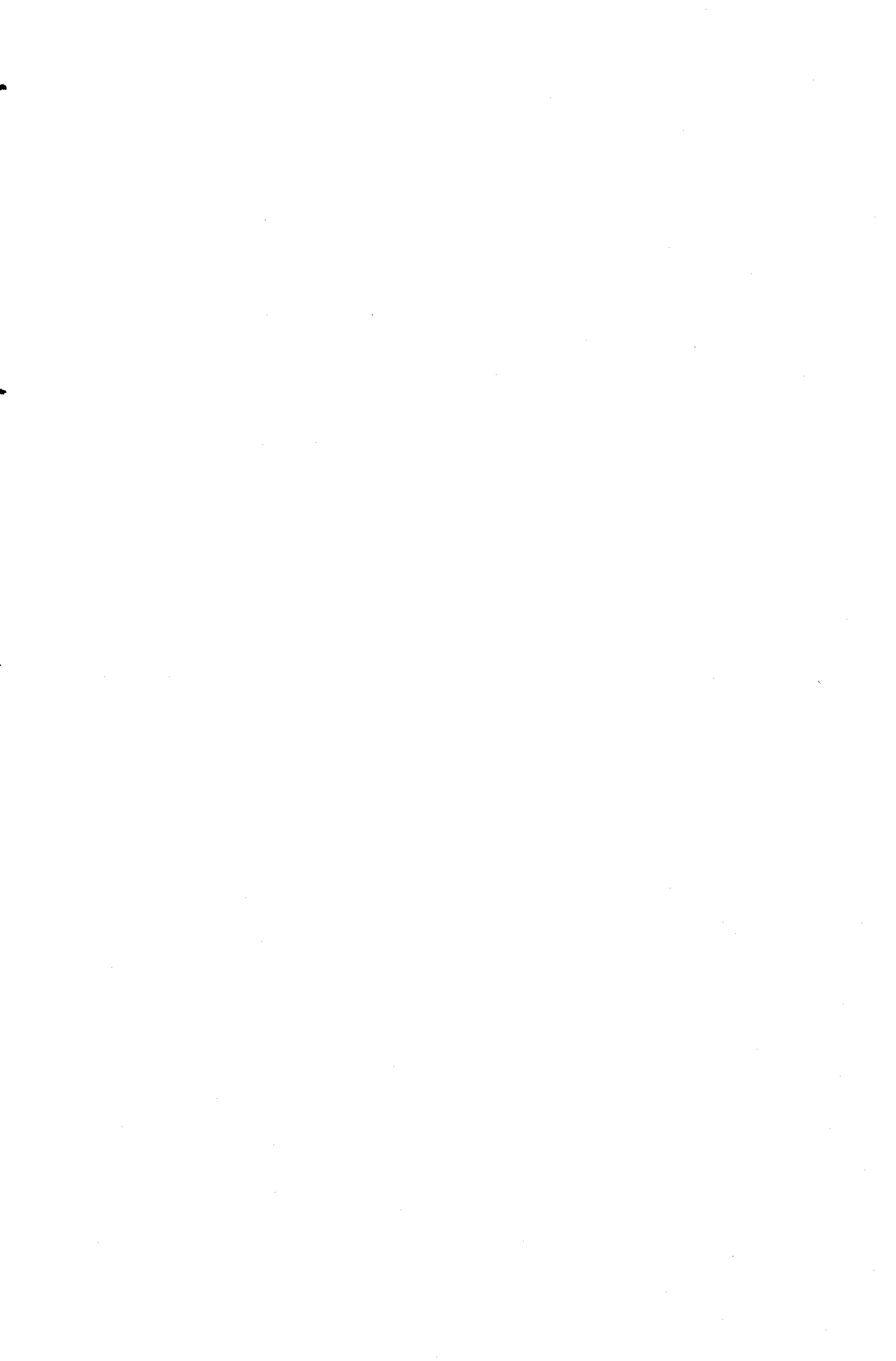
٢ ـ للظاهرة وجود مكاني (فالموضوع الهلواسي يسقطه المريض على لمكان الخارجي ، وفي اتجاه معين منه) .

---

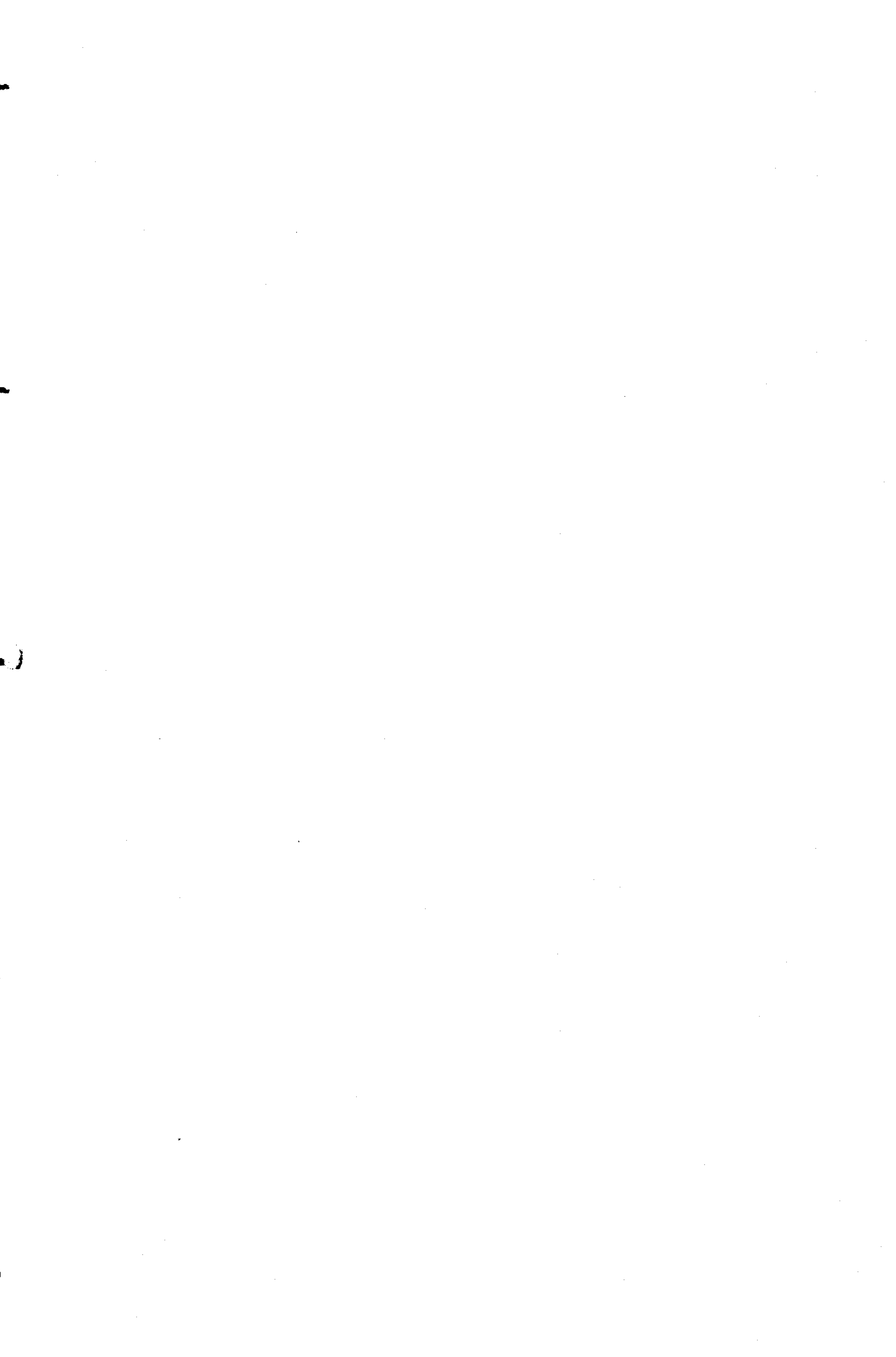
(١) الموجز في التحليل النفسي . تأليف سيجموند فرويد . ترجمة سامي محمود علي . وعبد السلام القفاش . وراجعه مصطفى زيور . طبعة دار المعارف طبعة ١٩٨٠ م . ص ١١٥ . ١١٦ . ١١٧ . بتصرف .

٣ ـ الإعتقاد الخاطيء في وجود منبه حسي .

ثم ينتهي بنا العالم النفساني الكبير الى نتيجة بالغة الأهمية فيقول : (ثم إن من الواجب ألا ننسى أن مثل هذا التحويل من الأفكار إلى الصور الحسية لا يقع في الأحلام وحدها ، بل يقع أيضا في الهلاوس ، والروئ التي تظهر ظهوراً اشبه بالمستقبل في حالات الصحة ، أو من حيث هي أعراض في حالة الأعصبة النفسية) .



- ١ -   - ٢ -   - ٣ -
علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين



درجات اليقين الصوفي

ومن تحديده لمبادىء الصوفية وتوضيحه الفرق بين علم اليقين ، وعين اليقين وحق اليقين بقوله : « الفرق بين علم اليقين ، وعين اليقين كالفرق بين الخبر الصادق والعيان ، وحق اليقين فوق هذا ، وقد مثلت المراتب الثلاث بمن أخبرك أن عنده عملا وأنت لا تشك في صدقه ، ثم أراك أياه ، فازددت يقينا ، ثم ذقت منه فالأول علم اليقين ، والثاني عين اليقين ، والثالث حق اليقين ، فعلمنا الآن بالجنة والنار علم يقين ، فاذا أزلفت الجنة في الموقف ، وشاهدها الخلائق ، وبرزت الجحيم ، وعاينها الخلائق فذلك عين اليقين ، فإذا أدخل أهلَ الجنة الجنة ، وأهل النار النار فذلك حينئذ حق اليقين »[1] .

أولياء الله في كتابه

وقد ذكر الله تعالى « أولياءه » المقتصدين والسابقين في « سورة فاطر » في قوله تعالى « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير ، جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير . وقالوا

---

(١) مدارج السالكين جـ٣ ص ٢٢٤ .

الحمدالله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور. الذي أحلنا دار المقامة من فضلة لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب » ـ الايات : ٣٢ ـ ٣٥ .

لكن هذه الأصناف الثلاثة في هذه الآية هم أمة محمد ﷺ خاصة كما قال تعالى : « ثم أورثنا الكتاب للذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو أفضل الكبير » .

وأمة محمد ﷺ : هم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمم المتقدمة وليس ذلك مختصا بحفاظ القرآن ، بل كل من آمن بالقرآن فهو من هؤلاء ، وقسمهم الى ظالم لنفسه ، ومقتصد ، وسابق .

بخلاف الآيات التي في « الواقعة والمطففين والانفطار » : فانه دخل فيها جميع الأمم المتقدمة كافرهم ومؤمنهم ، وهذا التقسيم لأمة محمد ﷺ ، فـ « الظالم لنفسه » أصحاب الذنوب المصرون عليها ، ومن تاب من ذنبه أي ذنب كان توبة صحيحة لم يخرج بذلك عن السابقين .

و« المقتصد » : المؤدي للفرائض المجتنب للمحارم .

و« السابق للخيرات » : هو المؤدي للفرائض والنوافل ، كما في تلك الآيات .

ومن تاب من ذنبه ـ أي ذنب كان ـ توبة صحيحة لم يخرج بذلك عن السابقين والمقتصدين كما في قوله تعالى : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم

وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » ـ آل عمران : ١٣٣ ـ ١٣٦ .

و« المقتصد » : المؤدي للفرائض المجتنب للمحارم .

و« السابق بالخيرات » : هو المؤدي للفرائض والنوافل كما في تلك الآيات .

وقوله : (جنات عدن يدخلونها) مما يستدل به أهل الجنّة على أنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد .

ليس من الولاية في شيء[1]

وكذلك من لا يصح إيمانه وعباداته وإن قدر إنه لا إثم عليه ، مثل أطفال الكفار ومن لم تبلغه الدعوة ـ وان قيل : انهم لا يعذبون حتى يرسل اليهم رسول فلا يكونون من أولياء الله الا اذا كانوا من المؤمنين المتقين .

فمن لم يتقرب إلى الله لا يفعل الحسنات ولا يترك السيئات لم يكن من أولياء الله .

وكذلك المجانين والأطفال ، فان النبي ﷺ قال : « رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون حتى يفيق ، وعن الصبي حتى يحتلم ، وعن النائم حتى يستيقظ » . وهذا الحديث قد رواه أهل السنن من حديث عليّ وعائشة رضي الله عنهما . واتفق أهل المعرفة على تلقيه بالقبول .

وأما المجنون الذي رفع عنه القلم فلا يصح شيء من عبادته باتفاق العلماء . ولا يصح منه ايمان ولا كفر ولا صلاة ولا غير ذلك من العبادات ، بل لا يصلح

---

(١) راجع أولياء الله وأولياء الشيطان لابن تيمية .

هو عند عامة العقلاء لأمور الدنيا كالتجارة والصناعة . فلا يصلح أن يكون بزازاً ولا عطارا ولا حداداً ولا نجاراً ، ولا تصح عقوده باتفاق العلماء . فلا يصح بيعه ولا شراؤه ولا نكاحه ولا طلاقه ولا اقراره ولا شهادته ولا غير ذلك من أقواله ، بل أقواله كلها لغو لا يتعلق بها حكم شرعي ، ولا ثواب ولا عقاب ، بخلاف الصبي المميز ، فان له اقوالا معتبرة في مواضع بالنص والاجماع ، وفي مواضع فيها نزاع .

وإذا كان المجنون لا يصح منه الايمان ولا التقوى ولا التقرب الى الله بالفرائض والنوافل ، وامتنع أن يكون وليا لله فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولى الله ، لا سيما أن تكون حجته على ذلك اما مكاشفة سمعها منه ، أو نوع من تصرف مثل أن يراه قد اشار الى واحد فمات أو صرع ، فانه قد علم أن الكفار والمنافقين ـ من المشركين وأهل الكتاب ـ لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية كالكهان والسحرة وعباد المشركين وأهل الكتاب ، فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص وليا لله ، وان لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله ، فكيف اذا علم منه ما يناقض ولاية الله ؟

مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي ﷺ باطنا وظاهرا بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة .

أو يعتقد أن لأولياء الله طريقا الى الله غير طريق الأنبياء عليهم السلام .

أو يقول : ان الأنبياء ضيقوا الطريق أو هم على قدرة العامة دون الخاصة ، ونحو ذلك مما يقوله بعض من يدعي الولاية فهؤلاء فيهم من الكفر ما يناقض الايمان ، فضلا عن ولاية الله عز وجل .

فمن احتج بما يصدر عن أحدهم من خرق عادة على ولايتهم ، كان أضل من اليهود والنصارى .

أولياء الله ملتزمون بالمنهج كالناس

وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات . فلا يتميزون بلباس دون لباس اذا كان كلاهما مباحا ، ولا يحلق شعر أو تقصيره أو ضفره اذا كان مباحا .

كما قيل : كم من صدّيق في قباء وكم من زنديق في عباء ، بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد ﷺ ، اذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم ، ويوجدون في أهل الجهاد والسيف ، ويوجدون في التجار والصناع والزراع .

وقد ذكر الله أصناف أمة محمد ﷺ في قوله تعالى : « ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه ... ـ المزمل : ٢٠ .

وليس شرطا أن يكون الولي معصوما[١]

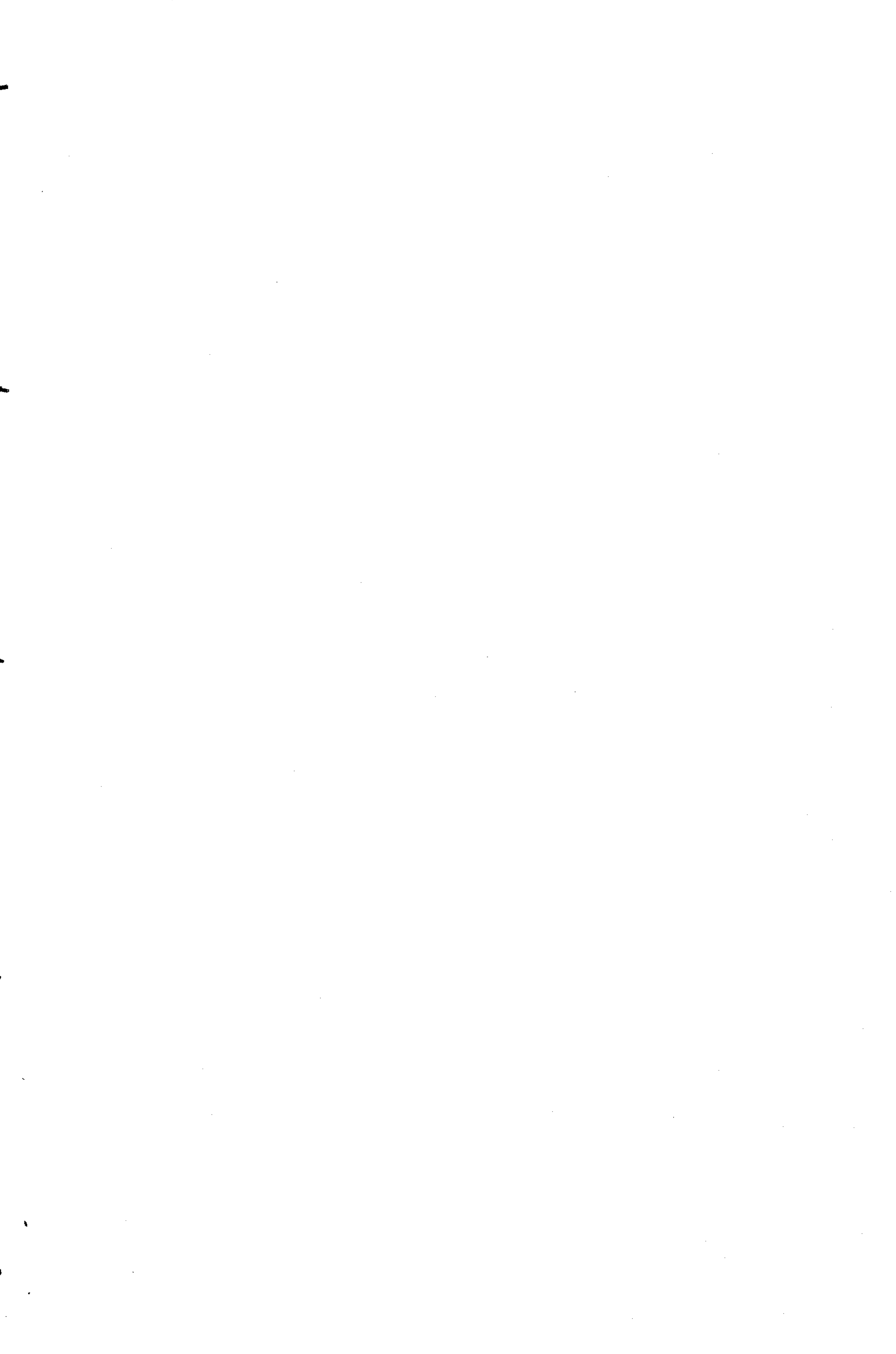
وليس من شرط ولي الله : أن يكون معصوما لا يغلط ولا يخطيء ، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين ، حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله به ومما نهى الله عنه .

---

(١) المرجع السابق بتصرف .

ويجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى ، وتكون من الشيطان لبسها عليه لنقص درجته ولا يعرف أنها من الشيطان ، وان لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى ، فان الله سبحانه وتعالى تجاوز هذه الأمة عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ، فقال تعالى : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ، لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما أكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ـ البقرة : ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .

معنى الولاية



تكذيب ابن تيمية لأحاديث الولاية

وقد روى أنه كان بها غلام للمغيرة بن شعبة ، وأن النبي ﷺ قال : « هذا واحد من السبعة » وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم وان كان قد رواه « أبو نعيم » في « الحلية » ، وكذا كل حديث يروى عن النبي ﷺ في عدة « ألأولياء » و« الأبدال » و « النقباء » و« النجباء » و« الأوتاد » و « الأقطاب » مثل أربعة أو سبعة أو أثنى عشر أو أربعين أو سبعين أو ثلاثمائة وثلاثة عشر ، أو « القطب الواحد » ، فليس في ذاك شيء صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ الا لفظ « الأبدال » . وروى فيهم حديث أنهم أربعون رجلا وأنهم بالشام وهو في « المسند » من حديث علي رضي الله عنه ، وهو حديث منقطع ليس بثابت .

ومعلوم أن عليا ومن معه من الصحابة كانوا أفضل من معاوية ومن معه بالشام فلا يكون أفضل الناس في عسكر معاوية دون عسكر علي .

وقد أخرجا في الصحيحين عن « أبي سعيد » عن النبي ﷺ أنه قال : « تمرق مارقة من الدين على حين فرقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفين بالحق » وهؤلاء المارقون هم « الخوارج الحرورية » الذين مرقوا لما حصلت الفرقة بين المسلمين في خلافة علي ، فقتلهم علي بن أبي طالب وأصحابه ، فدل هذا الحديث الصحيح على أن علي بن أبي طالب أولى بالحق من معاوية وأصحابه ، وكيف يكون « الأبدال » في أدنى العسكرين دون أعلاهما ؟ .

وكذلك ما يرويه بعضهم عن النبي ﷺ : أنه أنشد منشد :

قد لسعت حية الهوى كبدي ... فلا طبيب لها ولا راقي
إلا الحبيب الذي شغفت به ... فعنده رقيتي وترياقي

وأن النبي ﷺ تواجد حتى سقطت البردة عن منكبه فانه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث .

وأكذب منه ما يرويه بعضهم : « أنه مزق ثوبه ، وأن جبريل أخذ قطعة منه فعلقها على العرش » ، فهذا وأمثاله مما يعرف أهل العلم والمعرفة برسول الله ﷺ أنه من أظهر الأحاديث كذبا عليه ﷺ .

وكذلك ما يروونه عن عمر رضي الله عنه أنه قال : « كان النبي ﷺ وأبو بكر يتحدثان وكنت بينهما كالزنجي » ، وهو كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث[1] .

والمقصود هنا أن فيمن يقر برسالته العامة في الظاهر من يعتقد في الباطن ما يناقض ذلك فيكون « منافقا » وهو يدعي في نفسه وأمثاله أنهم أولياء الله مع كفرهم في الباطن بما جاء به رسول الله ﷺ أما عناداً وأما جهلاً .

كما أن كثيراً من النصارى واليهود يعتقدون أنهم أولياء الله ، وان محمداً رسول الله ، ولكن يقولون انما أرسل الى غير أهل الكتاب وأنه لا يجب علينا اتباعه ، لأنه أرسل الينا رسلا قبله ، فهؤلاء كلهم كفار مع أنهم يعتقدون في طائفتهم أنهم أولياء الله ، وانما أولياء الله الذين وصفهم الله تعالى بولايته بقوله :

---

(١) راجع الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للإمام الشوكاني وكذلك كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للإمام العجلوني .

« إلا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون » ـ يونس : ٦٢ ـ ٦٣ .

خاتم الأنبياء وخاتم الأولياء

وقول القائل : أنه نقيب الأولياء . فيقال له من ولاه النقابة ، وأفضل الأولياء أصحاب محمد ﷺ ؟ وليس فيهم الخضر. وعامة ما يحكى في هذا الباب من الحكايات بعضها كذب ، وبعضها مبني على ظن رجل : مثل شخص رأى رجلاً ظن أنه الخضر ، وقال : أنه الخضر ، كما أن الشيعة ترى شخصاً تظن أنه الامام المنتظر المعصوم ، أو تدعي ذلك ، وروى عن الامام أحمد بن حنبل أنه قال ـ وقد ذكر له الخضر ـ من أحالك على غائب فما أنصفك . وما ألقى هذا على ألسنة الناس الا الشيطان . وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع .

وأما ان قصد القائل بقوله « القطب الغوث الفرد الجامع » انه رجل يكون أفضل أهل زمانهفهذا ممكن ، لكن من الممكن أيضا أن يكون في الزمان اثنان متساويان في الفضل ، وثلاثة وأربعة ، ولا يجزم بان لا يكون في كل زمان أفضل الا واحداً ، وقد تكون جماعة بعضهم أفضل من بعض من وجه دون وجه ، وتلك الوجوه اما متقاربة واما متساوية .

ثم اذا كان في الزمان رجل هو أفضل أهل الزمان فتسميته « بالقطب الغوث الجامع » بدعة ما أنزل الله بها من سلطان . ولا تكلم بهذا أحد من سلف الامة وأئمتها ، وما زال السلف يظنون في بعض الناس أنه أفضل أو من أفضل أهل زمانه ولا يطلقون عليه هذه الاسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان . لا سيما أن من الشيعة من يدعي أن أول الأقطاب هو الحسن بن علي بن أبي

طالب ـ رضي الله عنهما ـ ثم يتسلل الامر الى ما دونه الى بعض مشايخ المتأخرين . وهذا لا يصح لا على مذهب أهل السنة ، ولا على مذهب الإمامة . فأين أبا بكر وعمر وعثمان وعلي والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار؟ والحسن عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد قارب سن التمييز والاحتلام .

وقد حكى عن بعض الاكابر من الشيوخ المنتحلين لهذا : ان « القطب الفرد الغوث الجامع » ينطبق عمله على علم الله تعالى وقدرته على قدرة الله تعالى . فيعلم ما يعلمه الله . ويقدر على ما يقدر عليه الله . وزعم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان كذلك ، وان هذا انتقل عنه الى الحسن ، وتسلسل الى شيخه . فبينت ان هذا كفر صريح ، وجهل قبيح ، وان دعوى هذا في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كفر، دع ما سواه ، وقد قال الله تعالى : « قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول اني ملك » وقال تعالى : « قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم .

وكما جعل الله للنبيين خاتماً ، جعل الصوفية للأولياء خاتماً ، والعنكبوت الأول الذي سال لعابه بهذه الاسطورة هو الحكيم الترمذي[1] ، وقال السلمي : « نفوه من ترمذ ، وشهدوا عليه بالكفر بسبب تصنيفه كتاب « ختم الولاية » وقال أنه يقول : « أن للأولياء خاتماً ، كما أن للأنبياء خاتما ، وأنه يفضل الولاية على النبوة[2] » ويقول ابن تيمية عنه : « في كلامه من الخطأ ما يجب رده ، ومن أشنعها ما ذكره في ختم الولاية ، مثل دعواه فيه أنه يكون في المتأخرين من درجته عند الله أعظم من درجه أبي بكر وعمر وغيرهما ، ومنها ما ادعاه

---

(١) هو غير صاحب السنن . فهو محمد بن علي بن الحسن بن بشير أو « بشر » الترمذي الملقب بالحكيم عاش إلى حدود ٣٢٠ هـ .

(٢) ص ١٧٠ جـ٢ مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة طبع الهند .

من خاتم الأولياء الذي يكون في آخر الزمان ، وتفضيله وتقديمه على من تقدم من الأولياء ، وأنه يكون معهم كخاتم الأنبياء مع الأنبياء[1] » .

وتوالت عناكب الصوفية على هذه الأسطورة ، حتى قتلت بها ذبابا من الخلق كثيراً . قال ابن عربي ـ وهو يتحدث عن علم وحدة الوجود : « وليس هذا العلم الا لخاتم الرسل ، وخاتم الأولياء ! وما يراه أحد من الأنبياء ، أو الرسل الا من مشكاة الرسول خاتم ، ولا يراه أحد من الأولياء الا من مشكاة الولي الخاتم ، حتى ان الرسل لا يرونه ـ متى رأوه ـ الا من مشكاة خاتم الأولياء ، فان الرسالة والنبوة أعني نبوة التشريع ـ تنقطعان ، والولاية لا تنقطع أبدا ، فالمرسلون من كونهم أولياء ، لا يرون ما ذكرناه الا من مشكاة خاتم الأولياء[2] »

تفضيل خاتم الأولياء على خاتم النبيين[3]

زعم ابن عربي في النص الذي نقلته عنه آنفا أن الرسل لا يستمدون أشرف علومهم الا من خاتم الأولياء ، وهذا يستلزم تفضيل الولي الخاتم على الرسل بعامة .

لماذا فضل خاتم الأولياء ؟[4]

يقول ابن تيمية : « ثم صاحب الفصوص وأمثاله ، بنوا الأمر على أن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة ، والنبي يأخذ بواسطة الملك ، فلهذا صار خاتم

(١) ص ٧٩ وما بعدها رسالة حقيقة مذهب الإتحادين لشيخ الإسلام ابن تيمية .

(٢) ص ٦٢ جـ ١ .

(٣) هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل .

(٤) المرجع السابق نفسه .

الأولياء أفضل عندهم من هذه الجهة[1] » وابن تيمية في فهمه الدقيق ، ووعيه الكامل وأمانته التي تستعصي على التهم يقرر الحق في قوله ، فقد نقلت لك عن ابن عربي ما يؤيد الحق الذي قرره ابن تيمية . وها هو البسطامي يقول لأهل الشريعة : « أخذتم علمكم ميتا عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت[2] » ويقول : « خضنا بحرا ، وقف الأنبياء بساحله[3] » وقال ابن عربي : علماء الرسوم ـ يعني أهل الشريعة ـ يأخذون خلفا عن سلف الى يوم القيامة ، فيبعد النسب ، والأولياء يأخذون عن الله ، ألقاه في صدورهم من لدنه رحمه منه ، وعناية سبقت لهم عند ربهم » يعني أن اتباع الشريعة الاسلامية ، انما يأخذونها عن أناس طواهم الموت ، أما الصوفيه ، فلهم الصلات المباشرة مع الله ، يأخذون عنه من غير واسطة ملك أو نبي أو رسول ! وبهذا كفروا بشريعه محمد ، ومهدوا لأتباعهم الكفر بشريعة محمد ﷺ .

في أن كرامات أولياء الله انما حصلت باتباع الرسول ﷺ .

« وكرامات » أولياء الله انما حصلت ببركة اتباع رسوله ﷺ فهي في الحقيقة تدخل في كمعجزات الرسول ﷺ ، مثل : انشقاق القمر وتسبيح الحصا في كفه ، واتيان الشجر اليه ، وحنين الجذع اليه ، واخباره ليلة المعراج بصفة بيت المقدس ، واخباره بما كان وما يكون ، واتيانه بالكتاب العزيز ، وتكثير الطعام والشراب مرات كثيرة ، كما أشبع في الخندق العسكر من قدر طعام وهو لم ينقص ، في حديث « أم سلمة » المشهور ، وأروى العسكر في غزوة خيبر من مزادة ماء ولن تنقص ، وملأ أوعية العسكر عام تبوك من طعام قليل ولم ينقص وهم نحو ثلاثين ألفا ، ونبع الماء من بين أصابعه مرات عديدة

---

(١) ص ٦٤ رسالة حقيقة مذهب الاتحاديين .

(٢ . ٤) ص ٢٤٦ الكواكب الدرية للمناوي .

(٣) ومعنى هذا ان الأولياء اكرم من الانبياء .

حتى كفى الناس الذين كانوا معه ، كما كانوا في غزوة الحديبية نحو ألف وأربعمائة أو خمسمائة ، ورده لعين أبي قتادة حين سالت على خده فرجعت أحسن عينيه ، ولما أرسل محمد بن سلمة لقتل كعب بن الأشرف فوقع وأنكسرت رجله فسحها فبرئت ، وأطعم من شواءمائه وثلاثين رجلا كلا منهم حزله قطعة وجعل منها قطعتين فأكلوا منها جميعهم ، ثم فضل فضله ، ودين عبدالله أبي جابر لليهودي وهو ثلاثون وسقا .

قال جابر : فأبي صاحب الدين أن يأخذ النمو جميعه بالذي كان له فلم يقبل ، فمشى رسول الله ﷺ ثم قال لجابر جد له فوفاه الثلاثين وسقا وفضل سبعة عشر وسقا ، ومثل هذا كثير قد جمعت نحو ألف معجزة .

وذكر « أولياء الشيطان » فقال تعالى : « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون » ـ النحل : ٩٨ ـ ١٠٠ .

وقال تعالى : « الذين يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان أن كيد الشيطان كان ضعيفا » ـ النساء : ٧٦ .

وقال تعالى : « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه افتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا » ـ الكهف : ٥٠ .

وقال تعالى : « ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسرخسرانا مبينا » ـ النساء : ١١٩ .

وقال تعالى : « الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمه من الله وفضل لم

يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . انما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين » ــ آل عمران : ١٧٣ ــ ١٧٥ .

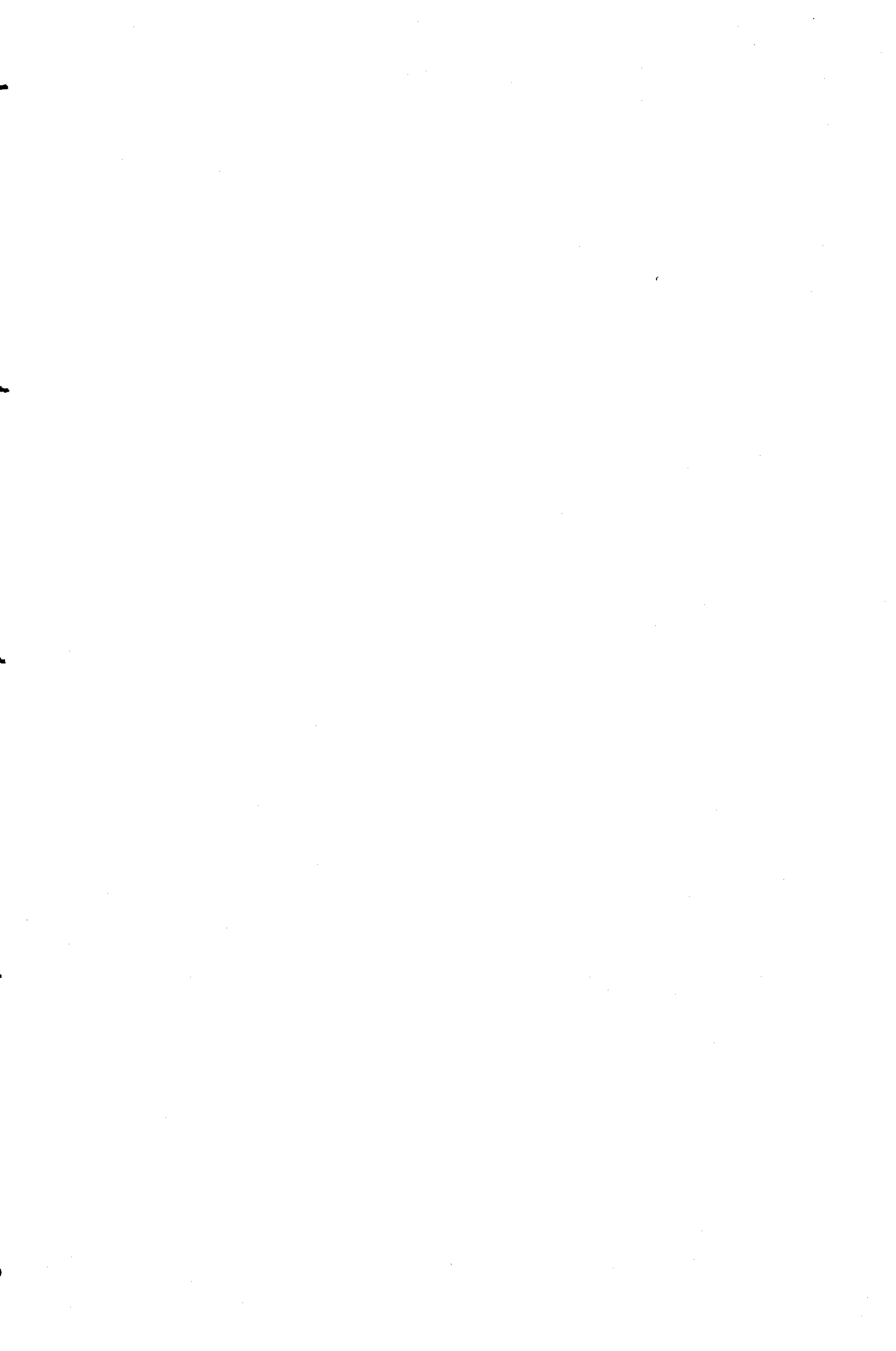
وقال تعالى : « انا جعلنا الشيــاطين أولياء للذين لا يؤمنون اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا « الى قوله » انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون » ــ الأعراف : ٢٧ .

وقال تعالى : « وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم » ــ الأنعام : ١٢١ .

وقال الخليل عليه السلام : « يا أبت اني اخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشياطين وليا » ــ مريم : ٤٥ .

وقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة « الآيات ، الى قوله : « انك أنت العزيز الحكيم » . ــ الممتحنة : ١ ــ ٥ .

أولياء الله وأولياء الشيطان



الولاية والأولياء

واذا عرف أن الناس فيهم « أولياء الرحمن » و« أولياء الشيطان » فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء ، كما فرق الله ورسوله بينهما .

« فأولياء الله » هم المؤمنون المتقون . كما قال تعالى : « الا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون » ـ يونس : ٦٢ ـ ٦٣ .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ـ أو فقد آذنته بالحرب ـ وما تقرب الى عبدي بمثل اداء ما أفترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي . ولئن سألني لأعطيته ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه » .

وهذا أصح حديث يروى في الأولياء فبيّن النبي ﷺ أنه من عادي وليا لله فقد بارز الله بالمحاربة .

وفي حديث آخر : « واني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرب » أي آخذ ثأرهم ممن عاداهم كما يأخذ الليث الحرب ثأره . وهذا لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه ، فأحبوا ما يحب وأبغضوا ما يبغض ، ورضوا بما يرضى وسخطوا بما يسخط ، وأمروا بما يأمر ونهوا عما نهى ، وأعطوا لما يحب أن يعطى ، ومنعوا من يجب أن يمنع كما في الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : « أوثق عرف الايمان الحب في الله والبغض في الله » .

وفي حديث آخر رواه أبو داود قال : « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله فقد استكمل الايمان » .

و« الولاية » ضد العداوة ، وأصل الولاية « المحبة والقرب » .

وأصل « العداوة » البغض والبعد .

وقد قيل : ان « الولي » سمي وليا من موالاته للطاعات أي متابعته لها . والأول أصح . والولي القريب . فيقال : هذا يلي هذا أي يقرب منه . ومنه قوله ﷺ « ألحقوا الفرائض بأهلها فما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذكر » أي لأقرب رجل الى الميت ، وأكده بلفظ « الذكر » ليبين أنه حكم يختص بالذكور ، ولا يشترك فيها الذكور والاناث كما قال في الزكاة « فابن لبون ذكر » .

فاذا كان « ولي الله » هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ويبغضه . ويسخطه ويأمر به وينهي عنه كان المعادي لوليه معاديا له ، كما قال تعالى : (لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة) ـ الممتحنة : ١ .

فمن عادى أولياء الله فقد عاداه ، ومن عاداه فقد حاربه ، فلهذا قال : « من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة » .

الأنبياء أولياء الله

وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم ، وأفضل المرسلين أو لو العزم : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وعليهم وسلم قال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ـ الشورى ١٣ .

وقال تعالى : « واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا . ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما » ـ الأحزاب : ٧ ـ ٨ .

فبين سبحانه أن المشركين ليسوا أولياءه ولا أولياء بيته ، انما أولياؤه المتقون .

وثبت في « الصحيحين » عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول جهارا من غير سر : « ان آل فلان ليسوا لي بأولياء ـ يعني طائفة من أقاربه ـ انما وليي الله وصالح المؤمنين » وهذا موافق لقوله تعالى : « فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين » الآية ـ التحريم : ٤ . « وصالح المؤمنين » هو من كان صالحا من المؤمنين ، وهم المؤمنون المتقون أولياء الله . ودخل في ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وسائر أهل « بيعة رضوان » الذين بايعوا تحت الشجرة ، وكانوا ألفا وأربعمائة ، وكلهم في الجنة كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة » ومثل هذا الحديث الآخر : « أن أوليائي المتقون أيا كانوا وحيث كانوا » .

وما علامات أولياء الشيطان

فاذا كان الشخص مباشرا للنجاسات والخبائث التي يحبها الشيطان ، أو يأوى الى الحمامات والحشوش التي تحضرها الشياطين ، أو يأكل الحيات والعقارب والزنابير ، وآذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق ، أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان ، أو يدعو غير الله فيستغيث بالمخلوقات ويتوجه اليها ، أو يسجد الى ناحية شيخه ، ولا يخلص الدين لرب العالمين ، أو يلابس الكلاب أو الفئران أو يأوى الى المزابل وللمواضع النجسة ، أو يأوى الى المقابر ، ولا سيما الى مقابر الكفار من اليهود والنصارى أو المشركين ، أو يكره سماع القرآن وينفر عنه ويقدم عليه سماع الأغاني والأشعار ، ويؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن ، فهذه علامات أولياء الشيطان ولا علامات أولياء الرحمن .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : لا يسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن ، فان كان يحب القرآن فهو يحب الله ، وان كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله ، وقال عثمان بن غفان رضي الله عنه : لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله عز وجل .

وقال ابن مسعود : الذكر ينبت الايمان في القلب كما ينبت الماء البقل ، والغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل .

في طرف من كرامات الصحابة والتابعين[1]

وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جدا ، مثل : لما كان « أسيد بن حضير » يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج وهي الملائكة نزلت لقراءته .

وكانت الملائكة تسلم على « عمران بن حصين » .

وكان (لسلمان) و« أبو الدرداء » يأكلان في صفحة ، فسبحت الصفحة أو سبح ما فيها .

و« عباد بن بشر» و« أسيد بن حضير» خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة فأضاء لهما نور مثل طرف السوط فلما افترقا افترق الضوء معهما » . رواه البخاري وغيره .

وقصة « الصديق » في الصحيحين لما ذهب بثلاثة أضياف معه الى بيته وجعل لا يأكل لقمة الا ربا من أسفلها أكثر منها فشبعوا وصارت أكثر مما هي قبل ذلك فنظر اليها « أبو بكر» وامرأته فاذا هي أكثر مما كانت ، فرفعها الى رسول الله ﷺ ، وجاء اليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا .

و« حبيب بن عدي » كان أسيراً عند المشركين بمكة شرفها الله تعالى ، وكان يؤتي بعنب يأكله وليس بمكة عنبه .

و« عامر بن فهيرة » قتل شهيداً فالتمسوا جسده فلم يقدروا عليه ، وكان لما قتل رفع فرآه « عامر بن الطفيل » وقد رفع ، وقال : عروة ، فيروون أن الملائكة رفعته .

---

(١) لشيخ الإسلام ابن تيمية بتصرف .

وخرجت « أم أيمن » مهاجرة وليس معها زاداً ولا ماء ، فكادت تموت من العطش . فلما كان وقت الفطر كانت صائمة سمعت حسا على رأسها فرفعته فاذا دلو معلق فشربت منه حتى رويت ، وما عطشت بقية عمرها .

و« سفينة » مولى رسول الله ﷺ أخبر الأسد بأنه رسول رسول الله ﷺ فمشى معه الأسد حتى أوصله مقصده .

و« البراء بن مالك » كان اذا اقسم على الله تعالى أبر قسمه ، وكان الحرب اذا اشتد على المسلمين في الجهاد يقولون : يا براء ! اقسم على ربك ، فيقول : يا رب ! اقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم فيهزم العدو ، فلما كان يوم « القادسية » قال : أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد ، فمنحوا أكتافهم ، وقتل « البراء » شهيداً .

و« خالد بن الوليد » حاصر حصنا منيعا فقالوا : لا نسلم حتى تشرب السم ، فشربه فلم يضره .

و« سعد بن أبي وقاص » كان مستجاب الدعوة ، ما دعا قط الا استجيب له ، وهو الذي هزم جنود كسرى وفتح العراق .

و« عمر بن الخطاب » لما أرسل جيشاً أمر عليهم رجلا يسمى « سارية » فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل ، فقدم رسول الجيش فقال : يا أمير المؤمنين لقينا عدوا فهزمونا فاذا بصائح : يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل ، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله .

ولما عذبت « الزبيرة » على الاسلام في الله فأبت الا الاسلام وذهب بصرها . قال المشركون : أصاب بصرها اللات والعزي ، قالت : كلا والله ، فرد الله عليها بصرها .

ودعا « سعيد بن زيد » على « أروى بنت الحكم » فأعمى بصرها لما كذبت عليه ، فقال : اللهم ان كانت كاذبة فأعم بصرها ، واقتلها في أرضها ، فعميت ووقعت في حفرة من أرضها فماتت .

و « العلاء بن الحضرمي » كان عامل رسول الله ﷺ علي .

أهل الأحوال الشيطانية[1]

وهذا بخلاف الأحوال الشيطانية مثل حال « عبدالله بن صياد » الذي ظهر في زمن رسول الله ﷺ حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال لكنه كان من جنس الكهان قال له النبي ﷺ قد خبأت لك خبئا قال : الدخ الدخ . وقد كان خبأ له سورة الدخان ، فقال له النبي ﷺ « اخسأ فلن تعدو قدرك » يعني انما أنت من اخوان الكهان .

والكهان كان يكون لأحدهم القرين من الشياطين يخبره بكثير من المغيبات بما يسترقه من السمع ، وكانوا يخلطون الصدق بالكذب ، كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال : « ان الملائكة تنزل في العنان ـ وهو السحاب ـ فتذكر الامر قضي في السماء ، فتسترق الشياطين السمع فتوجيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم » .

وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « بينما النبي ﷺ في نفر من الأنصار اذ رمى بنجم فاستنار فقال النبي ﷺ : ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية اذا رأيتموه ؟ قالوا : كنا نقول يموت عظيم أو

---

(١) هكذا سماهم ابن تيمية .

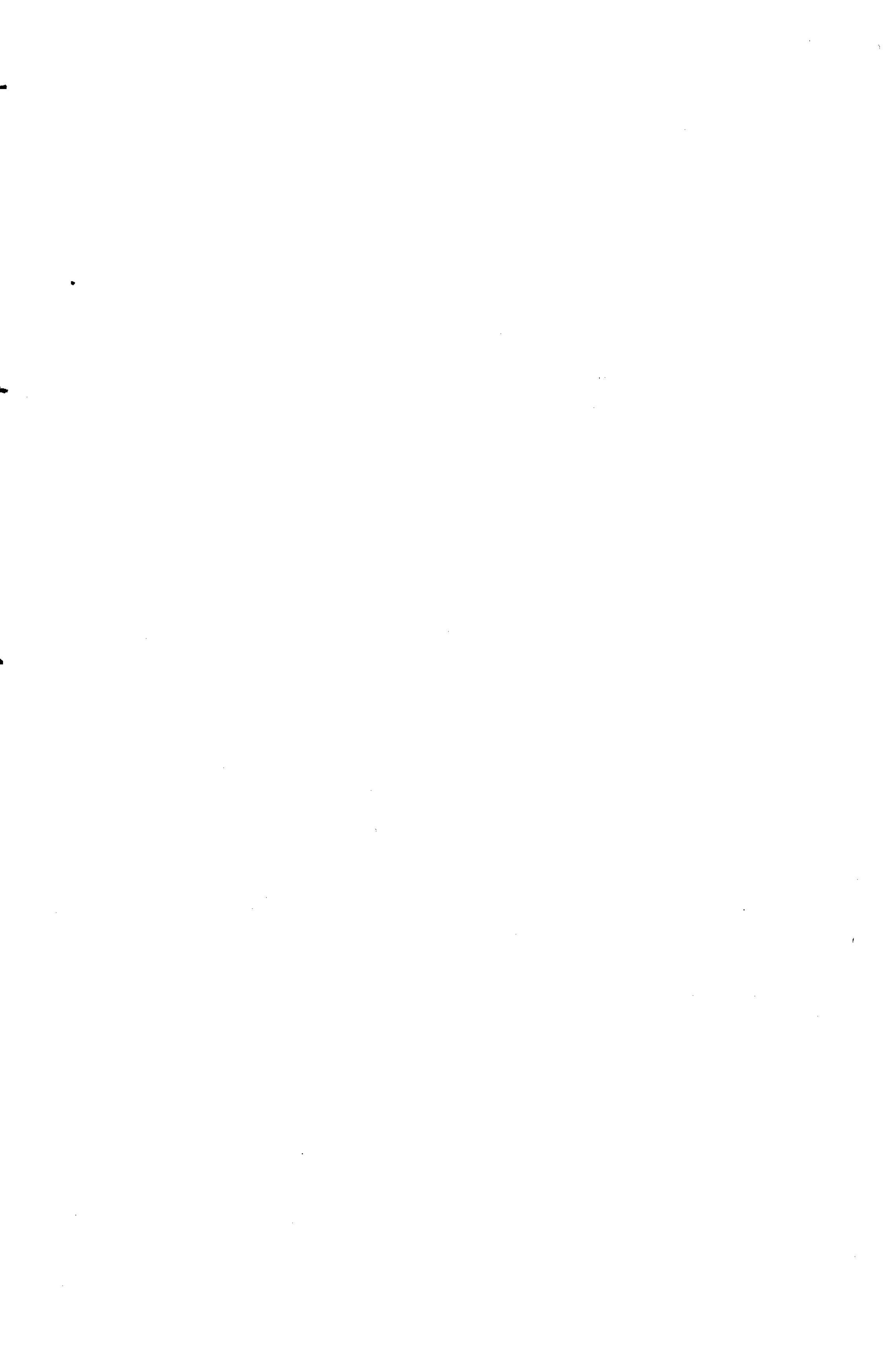
يولد عظيم . قال رسول الله ﷺ : فانها لا يرمي بها الموت أحد ولا لحياته ، ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى أمرا سبح حملة العرش ، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ، ثم الذين يسلونهم ، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء ، ثم يسأل أهل السماء السابعة حملة العرش ماذا قال ربنا ؟ فيخبرونهم ، ثم يستخبر أهل كل سماء حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا ، وتخطف الشياطين السمع فيرمون فيقذفونه الى أوليائهم فما جاء وابه على وجهه فهو حق ولكنهم يزيدون » .

وفي رواية قال « معمر » قلت « المزهري » : أكان يرمي بها في الجاهلية قال : نعم . ولكنها غلظت حين بعث النبي ﷺ .

و« الاسود العنسي » الذي ادعى النبوة كان له من الشياطين من يخبره ببعض الامور المغيبة ، فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه : حتى أعانتهم عليه امرأة لما تبين لها كفره فقتلوه .

وكذلك « مسيلمة الكذاب » كان معه من الشياطين من يخبره بالمغيبات ويعينه على بعض الامور ، وأمثال هؤلاء كثيرون مثل « الحارث الدمشقي » الذي خرج بالشام زمن « عبد الملك بن مروان » وادعى النبوة ، وكانت الشياطين يخرجون رجليه من القيد ، وتمنع السلاح أن ينفذ فيه .

رأي ابن تيمية في كرامات الأولياء



فتنة الكرامات

وكم اغتر قوم بما يشبه الكرامات فقد روينا باسناد عن حسن عن أبي عمران قال : قال لي فرقد . يا أبا عمران قد أصبحت اليوم وأنا مهتم بضريبتي وهي ستة دراهم وقد أهل الهلال وليست عندي فدعوت فبينما أنا أمشي على شط الفرات اذا أنا بستة دراهم فأخذتها فوزنتها فاذا هي ستة لا تزيد ولا تنقص . فقال تصدق بها فانها ليست لك . قلت : ابو عمران هو ابراهيم النخعي فقيه أهل الكوفة فانظروا الى كلام الفقهاء وبعد الاغترار عنهم ، وكيف أخبره أنها لقطة ولم يلتفت الى ما يشبه الكرامة . وانما لم يأمره بتعريفها لأن مذهب الكوفيين أنه لا يحب التعريف لما دون الدينار. وكأنه انما أمره بالتصدق بها لئلا يظن أنه قد أكرم بأخذها وانفاقها . وباسناد عن ابراهيم الخراساني أنه قال أحتجت يوما الى الوضوء فاذا أنا بكوز من جوهر وسواك من فضة رأسه ألين من الخز فاستكت بالسراك وتوضأت بالماء وتركتهما وانصرفت . قلت : في هذه الحكاية من لا يوثق بروايته فان صحت دلت على قلة علم هذا الرجل اذ لو كان يفهم الفقة علم أن استعمال السواك الفضة لا يجوز ولكن قل علمه فاستعمله . وان ظن أنه كرامة والله تعالى لا يكرم بما يمنع من استعماله شرعا الا أن أظهر له ذلك على سبيل الامتحان وذكر محمد بن أبي الفضل الهمذاني المؤرخ قال حدثني أبي قال كان السرمقاني المقري يقرأ على ابن العلاف وكان يأوى الى المسجد بدرب الزعفراني واتفق أن ابن العلاف رآه ذات يوم في وقت مجاعه وقد نزل الى دجلة وأخذ منه أوراق الخس مما يرمي به أصحابه وجعل

يأكله فشق ذلك عليه وأتى الى رئيس الرؤساء فأخبره بحاله فتقدم الى غلام بالقرب من المسجد الذي يأوى اليه السرمقاني أن يعمل لبابه مفتاحا من غير أن يعلمه ففعل وتقدم اليه أن يحمل كل يوم ثلاثة أرطال خبزا سميداً ومعها دجاجة وحلوى سكرا ففعل الغلام ذلك وكان يحمله على الدوام . فأتى السرمقاني في أول يوم فرأى ذلك مطروحا في القبلة ورأى الباب مغلقا فتعجب . وقال في نفسه : هذا من الجنة ويجب كتمانه وأن لا أتحدث به فان من شرط الكرامة كتمانها وأنشدني :

من أطلعوه على سر فباح به   لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

فلما استوت حالته وأخصب جسمه سأله ابن العلاف عن سبب ذلك وهو عارف به وقصد المزاح معه ، فأخذ يوري ولا يصرح ويكني ولا يفصح . ولم يزل ابن العلاف يستخبره حتى أخبره أن الذي يجده في المسجد كرامة لاذ لا طريق لمخلوق عليه . فقال له ابن العلاف . يجب أن تدعو لابن المسلمة فانه هو الذي فعل ذلك . فنغص عيشه بأخباره وبانت عليه شواهد الانكسار.

فما جاء هذا الوحش وبرك بين يديك أزعجك وأبكاك . فقال : نعم رأيت اجتماعكم حولي وقد طابت قلوبكم فوقع في قلبي لو أن شاة ذبحتها ودعوتكم عليها . فما نحكم هذا الخاطر حتى جاء هذا الوحش فبرك بين يدي فخيل لي أني مثل فرعون الذي سأل ربه أن يجري له النيل فأجراه ، قلت فما يؤمنني أن يكون الله تعالى يعطيني كل حظ لي في الدنيا وأبقى في الآخرة فقيراً لا شيء لي . فهذا الذي ازعجني .

رأي ابن تيمية في الزيارة ومناقشته

أحاديث زيارة قبره موضوعة

يقول ابن تيمية : « والاحاديث الكثيرة المروية في زيارة قبره كلها ضعيفة[1] . بل موضوعة » إذ لم يرو الأئمة ولا أهل السنن المتبعة ـ كسنن أبي داود والنسائي ونحوهما ـ فيها شيئا . ولكن جاء لفظ زيارة القبور في غير هذا الحديث : مثل قوله ﷺ : « نهيكم عن زيارة القبور. الا فزوروها ، فانها تذكركم الآخرة » وكان ﷺ يعلم أصحابه اذا زاروا القبور أن يقول أحدهم : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وانا شاء الله بكم لاحقون ، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية » .

ولكن صار لفظ « زيارة القبور» في عرف كثير من المتأخرين يتناول : « الزيارة المبدعية ، والزيارة الشرعية » واكثرهم لا يستعملونها الا بالمعنى البدعي ،لا الشرعي ، فلهذا كره هذا الاطلاق .

فاما « الزيارة الشرعية » فهي من جنس الصلاة على الميت : يقصد بها الدعاء للميت . كما يقصد بالصلاة عليه ، كما قال الله في حق المنافقين : (ولا تصل على أحد منهم مات ابدا ، ولا تقم على قبره) فلما نهى عن الصلاة على المنافقين والقيام على قبورهم : دل ذلك بطريق مفهوم الخطاب وعلة الحكم ان ذلك مشروع في حق المؤمنين . والقيام على قبره بعد الدفن هو من جنس الصلاة

---

(1) قال ابن تيمية في الزيارة (الزيارة إسم شرعي أساء فهمه الناس) وقد صدق في ذلك .

عليه قبل الدفن يراد به الدعاء له . وهذا هو الذي مضت به السنة ، واستحبه السلف عند زيارة قبور الانبياء والصالحين .

وأما « الزيارة البدعية » فهي من جنس الشرك والذريعة اليه ، كما فعل اليهود والنصارى عند قبور الانبياء والصالحين ، قال ﷺ في الاحاديث المستفيضة عنه في الصحاح والسنن والمسانيد : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » ، يحذر ما صنعوا قال : « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجدا ، الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك » وقال : « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد » وقال : « لعن الله زوارات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج » فاذا كان قد لعن من يتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد امتنع أن يكون تحريها للدعاء مستحبا ، لأن المكان الذي يستحب فيه الدعاء يستحب فيه الصلاة ، لأن الدعاء عقب الصلاة أجوب . وليس في الشريعة مكان ينهى عن الصلاة عنده مع أنه يستحب الدعاء عنده .

وقد نص الأئمة كالشافعي وغيره على أن النهي عن ذلك معلل بخوف الفتنة بالقبر ، لا بمجرد نجاسته ، كما يظن بعض الناس ، ولهذا كان السلف يأمرون بتسوية القبور وتعفيه ما يفتتن به منها ، كما امر عمر بن الخطاب بتعفيه قبر دانيال لما ظهر بتستر فانه كتب اليه أبو موسى يذكر أنه قد ظهر قبر دانيال ، وانهم كانوا يستسقون به فكتب اليه عمر يأمره ان يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبرا ثم يدفنه بالليل في واحد منها ويعفيه لئلا يفتتن به الناس .

والذي ذكرناه عن مالك وغيره من الأئمة كان معروفا عند السلف ، كما رواه أبو يعلى الموصلي في « مستنده » وذكره الحافظ أبو عبدالله المقدسي في « مختاره »[1] عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ المعروف بزين

(١) راجع الزيارات لابن تيمية .

العابدين ـ أنه رأى رجلا يجيء الى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه ، فقال : الا احدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ ؟ قال : « لا تتخذوا قبرا عيدا ، ولا بيوتكم قبورا ، فان تسليمكم يبلغني أينما كنتم » وهذا الحديث في سنن أبي داود من حديث أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ « لا تجعلوا بيوتكم قبورا ، ولا تجعلوا قبري عيدا ، وصلوا عليّ ، فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم » وفي سنن سعيد بن منصور : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، اخبرني سهيل ، قال : رآني الحسن بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عند القبر ، فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى ، فقال : هلم الى العشاء ، فقلت : لا اريده ، فقال : مالي رأيتك عند القبر؟ ؟ فقلت : سلمت على النبي ﷺ . فقال : اذا دخلت المسجد فسلم ، ثم قال : ار رسول الله ﷺ قال : « لا تتخذوا بيتي عيدا، ولا بيوتكم مقابر، لعن الله اليهود اتخذوا قبورا انبيائهم مساجد ، وصلوا على فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم ، ما أنتم ومن بالاندلس الا سواء » . وقد بسط الكلام على هذا الاصل في غير هذا الموضع .

فاذا كان هذا هو المشروع في قبر سيد ولد آدم وخير الخلق واكرمهم على الله[1] فكيف يقال في قبر غيره ؟ ! وقد تواتر عن الصحابة أنهم كانوا اذا نزلت بهم الشدائد ـ كحالهم في الجدب والاستسقاء وعند القتال والاستنصار ـ يدعون الله ويستغيثونه في المساجد والبيوت ، ولم يكونوا يقصدون الدعاء عند قبر النبي ﷺ ولا غيره من قبور الانبياء والصالحين ، بل قد ثبت في الصحيح ان عمر بن الخطاب قال : اللهم انا كنا اذا اجدبنا توسلنا اليك بنبينا فتسقنا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، فيسقون . فتوسلوا بالعباس ، كما كانوا

---

(١) المرجع السابق نفسه .

يتوسلون به ، وهو أنهم كانوا يتوسلون بدعائه وشفاعته ، وهكذا توسلوا بدعاء العباس وشفاعته ، ولم يقصدوا الدعاء غند قبر النبي ﷺ ، ولا اقسموا على الله بشيء من مخلوقاته . بل توسلوا اليه بما شرعه من الوسائل ، وهي الاعمال الصالحة . ودعاء المؤمنين ، كما يتوسل العبد الى الله بالايمان بنبيه ، وبمحبته ، وموالاته ، والصلاة عليه والسلام ، وكما يتوسلون في حياته بدعائه وشفاعته كذلك يتوسل الخلق في الآخرة بدعائه وشفاعته . ويتوسل بدعاء الصالحين ، كما قال النبي ﷺ : « وهل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم : بدعائهم ، وصلاتهم واستغفارهم » .

ومن المعلوم بالاضطرار ان الدعاء عند القبور أو كان افضل من الدعاء عند غيرها واجب الى الله وأجوب : لكان السلف أعلم بذلك من الخلف[1] ، وكانوا أسرع اليه ، فانهم كانوا اعلم بما يحبه الله ويرضاه ، وأسبق الى طاعته ورضاه ولكان النبي ﷺ يبين ذلك ، ويرغب فيه ، فانه أمر بكل معروف ، ونهى عن كل منكر ، وما ترك شيئايقرب الى الجنة الا وقد حدث أمته به ، ولا شيئا يبعد عن النار الا وقد حذر أمته منه ، وقد ترك أمته على البيضاء ليلها كنهارها ، لا ينزوي عنها بعده الا هالك . فكيف وقد نهى عن هذا الجنس وحسم مادته يلعنه ونهيه عن اتخاذ القبور مساجد ؟ فنهى عن الصلاة لله مستقبلا لها وان كان المصلي لا يعبد الموتى ولا يدعوهم . كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت الغروب . لانها وقت سجود المشركين للشمس ، وان كان المصلي لا يسجد الا لله ، سدا للذريعة فكيف اذا تحققت المفسدة بان صار العبد يدعو الميت ويدعو به . كما اذا تحققت المفسدة بالسجود للشمس وقت الطلوع ووقت الغروب .

---

(١) الزيارات لابن تيمية . بتصرف .

آمنوا بالله وهم يشكرون

وقد كان اصل عبادة الأوثان من تعظيم القبور ، كما قال تعالى : « وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا » ـ نوح : ٢٣ . قال السلف ابن عباس وغيره : كنان هؤلاء قوما صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم عبدوهم .

ثم من المعلوم ان بمقابر « باب الصغير » من الصحابة والتابعين وتابعيهم من هو أفضل من هؤلاء المشايخ الاربعة ، فكيف يعين هؤلاء للدعاء عند قبورهم دون من هو أفضل منهم ؟ ثم ان لكل شيخ من هؤلاء ونحوهم من يحبه ويعظمه بالدعاء دون الشيخ الآخر ، فهل أمر الله بالدعاء عند واحد دون غيره ، كما فعل المشركون بهم ؟ الذين ضاهوا الذين (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الها واحد لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) ـ التوبة : ٣١ .

الإستغاثة وسؤال الأموات من الشرك المنافي للتوحيد

واما قول القائل اذا عثر يا جاه محمد ! يا للست نفيسة ! أو يا سيدي الشيخ فلان ! أو نحو ذلك مما فيه استغاثته وسؤاله : فهو من المحرمات[١] ، وهو من جنس الشرك ، فان الميت سواء كان نبيا أو غير نبي لا يدعى ولا يسأل ولا يستغاث به لا عند قبره ، ولا مع البعد من قبره ، بل هذا من جنس دين

(١) وقد ورد في الحديث الشريف الطويل (.... وإذا سألت فاسأل الله . ...) صدق رسول الله ﷺ

النصارى الذين (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ، والمسيح بن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون) ـ التوبة : ٣١ . ومن جنس الذين قال فيهم : (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ، أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، ان عذاب ربك كان محذوراً) ـ الإسراء : ٥٧ . وقد قال تعالى : (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ، ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب ، وبما كنتم تدرسون ، ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ، ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ؟ ! !) . وقد بسط هذا في غير هذا الموضع .

نذر الزيت والشمع والذهب والفضة عند القبور نذر معصية

وكذلك النذر للقبور أو لاحد من أهل القبور : كالنذر لابراهيم الخليل أو للشيخ فلان أو فلان ، أو لبعض أهل البيت ، أو غيرهم : نذر معصية ، لا يجب الوفاء به باتفاق ائمة الدين ، بل ولا يجوز الوفاء به ، فانه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال : « من نذر ان يطيع الله فليطعه ، ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه » وفي السنن عنه ﷺ ، انه قال : « لعن الله زوارات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج » فقد لعن رسول الله ﷺ من يبني على القبور المساجد ، ويسرج فيها السرج : كالقناديل والشمع وغير ذلك .

إذا قال أسأل كرامة لأبي بكر أو لعلي أو لفلان لم يعط

ولهذا لا ينبغي لاحد أن يسأل بغير الله : مثل الذي يقول : كرامة لأبي بكر ، أو لعلي ، أو للشيخ فلان ، أو للشيخ فلان ، بل لا يعطي الا من سأل بالله ، وليس لاحد أن يسأل بغير الله ، فان اخلاص الدين لله واجب في جميع العبادات البدنية والمالية : كالصلاة والصدقة ، والصيام ، والحج فلا يصلح الركوع والسجود الا لله ، ولا الصيام الا لله ، ولا الحج الا الى بيت الله ، لا الدعاء الا لله : قال تعالى : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله) ، وقال تعالى : (وسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ؟ !) وقال تعالى : (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم اذا نزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين) .

« الاسلام مبني على أصلين عظيمين[١] ان لا نعبد الا الله[٢] ان لا نعبده الا بما شرع » .

وهذا هو أصل الاسلام ، وهو ان لا نعبد الا الله ، ولا نعبده الا بما شرّع لا نعبده بالبدع ، كما قال تعالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا) ـ الكهف : ١١٠ . وقال تعالى : (ليبلوكم ايكم احسن عملا) قال : الفضيل بن عياض : اخلصه واصوبه قالوا : يا ابا علي ! وما اخلصه واصوبه ؟ قال : ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، واذ كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ، حتى يكون خالصا صوابا ، والخالص ان يكون لله والصواب ان يكون على السنة والكتاب .

(١ . ٢) وهذا معنى قول ابن تيمية أن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وصواباً . أن خالصاً لوجهه سبحانه وتعالى وصواباً أي على السنة الشريفة .

هذا كله لأن دين الله بلغه عنه رسوله ، فلا حرام الا ما حرمه الله ، ولا دين الا ما أتى به يقول : « لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها » .
وتارة ينهي عن الصلاة بعد طلوع الفجر حتى تطلع الشمس ، وبعد العصر حتى تغرب الشمس وتارة : يذكر ان الشمس اذا طلعت بين قرني شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار ، ونهى عن الصلاة في هذا الوقت ، لما فيه من مشابهة المشركين في كونهم يسجدون للشمس في هذا الوقت ، وان الشيطان يقارب الشمس حينئذ ليكون السجود له فكيف بما هو اظهر شركا ومشابهة للمشركين من هذا .
وقد قال الله تعالى فيما أمر رسوله أن يخاطب أهل الكتاب : (قل : يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم : أن لا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون) ـ آل عمران : ٦٤ ـ ٦٥ . وذلك لما فيه من مشابهة أهل الكتاب من اتخاذ بعضهم بعضا اربابا من دون الله ، ونحن منهيون عن مثل هذا ، ومن عدل عن هدى نبيه ﷺ وهدى أصحابه والتابعين لهم باحسان الى ما هو من جنس هدى النصارى فقد ترك ما أمر الله به ورسوله .

من أنواع الشرك وصغائره

وأما قول القائل : انقضت حاجتي ببركة الله وبركتك . فمنكر من القول ، فانه لا يقرن بالله في مثل هذا غيره ، حتى ان قائلا قال للنبي ﷺ ما شاء الله وشئت فقال : « أجعلتني لله نداً ؟ ! ! بل ما شاء الله وحده » وقال لاصحابه : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد » وفي الحديث أن بعض المسلمين رأى قائلا يقول : نعم القوم انتم لولا انكم تنددون . أي تجعلون لله ندا . يعني يقولون : ما شاء الله وشاء محمد . فنهاهم

النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الفجر بالحديبية في اثر السماء من الليل فقال : « أتدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر. فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بفضل كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب والأسباب التي جعلها الله أسبابا لا تجعل مع الله شركاء وأندادا وأعوانا .

(انقضت حاجتي ببركة الشيخ لفظ مجمل)

وقول القائل : ببركة الشيخ قد عنى بها دعاءه ، وأسرع الدعاء اجابة دعاء غائب لغائب . وقد يعني بها بركة ما أمره به وعلمه من الخير وقد يعني بها بركة معاونته له .

ثم لو بلغ الرجل في « الزهد والعبادة والعلم » ما بلغ ، ولم يؤمن بجميع ما جاء به محمد ﷺ فليس بمؤمن ، ولا ولي لله تعالى ـ كالاحبار والرهبان من علماء اليهود والنصارى وعبادهم ، وكذلك المنتسبين الى العلم والعبادة من المشركين مشركي العرب والترك والهند وغيرهم ممن كانوا من حكماء الهند والترك ـ من له علم أو زهد وعبادة في دينه ، وليس مؤمنا بجميع ما جاء به فهو : كافر عدو لله ، وان ظن طائفة أنه ولى الله ، كما كان حكماء الفرس من المجوس كفارا مجوسا .

وكذلك حكماء اليونان مثل « أرسطو» وأمثاله كانوا مشركين يعبدون الأصنام والكواكب ، وكان أرسطو قبل المسيح عليه السلام بثلاثمائة سنة ، وكان وزيراً للاسكندر بن فيلبس المقدوني ، وهو الذي تؤرخ به تواريخ الروم واليونان ، وتؤرخ به اليهود والنصارى ، وليس هذا هو« ذو القرنين » الذي

ذكره الله في كتابه ، كما يظن بعض الناس أن أرسطو كان وزيراً لـذي القرنين لما رأوا أن ذاك اسمه الاسكندر ، وهذا قد يسمى بالاسكندر ظنوا أن هذا ذاك كما يظنه « ابن سينا » وطائفة معه ، وليس الامر كذلك ، بل هذا الاسكندر المشرك الذي قد كان أرسطو وزيره متأخرا عن ذاك. ولم يبن هذا السد ، ولا وصل الى بلاد يأجوج ومأجوج ، وهذا الاسكندر الذي كان أرسطو من وزرائه يؤرخ له تاريخ الروم المعروف .

وفي أصناف المشركين من مشركي العرب ومشركي الهند والترك واليونان وغيرهم من له اجتهاد في « العلم والزهد والعبادة » ، ولكن ليس بمتبع للرسل ولا يؤمن بما جاؤا به ولا يصدقهم بما أخبروا به ولا يطيعهم فيما أمروا ، فهؤلاء ليسوا بمؤمنين ولا أولياء لله ، وهؤلاء تقترن بهم الشياطين وتنزل عليهم فيكاشفون الناس ببعض الأمور ولهم تصرفات خارقة من جنس السحر ، وهم من جنس الكهان والسحرة الذين تنزل عليهم الشياطين .

قال تعالى : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين. تنزل على كل أفاك أثيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون) ـ الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٣ .

وهؤلاء جميعهم الذين ينتسبون الى « المكاشفات » وخوارق العادات اذا لم يكونوا متبعين للرسل فلا بد أن يكذبوا وتكذبهم شياطينهم . ولا بد أن يكون في اعمالهم ما هو أثم وفجور مثل نوع من الشرك أو الظلم أو الفواحش أو الغلو او البدع في العبادة ، ولهذا تنزلت عليهم الشياطين واقترنت بهم فصاروا من « أولياء الشيطان » لا من « أولياء الرحمن » .

قال تعالى : (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين . ـ الزخرف : ٣٦ .

« وذكر الرحمن » هو« الذكر» الذي بعث به رسوله ﷺ مثل القرآن ، فمن لم يؤمن بالقرآن ويصدق خبره ويعتقد وجوب أمره فقد أعرض عنه فيقبض له الشيطان فيقترن به .

قال تعالى : (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) . ـ الأنبياء : ٥٠ .

وقال تعالى : (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشرة يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) ـ طه : ١٢٤ ـ ١٢٦ .

فدل ذلك على أن ذكره هو آياته التي أنزلها .

ولهذا لو ذكر الرجل سبحانه وتعالى دائما ليلا ونهارا مع غاية الزهد وعبده مجتهداً في عبادته ولم يكن متبعا لذكره الذي انزله ـ وهو القرآن ـ كان من « أولياء الشيطان » ولو طار في الهواء أو مشى على الماء . فان الشيطان يحمله في الهواء .

على طريق وعرة

طالب شاب يدرس الطب بعث الي برسالة يقول في محتواها :

الأستاذ الدكتور/ السيد الجميلي ....

تحية وسلاما ... وبعد

لقد قرأت كتابكم (السحر وتحضير الأرواح بين البدع والحقائق) وأشكركم على هذا المجهود الكريم الذي بذلتموه في تأليف هذا الكتاب ، وأعتقد انه قد بذل فيه جهد فوق العادة ، لأن ما ورد فيه من مادةٍ علمية يشهد بذلك .

وإني إذ أشكر لك هذا المجهود الخارق للعادة ، أعتب عليك عتابا شديداً ، على ما أوردته في كتابك من موقف متشدد كله تحامل على الصوفية ، والصوفيون هم أولياء الله الصالحون ، الذين نستمد منهم المعونة ولولاهم ما كنا ولا كنت نستطيع ضرباً في الأرض .

إن هؤلاء الأقطاب هم الذين يقربوننا من الله ، ويقيسون الكون لإنقاذ البشر من أي أذى أو ضرر قد ينزل بالناس ، وما الذي يجبرهم على ذلك لولا حرصهم على سعادتنا ، نرجو من سيادتكم ، أن تكفوا عن هذه الضربة التي تأذي بسببها أبرياء ، ونسأل الله أن يغفر لي وللمسلمين أجمعين ببركة هؤلاء الأقطاب ، وتفضلوا سيادتكم بقبول فائق الاحترام .

إبنكم المسلم طالب في كلية الطب
م . ع . س . محرم بك . الاسكندرية .
تحريراً في ١٠ جمادي الأول سنة ١٤٠٣ هـ .

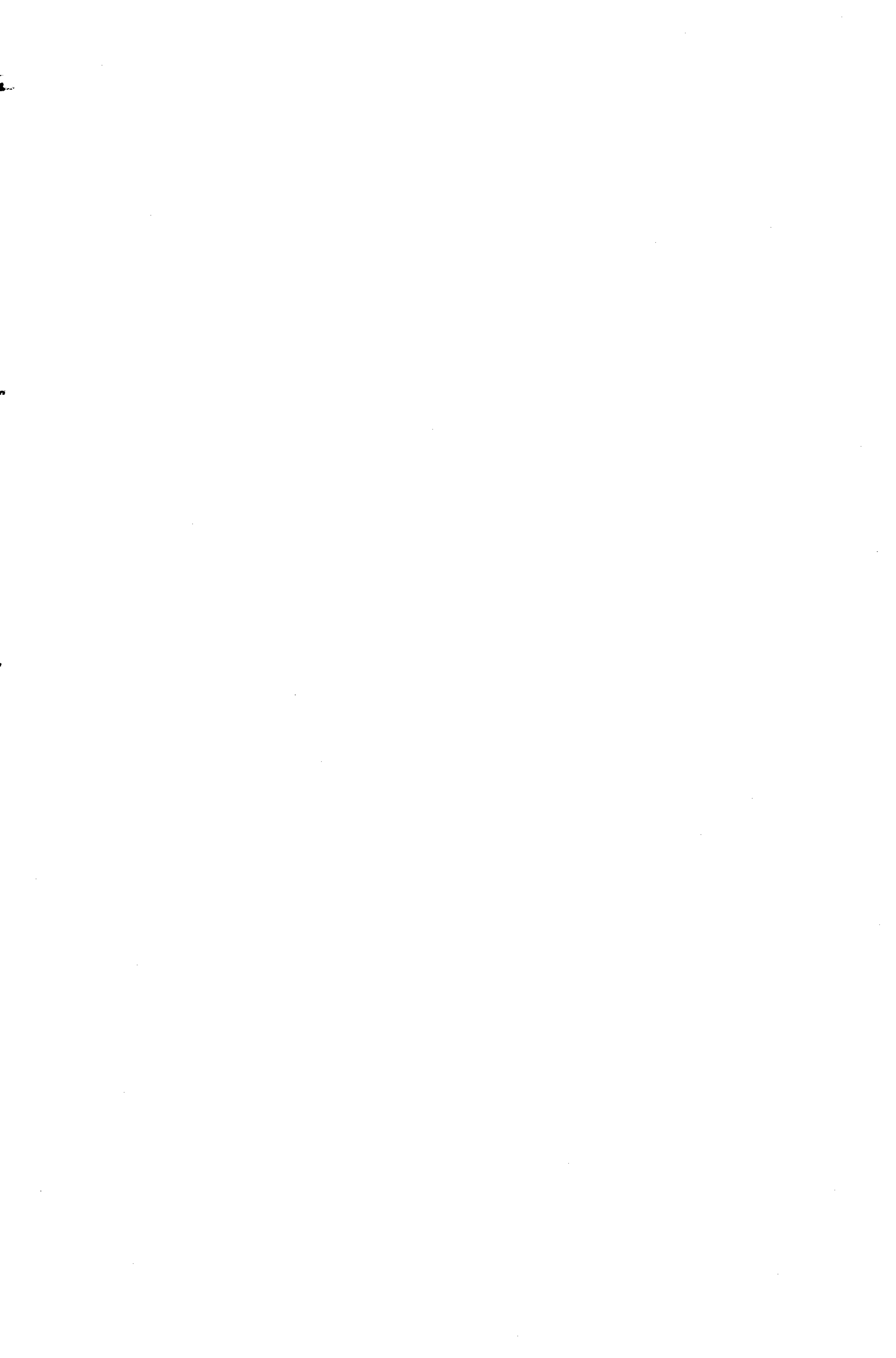
والحقيقة ان مثل هذه الرسالة ، غير جديره ، ولا خليقة بالرد عليها ، لأن هذا القاريء بعد أن درس الكتاب ، كان حريا به ان يتجرد من وثنتيه ، ويسلم وجهه ، ومقاليد امره لله سبحانه وتعالى ، ولكن بقدر ماأتعبني ، بقدر ما اسعد الشيطان لأنه لا يزال وفيا له ، قائما على زندقته .

وعندما أقول عن محيي الدين بن عربي أنه صوفي فأنا لا اتحامل عليه ، لأنه أعلن عن صوفيته ولقد ذم القرآن الكريم وتوعد ابا لهث ، وليس هذا تحاملا ابدا ، لأنه كافر مشرك مصمم على الكفر وعلى الشرك ، ولهذا وجبت عليه اللعنة ، وحقت عليه الهلكة .

اللهم اهد هذا الشاب وأمثاله فانه غرير ، صغير ، لم يمحص البحث ولا التجريب ، ولم يحقق رصيداً من العلم ولا التجارب ، ولا اليقين تكفل له دقة التفريق بين الحق والباطل .

اللهم اشرح صدره ، واترابه ، وصاغيته ، واهله ، وثبته على دين الاسلام ، وثبت قدمنا واياه على الصراط المستقيم ... انك سميع مجيب الدعاء .

بين الفتى وشيخه الصوفي



بين الفتى وشيخه الصوفي

دخل الفتى على شيخه الصوفي ، وقد انحنى بين يديه وفي حضرته ، صاغرا ، ذليلا ، ومد الشيخ يده الى فم الفتى المريد ليسهل عليه تقبيلها ، وقد بدا الفتى أول الطريق مع زمرة المريدين للشيخ القطب الكبير ، واهم مطلوباتها الانقياد التام ، والاذعان الكامل وقراءة الأوراد التي يمليها عليه الغوث ، وهي اوراد لا حصر لها ، وبالتالي لن يبقى أمامه وقت لقراءة القرآن ، لأن الأوراد هي شغلة الشاغل ، ولا مناص من الطاعة المطلقة العمياء اذ ان الشيخ الكبير قد بلغ درجة اليقين ، وهي أعلى الدرجات وانقى المقامات عند الصوفية واذا بلغ المرء هذه الدرجة من الصفاء ، فانه لا يسأل عما يفعل .

وجلس الصبي ، متلهفا لسماع الدرس من القطب .

وسأل الصبي : ـ يا سيدنا الشيخ .. ما معنى كلمة (صوفية) ؟

ـ يا بني ان كلمة صوفية مشتقة من الصوف لأن أسلافنا الصوفيين رضي الله عنهم من الأقطاب كانوا يلبسون الصوف على أجسادهم فيشعرون بالقلق فلا ينامون الليل ، بل يقومونه للعبادة ، وهي أيضا معناها الصفاء في العبادة ـ .

ـ ولكن ورد حديث عن رسول الله ﷺ يقوم فيه : « ان لبدنك عليك حقا ولا بد من النوم لراحة البدن ، وهذا لا يتعارض ابدا مع الاسلام .

ـ اسمع يا ولدي لكي تسير معنا على طريق الخير لا بد أن تتعلم الأدب ، وهو ادب المريد امام استاذه حتى يكتب الله لك السلامة ، والوصول الى درجة اليقين .

فلتكن مهذبا يا ولدي ، جيد الأنصات ، لا تقاط ان تكل أو شرح ، ولا تتعود مراجعة ، والا فربما يغضب عليك فيحال بينك ، وبين الولاية ، ويكتب عليك الشقاء اذ تطرد من رحمة الله ورحمتي الى يوم القيامة .

ولنبدا الأن بتأويل معنى كلمة (صوفية)

هذه الكلمة تتكون من حروف الصاد ، والواو ، والفاء ، والياء ، والهاء .

الصاد تدل على صرف الهمة القوية ، وصدق السنية وصبر على البلاء ، وصد الهوى عن الفؤاد وصدعه بالحق لا يبالي ، وصلح بين الناس ، فقاطع الفتى شيخه قائلا :

ولماذا لا تكون : صائبا عن دين الله ، حدّاً عن طريق الحق صقراً على الضعفاء صاحب سوء صخري القلب .

ـ انك بالي من رحمتي ، واعتذر الفتى ، فاسترسل القطب الصوفي :

اما الواو : وصله جميع ما امر

وده في الله كل من عرف .

الوفاء لله بالعهد .

وقوفه على الحدود .

فرد الفتى : ـ

ولم لا يكون وعيداً بالنار ، أو وباء انتشر ، وبيل من الأمر وويل ثم ويل ؟ ؟ ؟

لم يره الشيخ هذه المرة وإنما استرسل في قوله :

اما حرف الفاء فدلالته :

الفتوة المعهودة ، الفتوح ونور العرفان ، فرد الصبي :

ولم لا يكون فجوراً ، وفتنة ، وفناء للقيم ، فظاظاً في الخلق ، فساداً في الطبيعة .

ـ اما عن حرف الياء فمعناه :

يقين وبالله ، يد الله مع الجماعة قال الصبي :

ولم لا يكون يبابا ، يبيد ، يميد ، يكيد . قال الشيخ وقد مسح لحيته الطويلة :

أما الهاء ، هجر الوجود الى الله ، وهجر المجتمع الى شعاف الجبال ، وهيمنة بالذكر ، وهو ان كل ما عدا الله على القلب .

رد الصبي : واما الهاء فلا يمنع ان تكون هوان الاخرة هباء منثوراً ، هجير النار ، هول القبر ، هجران الحلال ، هجوم على الباق .

ولما ان عيل صبر الشيخ صرخ في وجه الفتى وقال :

اسكت ايها الوغد ، الأحمق ، انك مغضوب عليك ، انك لا تزال في بسم الله الرحمن الرحيم ، ولكننا بلغنا درجة اليقين ثم ايها العاق الفاسق وصل العصر حتى نستغفر لك ونشفع فيك .

ـ قم يا سيدنا وصلي معنا ، الى ان يهدينا الله سواء السبيل لا ـ

ـ لقد قلت لك يا جاهل اننا مرفوع عنا التكليف ، لا نسأل عما نفعل ، الم تفهم قوله تعالى :

« واعبد ربك حتى ياتيك اليقيـــن » فاذا جاءك اليقين فلا تعبـــده .

رد لبرد الفتى : ـ ولماذا لم يرفع التكليف عن رسول الله ﷺ حتى في مرض الموت كان يصلي ، وصلى بالمسلمين وهو جالس . الم يزدد تكليفه على امته ؟ ؟

(قال تعالى : وتهجد بن من الليل نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محموداً)

وانتهت المجادلة بأن طرد الشيخ التلميذ من حظيرة قدسه ، وكان هذا ايذانا بالخير كل الخير حيث انتقل الى مسيرة التوحيد ، وترك الاقطاب والأغوات ، وأهل الوسيلة ، واصحاب وحدة الوجود ، الذين لا يسألون عما يفعلون ، الذين رفع عنهم التكليف ، واتصل بالله سبحانه وتعالى يتبع كتابه وسنة رسوله .

رابعة العدوية .. ! !

من المتصوفين الذين دخلوا التصوف عن احتراف ، كان لها منهجها في العبادة ولها عقيدة خاصة بها وسلوك يختلف عن سلوك البشر ، اذ انها بلغت من درجات الاستشفاف اقصاها ، وفتنت في عقيدتها وفتنت الكثيرين بها وفتنوا فيها وقد افلح ابليس اي فلاح تبليه عليها وعلى زمرتها الهالكة من الوثنيين الخارجين على الاسلام .

تقول رابعة العدويةانها لا تعبد الله خوفا من ناره ولا طمعا في جنته ، وهي بذلك تؤكد وتمثل المدرسة الصوفية التي ينتمي اليها اقطاب واغوات كبار مشاهير .

وقيل في رابعة وقيل عنها اقوال كثيرة شتى ، قالوا انها كانت راقصة ، وقالوا انها انفقت عمرها في الغناء واللهو والطرب تقول رابعة العدوية :

أحبك حبين حـــب الهـوى وحب لانك اهل لذاكـــا
فاما الذي هو حب الهــــوى فشغلي بذاتك عمن سواكا
وأما الذي انت اهل لــــــه فكشف لي الحجب حتى اراكا

ما هي هذه الحجب التي تنتظر رابعة العدوية ان تكشف لترى الله[1] ؟؟ ! !

واتفق العلماء والفقهاء بالاجماع على ان مخلوقا بشرا أو غير بشر لم ير الله سبحانه وتعالى ، فقد قال لموسى عندما طلب منه الرؤية : -

« قال رب أرني انظر اليك ، قال الن تراني » ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني .

فلا يمكن لأي بشر ان يرى الله سبحانه وتعالى ، وهذا اجماع مفروغ منه ومنتهى عنده .

وقالوا عن رابعة العدوية انها اولى من تحدث عن حب الله[1] ولكن هذا القول مردود عليه لأن الله سبحانه وتعالى وصف عبادة المخلصين الصالحين بانه « يحبهم ويحبونه » .

---

(١) راجع كتاب « الصوفية الوجه الآخر » للدكتور محمد جميل غازي إعداد عبد المنعم الجداوي المحرر بمجلة المصور الصادرة عن دار الهلال بالقاهرة

وقال تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله » .

رأينا في هذه الزنديقة ومناقشته

في مجمل العبارة نستطيع مطمئنين ان نقول بكل حزم ان رابعة العدوية زنديقة وثنية وهذا ليس افتراء ولا تحاملا لأن القرآن الكريم قال : ـ

« تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نار ذات لهب ، وأمراته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد » لان ابا لهب قد انجلى كفره وهذه ايضا رابعة قد انجلى فسقها ووثنيتها ولا معصية في فاسق . لانها اساءت الأدب على الله وبلغت بها البذاءة والوقاحة حدا لا يوصف اذ انها حولت الحب لله الى عشق تفوح منه نكهة الجنس وشيق الشهوة حاشالله وتعالى عن ذلك علوا كبيرا .

والعشق في اللغة العربية لما ينكح ، واعتبر الصوفيون الله سبحانه وتعالى عشيقا لرابعة كالذي يجري بين الرجل والمرأة ، وتحولت العلاقة بين رابعة وخالقها خالق كل شيء والذي ليس كمثله شيء تحولت العلاقة الى ناكح ومنكوح ، عاشق ومعشوق ، وقد ورد في نصوص الحكم لابن عربي ان « الرجل حينما يضاجع زوجته انما يضاجع الحق » .

وتوقف النابلسي ـ وهو يشرح الفصوص ـ عند هذه النقطة فقال :

« انما ينكح .. » ووضح لفظ الجلالة محل هذه النقط ... بدلا من الحق .

---

(١) نفس المرجع السابق .

تجليات الحق عند ابن الفارض[1]

وابن الفارض هذا هو من الذين صدق ابليس عليهم ظنه ، فأغواه وفتنه في الدين والعقيدة ، ويوم القيامة يتبرأ كل منهما من الآخر ويكفر الأول بالاخر والاخر بالأول وهيهات ينفع الندم يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا والأمر يومئذ لله .

تحدث ابن الفارض الخبيث عن الله بصيغة مروعة بضمير الانثى « المؤنثة المخاطبة » ويقول مثلا : ـ « انت كذا انت كذا » ، ولما يسأل الصوفيون لماذا تتحدثون عن الله بضمير المؤنثة المخاطبة ؟ يقولون لك اننا لا نقصد الله ، وانما نقصد الذات الالهية .

تماما مثلما قال الحلاج عند ما اخذته نشوة السكر والعربدة « ما في الجبة الا الله » واراد تلاميذه الوثنيين ان يدافعوا عنه ، فقالوا ان الحلاج يقصد ان « ما في القلب الا الله » لأن القلب هو الذي في الجبة . وبلغ الاسفاف والسفاهة بهم حدا لا يوصف وتفشي سرطان هذا الوبيل في جسد الاسلام تفشي النار في الهشيم ولكن الله ناصر دينه ولو كره الكافرون .

ويسترسل ابن الفارض في وصف الجلالة بما لا يليق وذاته العلية الكريمة فيقول بالحلول وينادي بالوحدة ويتغزل في الذات الالهية باشعاره وذلك كله على مسمع تلاميذهم الصوفيين ، يتوهم ابن الفارض ان الله تجلى لقيس بصورة ليلى ، وتجلى لكثير بصورة عزة ، وتجلى لجميل في صورة بثينة ويرى ان هذا من تجليات الحق[2] . أليس بعد ذلك زندقة ؟ بلى وربنا .

---

(١) ديوان ابن الفارض حافل بالكفريات وكم من شاب أو فتى غرير يقع في أحيولته ويفتن فيه أجارنا الله منه وحفظنا من شيطانه المسلمين يا رب .

٢) إقرأ تائية ابن الفارض المعروفة .

هؤلاء الكفرة الفجرة الظالمين ، يوم القيامة تصفهم الملائكة من نواصيهم

« فيؤخذ بالنواصي والاقدام »

وسوقاً يساقون إلى ساحة العرض على الله ، يستشفعون برسول الله ﷺ ، ولكن هيهات ، فان لا شفاعة في فاسق ملحد كافر ، وله يشم ربح الجنة مشرك عبد مع الله الها اخر.

قال تعالى : ـ « ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » ـ غافر : ١٨ .

نهي الانبياء وعقوبتهم لمن يشرك بهم في حياتهم

وهذا ما يظهر الفرق بين سؤال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والرجل الصالح في حياته ، وبين سؤاله بعد موته وفي مغيبه ، وذلك أنه في حياته لا يعبده احد بحضوره ، فاذا كان الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ والصالحون احياء لا يتركون أحدا يشرك بهم بحضورهم ، بل ينهونهم عن ذلك ويعاقبونهم عليه ، ولهذا قال المسيح عليه السلام : (ما قلت لهم الا ما امرتني به : ان اعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ، وانت على كل شيء شهيد) ـ المائدة : ١١٧ . وقال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : ما شاء الله وشئت ، فقال : « اجعلتني لله ندا ؟ ما شاء الله وحده « وقال : » لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد « ولما قالت الجويرية : وفينا رسول الله يعلم ما في غد . قال : « دعى هذا ، وقولي بالذي كنت تقولين » . وقال لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم ، انما أنا عبد ، فقولوا عبدالله ورسوله ولما صفوا خلفه

قياما « قال : لا تعظموني كما تعظم الاعاجم بعضهم بعضا » وقال انس : لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكانوا اذا راوه لم يقوموا له ، لما يعلمون من كراهته لذلك ولما سجد له معاذ نهاه وقال : « انه لا يصلح السجود الا لله ، ولو كنت آمرا احدا ان سجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها ـ من عظم حقه عليها » ولما اتى علي بالزنادقة الذين غلوا فيه واعتقدوا فيه الالهية امر بتحريقهم بالنار.

فهذا شأن انبياء الله واوليائه ، وانما يقر على الغلو فيه وتعظيمه بغير حق من يريد علوا في الأرض وفساداً ، كفرعون ونحوه ، ومشائخ الضلال الذين غرضهم العلو في الأرض والفساد ، والفتنة بالانبياء والصالحين ، واتخاذهم اربابا ، والاشراك بهم انما يحصل في مغيبهم وفي مماتهم ، كما اشرك بالمسيح وعزيز.

فهذا ما يبين الفرق بين سؤال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصالح في حياته وحضوره ، وبين سؤاله في مماته ومغيبه ، ولم يكن احد من سلف الامة في عصر الصحابة ولا التابعين ولا تابعي التابعين يتحرون الصلاة والدعاء عند قبور الأنبياء ويسألونهم ، ولا يستغيثون بهم ، لا في مغيبهم ، ولا عند قبورهم وكذلك العكوف.

ومن أعظم الشرك ان يستغيث الرجل بميت أو غائب ، كما ذكره السائل ، ويستغيث به عند الصائب يقول : يا سيدي فلان ! كانه يطلب منه ازالة ضره او جلب نفعه ، وهذا حال النصارى في المسيح وامه واحبارهم ورهبانهم ، ومعلوم ان خير الخلق واكرمهم على الله نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، واعلم الناس بقدره وحقه اصحابه : ولم يكونوا يفعلون شيئا من ذلك ، لا في مغيبه ولا بعد مماته . وهؤلاء المشركون يضمون الى الشرك الكذب ، فان الكذب

مقرون بالشرك ، وقد قال تعالى : (فاجتنبوا الرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور حنفاء لله ، غير مشركين به) ـ الحج ٣٠ . وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « عدلت شهادة الزور الاشراك بالله . مرتين ، أو ثلاثا » وقال تعالى : (ان الذين اتخذوا العجل سيناً لهم غضب من ربهم ، وذلة في الحياة الدنيا ، وكذلك نجزي المفترين) ـ الاعراف : ١٥٢ . وقال الخليل عليه السلام : (افكا الهة دون الله تريدون ؟ فما ظنكم برب العالمين) .

فمن كذبهم ان احدهم يقول عن شيخه ان المريد اذا كان بالمغرب وشيخه بالمشرق وانكشف غطاؤه رده عليه ، وان الشيخ ان لم يكن كذلك لم يكن شيخاً . وقد تغويهم الشياطين ، كما تغوي عباد الأصنام كما كان يجري للعرب في اصنامهم ، ولعباد الكواكب وطلاسمها : من الشرك والسحر ، كما يجري للتتار ، والهند ، والسودان ، وغيرهم من اصناف المشركين : من أغواء الشياطين ومخاطبتهم ونحو ذلك ، فكثير من هؤلاء قد يجري له نوع من ذلك ، لا سيما عند سماع المكاء والتصدية ، فان الشياطين قد تنزل عليهم ، وقد يصيب احدهم كما يصيب المصروع : من الارغاء ، والازياد ، والصياح المنكر ، وتكلمه بما يعقل هو والحاضرون ، وامثال ذلك مما يكثر وقوعه في هؤلاء الضالين

حصول المطلوب بالدعاء لا يدل على اباحته ، ما نهى عنه فضمرته اضعاف منفعته

والأمور التي حرمها الله ورسوله : من الشرك ، والسحر ، والقتلى ، والزنا وشهادة الزور ، وشرب الخمر وغير ذلك من المحرمات : قد يكون للنفس فيها حظ مما تعده منفعة ، أو دفع مضرة ، ولولا ذلك ما اقدمت النفوس على المحرمات التي لا خير فيها بحال ، وانما يوقع النفوس في المحرمات الجهل أو الحاجة ،

فاما العالم يقبح الشيء وينهي عنه فكيف يفعله ، والذين يفعلون هذه الامور جميعها قد يكون عندهم جهل بما فيه من الفساد ، وقد تكون بهم حاجة اليها : مثل الشهوة اليها ، وقد يكون فيها من الضرر اعظم مما فيها من اللذة ولا يعلمون ذلك لجهلهم أو تغلبهم اهواؤهم حتى يفعلوها ، والهوى غالبا يجعل صاحبه كانه لا يعلم من الحق شيئا فان حبّك للشيء يعمي ويصم .

ولهذا كان العالم يخشى الله ، وقال أبو العالية سألت اصحاب محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن قول الله عز وجل : (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ، ثم يتوبون من قريب) ـ النساء : ١٧ . الاية فقالوا : كل من عصى الله فهو جاهل ، وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب . وليس هذا موضع البسط لبيان ما في المنهيات من المفاسد الغالبة وما في المامورات من المصالح الغالبة ، بل يكفي المؤمن ان يعلم ان ما امر الله به فهو لمصلحة محضة أو غالبة ، وان الله لا يأمر العباد بما امرهم به لحاجته اليهم ولا نهاهم عما نهاهم بخلا به عليهم ، بل امرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم ولهذا وصف نبيه ـ ﷺ ـ بانه (يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحلّ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) ـ الأعراف : ١٥٧ .

التمسح بالقبر وتقبيله وتمريغ الخد عليه من انواع الشرك

وأما التمسح بالقبر ـ اي قبر كان ـ وتقبيله ، وتمريغ الخد عليه فنهي عنه باتفاق المسلمين ، ولو كان ذلك من قبور الانبياء ، ولم يفعل هذا احد من سلف الامة وائمتها بل هذا من الشرك ، قال الله تعالى : (وقالوا : لا تذرن آلهتكم ، ولا تذرن ودّا ولا سواعا ، ولا يغوث ويعوق ونسراً ، وقد أضلوا كثيراً) ـ نوح : ٢٣ . وقد تقدم ان هؤلاء اسماء قوم صالحين كانوا من قوم

نوح ، وانهم عكفوا على قبورهم مدة ، ثم طال عليهم الامد فصوروا تماثيلهم ، ولا سيما اذا اقترن بذلك دعاء الميت والاستغاثة به . وقد تقدم ذكر ذلك ، وبيان ما فيه من الشرك وبينا الفرق بين « الزيارة البدعية » التي تشبه اهلها بالنصارى و« الزيارة الشرعية » .

يجب إنكار الركوع والإنحناء وتقبيل الأرض أمام العظماء[1]

واما وضع الرأس عند الكبراء من الشيوخ وغيرهم ، أو تقبيل الأرض ونحو ذلك فانه مما لا نزاع بين الأئمة في النهي عنه ، بل مجرد الانحناء بالظهر لغير الله عز وجل منهي عنه . ففي المسند وغيره « ان معاذ بن جبل رضي الله عنه لما رجع من الشام سجد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ما هذا يا معاذ ؟ فقال : يا رسول الله ! رايتهم في الشام يسجدون لاساقفتهم وبطارقتهم ، ويذكرون ذلك عن أنبيائهم ، فقال : كذبوا يا معاذ ! لو كنت آمرا احداً ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ، يا معاذ ! ارأيت ان مررت بقبري أكنت ساجدا ؟ قال لا ــ قال : ــ لا تفعل هذا » أو كما قال رسول الله ﷺ .

بل قد ثبت في الصحيح من حديث جابر : انه صلى الله عليه وآله وسلم صلى باصحابه قاعدا من مرض كان به ، فصلوا قياما ، فامرهم بالجلوس ، وقال : « لا تعظموني كما تعظم الاعاجم بعضها بعضاً » ، وقال « من سره ان يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار » فاذا كان قد نهاهم عن القيام مع قعوده ــ وان كانوا قاموا في الصلاة ــ حتى لا يتشبهوا بمن يقومون لعظمائهم ، وبين ان

(١) وهذا ما نحذر منه دائماً معاشر المسلمين في أقطار الأرض قاطبة . نسأل الله العون والسلامة والنجاة من النار .

من سره القيام له كان من أهل النار فكيف بما فيه من السجود له ، ومن وضع الرأس ، وتقبيل الايادي ، وقد كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ـ وهو خليفة الله على الأرض ـ قد وكل اعوانا يمنعون الداخل من تقبيل الأرض ويؤدبهم اذا قبّل احد الأرض .

وبالجملة فالقيام والقعود والركوع والسجود حق للواحد المعبود : خالق السموات والأرض ، وما كان حقا خالصا لله لم يكن لغيره فيه نصيب : مثل الحلف بغير الله عز وجل ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » متفق عليه وقال أيضا : « من حلف بغير الله فقد اشرك » .

فالعبادة كلها لله وحده لا شريك له (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ، حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة) ـ سورة البينة : وفي الصحيح عن النبي ﷺ انه قال : « ان الله يرضى لكم ثلاثا : ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا . وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وان تناصحوا من ولاه الله امركم » واخلاص الدين لله هو أصل العبادة .



رسول الله بشر لا كالبشر في روحانياته



حقيقة النبي

يعرفها الصوفية بقولهم : « هي الذات مع التعين الأول ولها الاسماء الحسنى وهي **اسم الله الاعظم**[1] فمحمد الصوفية ليس بشرا ، ولا رسولا ، وانما هو الذات الالهية في اسمى مراتبها ! !

ويقول الدمرداشي : « حقيقة الحقائق هي المرتبة الانسانية الكمالية الالهية الجامعة لسائر المراتب كلها ، وهي المسماة بحضرة الجمع ، وباحدية الجمع ، وبها تتم الدائرة ، وهي أول مرتبة تعينت في غيب الذات ، وهي الحقيقة المحمدية[2] » ويقول الكمشخانلي : « **صور الحق هو محمد** ، **لتحققه بالحقيقة الاحدية والواحدية**[3] فمحمد عندهم هو الاسم الاعظم ، فما الاسم الاعظم ؟ انه « الجامع لجميع الاسماء أو هو اسم الذات الالهية من حيث هي هي أي المطلقة[4] » ! !

ومحمد هو الاحدية ! فما هي ؟ انها « مجلى الذات الالهية ، ليس للاسماء ولا للصفات ، ولا لشيء من مؤثراتها فيه ظهور ، فهي اسم لصرافه الذات المجردة عن الاعتبارات الحقية والخلقية »[5] .

---

(١) جامع الأصول في الأولياء للمكشخانلي وراجع أيضاً التعريفات للجرجاني .

(٢) رسالة في معرفة الحقائق لمحمد الدمرداشي ص ٧ .

(٣) رسالة في معرفة الحقائق لمحمد الدمرداشي وجامع الأصول .

(٤) هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل .

(٥) جامع الأصول مادتي الأحدية والواحدية .

بهذا يدين الصوفية ، وفيه يتغزلون ، ولقد عبر الدباغ عن هذه الاسطورة اذ يقول : « اعلم ان انوار المكونات كلها من عرض وفرش وسماوات وارضين وجنات وحجب ، وما فوقها ، وما تحتها اذا جمعت كلها ، وجدت بعضا من نور النبي ، وان مجموع نوره ، لو وضع على العرض ، لذاب ، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرض ، لتهافت ، ولو جمعت المخلوقات كلها ، ووضع ذلك النور العظيم عليها ، لتهافتت ، وتساقطت[1] » .

ويقول تيجاني : « لما خلق النور المحمدي ، جمع في هذا النور المحمدي جميع ارواح الانبياء والأولياء جمعاً احديا ، قبل التفصيل في الوجود العيني ، وذلك في مرتبة العقل الأول[2] » .

ويقول الحلواني في قصيدته « المستجيرة » يخاطب رسول الله .

أنشاك نورا ساطعاً قبل الـــورى فرد الفرد ، والبرية في العدم
ثم استعد جميع مخلـــوقاتــــه من نورك السامي ، فياعظم الكرم
فلذا اليك الخلق تفزع كلهـــــم في هذه الدنيا ، وفي اليوم الاهم
واذا دهتهم كربة فرجتهـــــا حتى سوى العقلاء في ذاك انتظم
جدلي ، فان خزائن الرحمن فييدك اليمين ، وانت اكرم من قسم[3]

والله تعالى يقول : (٢٣ : ١٢ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) ، ومحمد صلى الله عليه وسلم انسان .

---

(١) ص ٨٤ جـ ٢ الأبريز .

(٢) ص ١٤ جـ ١ الرماح لعمر بن سعيد .

(٣) ص ١٤ وما بعدها من رسالة لأحمد عبد المنعم الحلواني .

منك واليك يا محمد

مما تفاكه الصوفية ان جبريل عجب حين رأى محمداً يتلو القرآن قبل ان يعلمه اياه !! فسأل جبريل ، فاجابه النبي : ارفع الستر مرة حين يلقي اليك الوحي ، ففعل جبريل ، فرأى محمداً هو الذي يوحي اليه . فصاح مسبحا : منك ، واليك يا محمد[1] ؟ !!

وما زال يهذي بهذه الاسطورة في الرحاب الفساح من الأزهر رجال لا عمل له سوى إثارة الحرب مؤرثة الاحقاد على الكتاب والسنة !!

ويتناقل هذه الاسطورة صوفي عن صوفي في كل حماة وثنية . او حانة صوفية . ولم لا ؟ وقد فح بهذه القربة افعوان الصوفية الاكبر ابن عربي . اذ يقول مفسرا قول الله سبحانه (٢٠ : ١١٤ ولا تجعل بالقران من قبل ان يقضي اليك وحيه) : « اعلم ان رسول الله اعطى القرآن مجملا قبل جبريل من غير تفصيل الايات والسور ، فقيل له : لا تجعل بالقرآن الذي عندك قبل جبريل . فتلقيه على الامة مجملا ، فلا يفهمه احد عنك لعدم تفصيله[2] .

رد هذه الفرية[3]

وبطلان هذه الفرية بدهي يحكم به من في قلبه بارقة من ايمان . بيدان غشاوة الصوفية على بصائر معتنقيها حالت بينها وبين ادراك الحقيقة الايمانية

(١) هذا الحديث أذاعته علّامة إسلامية كبيرة بالتليفريون . سامحهم الله .
(٢) الكبريت الأحمر للشعراني على هامش اليواقيت والجواهر ص ٦ ضعة ١٣٠٧ هـ .
(٣) الفرية : الأكذوبة والمغالطة .

وما دامت الافعال لا تعد خيراً أو شراً الا بنية فاعلها ـ فأنه لا يثاب على العمل الا اذا نوى به الخير ، ولا خلاف في هذا بين العلماء .

أما صحة العمل ـ فقد تكون النية شرطاً فيها باتفاق : كالصلاة ، وقد تكون موضع خلاف كالنية في الوضوء ، فان المالكية والشافعية يعدونها فرضا ، والحنابلة يعدونها شرط صحة ، والحنفية يعدونها سنة مؤكدة : ان أبي بها كان وضوا وعبادة مثابا عليها ، وان لم يات بها لم يثبت عليه ، وان صحت به صلاته ، لتحقق الطهارة المطلوبة لها ، ولانه يغتفر في الوسائل مالا يغتفر في المقاصد .

ولا صحة لما ذاع بين الناس من قولهم : « يثاب المرء رغم انفه » الا اذا حملناه على ثواب المكاره والمشاق التي ينفر منها المرء بطبعه ، ولكنه يضطر الى تحملها حين تكون لا زمة لفعل من افعال الخير ، كمن يضطر الى النزول في الماء في البرد القارس لانقاذ غريق ، وقد قدمنا ان المكلف ليس له ان يقصد الى المشقة ويستزيد منها طمعا في زيادة الثواب ، ولكنه يثاب على المشاق اللازمة للافعال من غير قصده .

واذا لم يثبت ان احد الدليلين المتعارضين متأخر عن الاخر لم يتأت النسخ . وكان على المجتهد ان يبحث عن مرجّح لاحدهما على الاخر .

والترجيح جعل الشيء راجحاً ، اي زائدا فاضلا . وهو عند الاصوليين من الحنفية ـ اظهار امتياز احد الدليلين المتماثلين بوصف يجعله اولى بالاعتبار من الاخر ، ولا يكون الا بين الادلة الظنية في ثبوتها أو دلالتها كما تقدم[1] .

(١) راجع ص ٣٩٢ جـ ٢ : المستصفي .

والترجيح بين دليلين نقليين يكون باعتبار السند ، أو اعتبار المتن .

فالترجيح باعتبار السند ـ كتقديم رواية الضابط الورع على من هو اقل منه ، وتقديم رواية العدل الفقيه على رواية العدل غير الفقيه ، ومن هذا تقديم رواية اكابر الصحابة على رواية اصاغرهم ، وكتقديم رواية من صرح بالسماع على رواية من لم يصرح به ، وتقديم رواية من علم انه لا يروى الا عن ثقة على غيره ، وتقديم الخبر الذي عمل به راوية على الخبر الذي عمل راوية بخلافه ، وتقديم راوية الملم بالحادثة على غيره ، كتقديم خبر عائشة رضي الله عنها : انه ﷺ كان يصبح جنبا وهو صائم على رواية أبي هريرة : انه ﷺ قال : « من أصبح جنبا فلا صوم له » . وتقديم رواية ابي رافع : ان رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال ـ على رواية ابن عباس : انه تزوجها وهو محرم ، لأن ابا رافع كان السفير بينهما[1] .

والترجيح باعتبار المتن . كترجيح ما هو اظهر في الدلالة أو اقوى على غيره ، ومنه تقديم الحقيقة على المجاز ، والصريح على الكناية ، والمحكم على المفسر ، والمفسر على النص ، والنص على الظاهر ، والخفي على المشكل[2] ، وتقديم مدلول العبارة على مدلول الاشارة . وهذا على مدلول الدلالة ، وهذا على مدلول الاقتضاء .

تنبيه : اختلف العلماء في الترجيح بكثرة الادلة ، وكثرة الرواة اذا لم يبلغوا حد التواتر .

فذهب ابو حنيفة وأبو يوسف الى عدم صحة الترجيح بذلك ، لأن الدليل

---

(١) راجع باب الأحرام وما يتعلق به جـ ٢ : سبل الإسلام .

(٢) كل من المجمل والمتشابه لا يعارض قسيماته . إلا إذا بين المجمل . فإنه بالبيان يصير من أقسام الظاهر (٢٠٤ جـ ٢ : مسلم الثبوت) .

المعارض لدليل اخر- يعارض كل دليل يوافق هذا الاخر. فلا يكون لتعدد الادلة فضل في قوة المدلول ، فيسقط الكل .

وزيادة عدد الرواة - ما لم تبلغ حد الشهرة - لا تخرج الخبر عن كونه احاديا فلا يكون لزيادة العدد فضل ، كما ان شهادة اثنين تعارض شهادة اثنين أو أكثر ، ولا فضل لزيادة العدد في وجوب الحكم .

وذهب جمهور الاصوليين الى الترجيح بكثرة الأدلة ، وبكثرة عدد الرواة ، لأن كثرة الادلة تقوي غلبة الظن ، ولان يخالف المكلف بعمله دليلا واحدا خير من ان يخالف دليلين أو أكثر .

ولان ازدياد عدد الرواة يترجح معه جانب الصواب والصدق ، ويقل احتمال الخطأ والكذب ، ولهذا ارتفعت منزلة المتواتر عن خبر الاحاد ، وجعلت الشهادة على الزنا لخطره أكثر عدداً من الشهادة على غيره .

والتنظير بالشهادة غير مسلم ، لانا نرجح شهادة الاكثر على شهادة الاقل ، وقد روى هذا عن مالك والشافعي رضي الله عنهما ، وان سلم عدم الترجيح هنا فلان الشارع جعل شهادة الاثنين حجة كاملة موجبة للحكم بمقتضاها ، ومتى تمت علة الحكم لم تحتمل الزيادة بخلاف العدد في الرواية .

تعارض الاقيسة : اذا تعارض قياسان فالترجيح بينهما يكون بامور كثيرة :

منها ان يكون الحكم في أصل احدهما قطعيا ، وفي أصل الاخر ظنيا .

وان تكون العلة في احدهما منصوصة ، وفي الآخر مستنطة .

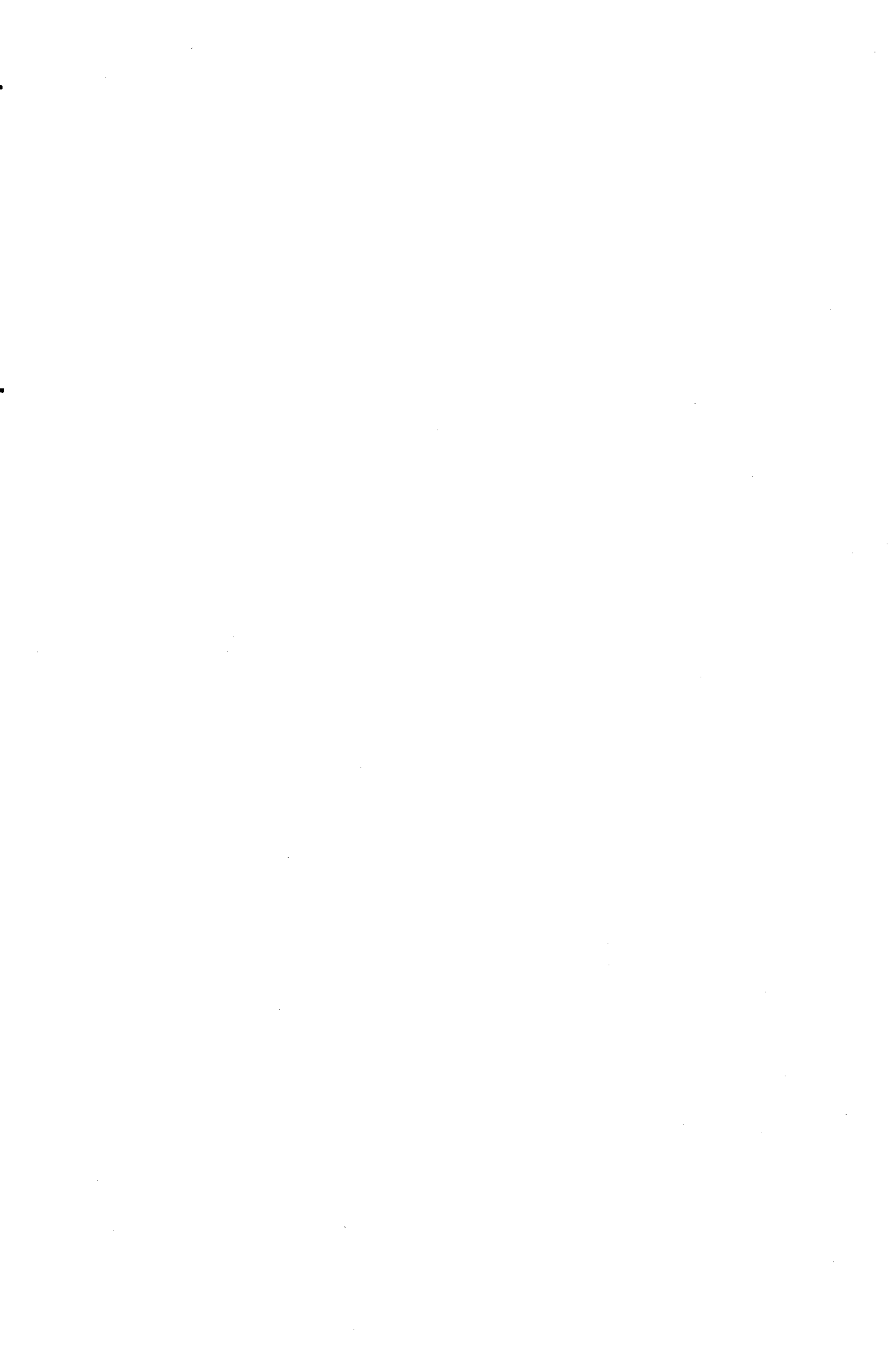
وان تكون احدى العلتين اشد مناسبة للحكم من الاخرى .

وان يكون تحقق احدى العلتين في الفرع قطعيا ، وتحقق الاخرى ظنيا .

وان تكون المصلحة المترتبة على احدهما اهم من المصلحة المترتبة على الآخر.

فاذا لم يجد المجتهد ما يرجح به احد القياسين عمل بما يطمئن اليه قلبه.

سؤال عن الترجيح وجوابه



الجمع بين الدليلين وتعارض الأدلة

اذا لم يعرف المتقدم والمتأخر من الدليلين المتعارضين. ولم يجد المجتهد سبيلا الى ترجيح احدهما على الآخر ـ حاول الجمع والتوفيق بينهما. ويكون ذلك بمحاولة العمل بكل منهما في موضع لا يعارض فيه الاخر.

فإذا كان الدليلان المتعارضان عامين ـ حمل كل منهما على نوع من أنواع العام، فلو قال من تجب طاعته: اعط الفقراء. وقال: لا تعط الفقراء ولم يعرف السابق من العبارتين ـ حمل الأول على الفقراء المتعففين، والثاني على الفقراء الذين يسألون الناس إلحاحاً.

واذا كانا خاصين مطلقين ـ قيد كل منهما بقيد يخالف الاخر. كما اذا قال من تجب طاعته: اعط محمداً. وقال: لا تعط محمداً، ولم يعلم السابق منهما، فان الأول يحمل على حال الاستقامة، والثاني يحمل على حال الاعوجاج

واذا كان احد الدليلين عاما والاخر خاصا ـ عمل بالعام فيما وراء الخاص كما اذا خصص به، فاذا قال: لا تعط فقيرا، وقال اعط محمدا ـ ومحمد فقير ـ اعطى محمد دون غيره.

وقد تحتاج في مثل هذا الى حمل الخاص ـ اذا لم يكن معينا ـ على نوع من انواع العام، كما تفعل عند تعارض العامين، كما اذا قال: لا تعط

فقيراً ، وقال : اعط فقيراً فان الثاني ـ وهو خاص غير معين ـ يحمل على الفقير المتعفف ، والأول ـ وهو عام ـ يحمل على الفقير السائل ، وهكذا .

وفي كل من الجمع بين الأدلة ، وترجيح بعضها على بعض ـ مجال واسع لاجتهاد المجتهدين .

ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ؟ ! ! !

سيسأل الله سبحانه وتعالى الناس اجمعين يوم القيامة ، لأن العدل الالهي يؤكد المساواة بين الناس جميعا ، قال تعالى : « كل نفس بما كسبت رهينة » .

ويقول الحق جل شأنه : « فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون » .

وفي مسألة المرسلين قال تعالى : « فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين[1] »

وموقف الأنبياء موقف خشوع يوم القيامة ، إجلالا وإكباراً للخالق سبحانه وتعالى جل شأنه ، قال تعالى : « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ، قالوا سبحانك لا علم لنا »

تنمحي علومهم من شدة هيبتهم لله وتقفر صدورهم من المعرفة من رهبة الموقف الجلل المروع ، نسأل الله فيه السلامة ، والنجاة من النار .

وقال الحق جل شأنه في شدة هول ذلك اليوم وما فيه من روع : « فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ، يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار »

---

(١) نعم سيسال المرسلون . ولكن كيفية المسألة لا نعرفها . ولا ندري هل هذه المسائلة من قبيل الحساب أم من قبيل الشهادة على أقوامهم بالتبليغ . فالله وحده أعلم بذلك .

وهنا لا يأمن مكر الله عاقل أريب ، والعاقل من يسارع بالعمل لهذا اليوم قبل فوات الأوان ، ولا يأمن بطش الله الا الهالكون .

« ان بطش ربك لشديد ، انه هو يبدىء ويعيد » .

اما الذين آمنوا وكانوا يتقون ، أولئك اصحاب الجنة لا يأخذهم الفزع الأكبر وتتوفاهم الملائكة طيبين .

قال تعالى : « الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ، يقولون سلام عليكم طبتم »

ويفعل الله ما يشاء .... فالأمر يومئذ لله

واما ان نزلت سورة هود وورد فيها قوله تعالى : « فاستقم كما امرت » هود : قال رسول الله ﷺ : « شيبتني هود واخواتها » .

هذا رسول الله لا يملك لنفسه شيئا . والذي يقول على لسان الحق : « اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم » .

ويقول ﷺ : « قل ما كنت بدعا من الرسل . وما أدري ما يفعل بي . ولا بكم » ـ الأحقاق : ٩ . هذا رسول الله لا يدري ما سيحدث له يوم القيامة . وهذا بالنسبة لنا امر طبيعي ـ نحن الباحثين ـ لأمر بسيط يسير وهو ان رسول الله لا يعلم الغيب ولأنه لا يعلم الغيب الا الله . ورسول الله بشر . وذلك بنص القرآن الكريم : « ما انا الا بشر مثلكم انما يوحي الى انما الهكم آله واحد . وهنا يجب ان نلاحظ ان القرآن في مقام التحدث عن بشرية الرسول ﷺ استعمل اسلوب القصر . ليؤكد لنا ان رسول الله بشر بكل معاني البشرية . وليت الذين يعبدون النبي واهل بيته يعرفون انه بريء من شركهم يوم القيامة ....

واذا كان رسول الله ﷺ لا يملك لنفسه من الأمر شيئا . فكيف ينسبون الأحاديث إلى رسول الله افتراء ، ليبرروا عبادتهم للشياطين ؟؟

قال تعالى في شأن هؤلاء المضللين : « وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون » وكيف يدعي بشر بعد رسول الله . ويدعي انه قد أوتي العلم اللدني . فيعرف ما لا يعرفه رسول الله ورسول الله ﷺ أولى بكل فضل وفضيلة . .

ومن قال إنه يأمن مكر الله فهو خاسر . بالى من رحمة الله لا محالة .

ولن يشفع رسول الله في المشركين . لأنهم اعداء الله . ولا تجوز فيهم شفاعة ابدا . قال تعالى : » « ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » .

ومن لطف الله ان قيض لدعوته على رأس كل مائة عام من يجدد لها امر دينها . ومن لطفه ايضا ان جعل الغيب مستوراً عن اعين الناس . والا كانت الحياة جحيما لا يطاق . وتعذرت اقضيتها .

والذين يقولون[١] انهم يتصلون بالله مباشرة . نقول لهم : لقد ضل سعيكم . وانتم تحسبون انكم تحسنون صنعاً .

---

(١) الذين يقولون هذا همّ الصوفيون . نسأل الله لهم الهداية . وأن يشرح الله صدرهم للإسلام .

مراجع الكتاب

١ ـ إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي .

٢ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير.

٣ ـ أبو الحسن الأشعري للاستاذ الدكتور حمودة غرابة .

٤ ـ اصول التشريع الاسلامي للاستاذ علي حسب الله ـ مطبعة العلوم ـ الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ . ١٩٥٢ م . والطبعة الخامسة ١٣٩٦ هـ . ١٩٧٦ م .

٥ ـ البرهان في اصول الفقه الاسلامي . لامام الحرمين .

٦ ـ أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم مطبعة الكردي .

٧ ـ البداية والنهاية لابن كثير . مطبعة السعادة بمصر الطبعة الاولى ١٣٥١ هـ . ١٩٣٢ م .

٨ ـ تاريخ آداب اللغة العربية . لجورجي زيدان . مطبعة الهلال . الطبعة الثالثة بالقاهرة .

٩ ـ التصوف الاسلامي في الأدب والاخلاق للدكتور زكي مبارك . الطبعة الأولى ١٩٣٨ م مطبعة الرسالة .

١٠ ـ التصوف العربي . للاستاذ محمد ياسر شرف . سلسلة كتاب الهلال .

١١ ـ تلبيس ابليس . للامام ابن الجوزي . مطبعة السعادة . ١٩٤٠ هـ .

١٢ ـ ابن تيمية للامام محمد أبو زهرة . دار الفكر العربي ببيروت لبنان . الطبعة الأولى .

١٣ ـ الجامع لاحكام القرآن للقرطبي . مطبعة دار الكتب المصرية . ١٣٥٦ هـ . ١٩٣٧ م . الجامع الصحيح لمسلم .
١٤ ـ حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة . لجلال الدين السيوطي الشافعي . المطبعة الشرقية .
١٥ ـ الرسالة التدمرية . لابن تيمية .
١٦ ـ الرسالة القشيرية . للقيشري . طبع مطبعة صبيح ١٩٤٨ م .
١٧ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم لشهاب الدين محمود الالوسي . ادارة الطباعة المنيرية .
١٨ ـ زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم . مطبعة صبيح . الطبعة الأولى ١٩٣٤ م .
١٩ ـ شرح الأشموني على الفية ابن مالك .
٢٠ ـ صحيح مسلم بشرح النووي . الطبعة الأولى ١٩٢٩ م .
٢١ ـ الصوفية الوجه الاخر . للدكتور محمد جميل غازي .
٢٢ ـ الصوفية في الاسلام . لنيكلسون ترجمة نور الدين شريبة .
٢٣ ـ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم . مطبعة الاداب بالقاهرة .
٢٤ ـ عقيدة السلف للصابوني .
٢٥ ـ عيون للمسائل الشرعية في الأحوال الشخصية للاستاذ على حسب الله . مطبعة العلوم الطبعة الثانية ١٩٥٠ م .
٢٦ ـ ابن الفارض والحب الالهي للدكتور محمد مصطفى حلمي . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . الطبعة الأولى ١٩٤٥ م .
٢٧ ـ الفرق بين الفرق . للبغدادي ، مطبعة المعارف بالقاهرة .
٢٨ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل . لابن حزم مطبعة الموسوعات بمصر .
٢٩ ـ فصوص الحكم للشيخ محي الدين بن عربي . مطبعة الحلبي١٩٤٦ م .
٣٠ ـ القاموس المحيط للفيروز ابادي . مطبعة دار مأمون . ١٩٣٨ م .

٣١ ـ القرآن الكريم .
٣٢ ـ الكامل لابن الاثير طبعة اولى .
٣٣ ـ الكشاف للزمخشري . مطبعة مصطفى محمد ١٣٥٤ هـ .
٣٤ ـ لسان العرب لابن منظور . مطبعة بولاق ١٣٠٠ هـ .
٣٥ ـ مجموع الفتاوي لابن تيمية .
٣٦ ـ مجموع الرسائل لابن تيمية .
٣٧ ـ مختصر سنة ابي داود للحافظ المنذري . مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٠ م .
٣٨ ـ مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد . واياك نستعين لابن القيم . مطبعة المنار . الطبعة الاولى
٣٩ ـ المستصفي لأبي حامد الغزالي . ألمطبعة الأميرية بالقاهرة الطبعة الأولى ١٣٢٢ هـ .
٤٠ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي .
٤١ ـ المغني لابن قدامة مطبعة المنار . الطبعة الثانية .
٤٢ ـ مفتاح دار السعادة . لابن القيم . مطبعة السعادة .
٤٣ ـ مقدمة ابن خلدون المطبعة الأميرية .
٤٤ ـ الملل ووفي النحل للشهرستاني . الطبعة الأولى . المطبعة الاميرية بمصر ١٣١٧ هـ .
٤٥ ـ نيل الاوطار للشوكاني . الطبعة الثانية مطبعة الحلبي بمصر ١٣٧١ هـ . . ١٩٥٢ م .
٤٦ ـ وفيات الأعيان . وابناء الزمان لابن خلكان . المطبعة اليمنية بمصر . المطبعة الأولى .



فهرس الكتاب

	الصفحة
المقدمة	١١
لا إله إلا الله	١٧
الاستدلال على وجود الله	٣٧
ليس كمثله شيء	٥٣
الرسل أجمعون دينهم الإسلام	٦١
مملكة الشياطين والفلاسفة	٦٧
حق الرسول ﷺ على أمته	٧٩
ومن المتدينين حمقى وجهال	٨٣
أباطيل علماء الأرواح ومناقشتها	٨٩
الخوارج والباطنية (القرامطة)	١٠٣
مناقشة مغالطاتهم والرد عليها	١٠٣
تأويلات بعض الصوفية ومناقشة أباطيلهم والرد عليها	١١٥
تأملات في التفسير الصوفي للقرآن الكريم	١٢٧
صوفي بين يدي الله	١٣٥
رحم الله الخضر عليه السلام	١٤٣
لقد أخلصوا العبادة للشياطين	١٤٧
ملكوت الله في قبضة صوفي	١٥٣

الصفحة

موقف ابن تيمية وابن القيم من وحدة الوجود ومناقشته ١٦٣
يقين الصوفية ١٧١
الشريعة والحقيقة ١٧٩
المشاهدة والمكاشفة في ميزان التحليل النفسي ١٨٧
علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ١٩٥
معنى الولاية ٢٠٣
أولياء الله وأولياء الشيطان ٢١٣
رأي ابن تيمية في كرامات الأولياء ٢٢٣
رأي ابن تيمية في الزيارة ومناقشته ٢٢٧
أمنوا بالله وهم مشركون ٢٣٣
بين الفتى وشيخه الصوفي ٢٤٥
رسول الله بشر لا كالبشر في روحانياته ٢٦١
سؤال عن الترجيح وجوابه : ٢٧١